نور الحياة

سلسلة دراسات فى كلمة الله

الكتاب الثانى عشر

دراسات وتأملات

فى فصول أناجيل قداس الآحاد

(٢) شهرا طوبة وأمشير

الصوم الكبير - الخمسين المقدسة

دكتور جميل نجيب سليمان

الطبعة الثانية

نور الحياة

سلسلة دراسات فى كلمة الله

الكتاب الثاني عشر

دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداس الآحاد

(٣) شهرا طوبة وأمشير

الصوم الكبير - الخمسين المقدسة

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـم السلسلـــــــة : نور الحياة

الكتـــاب الثانـــي عشر : دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداس الآحاد

(٢) شهرا طوبة وأمشير – الصوم الكبير – الخمسين المقدسة

المـــــــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان

www.gamilsoliman.org
gamilnsoliman@yahoo.com

الطبعـــــــــــــة : الأولي ٢٠١٤، الثانية ٢٠١٧

الناشـــــــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي

ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤

رقـــم الإيـــــداع : ٢٠١٤/١١٩٨٧

الترقيـــــم الدولـــــي : 978-977-6439-45-0

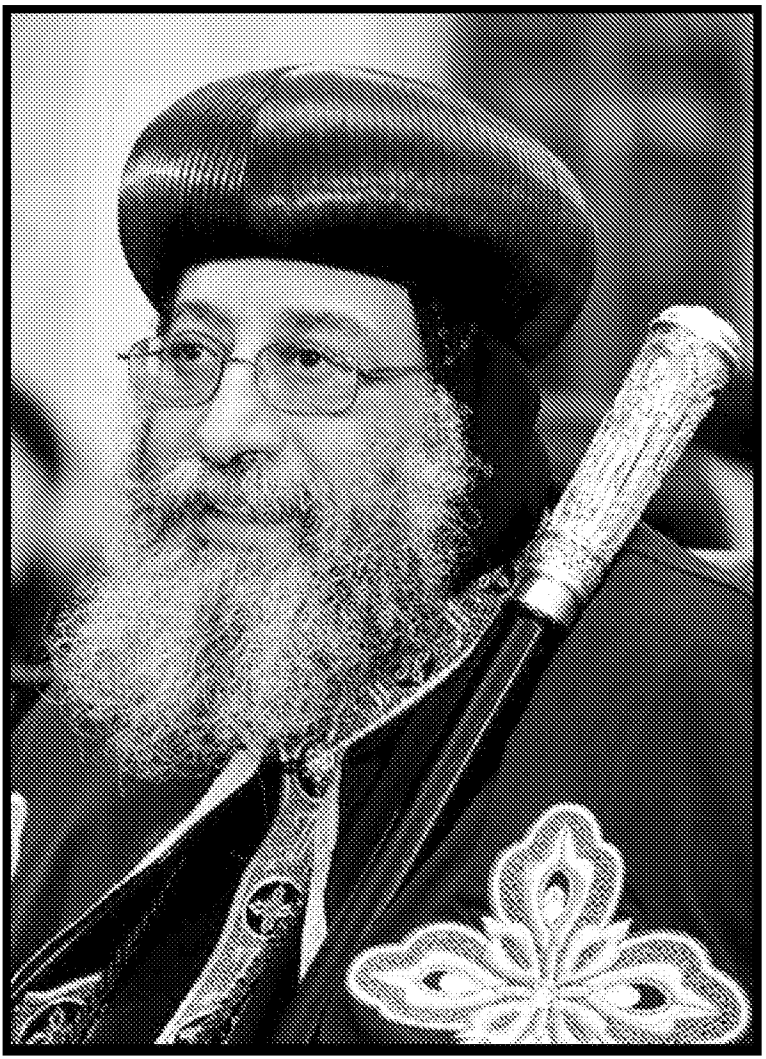

صاحب القداسة والغبطة

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية المائة والثامن عشر

المحتويـــات

كلمة إلى القاريء ٧

١ – كلمات أولية ٩

+ عن القراءات الكنسية في القداس الإلهي ١٠

+ إلى خدام الكلمة ١٥

٢ – أناجيل قداس آحاد شهر طوبة ١٩

+ عن قراءات آحاد شهري طوبة وأمشير ٢٠

+ الأحد الأول : العائلة المقدسة في مصر ٢١

+ الأحد الثاني : **"بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه"** ٢٨

+ الأحد الثالث : شهادة يوحنا المعمدان عن المسيح ٤٤

+ الأحد الرابع : المسيح نور العالم (تفتيح عيني المولود أعمى) ٥٣

٣ – أناجيل قداس آحاد شهر أمشير ٦٣

+ الأحد الأول : الطعام الباقي للحياة الأبدية ٦٤

+ الأحد الثاني : معجزة إشباع الجموع ٧٤

+ الأحد الثالث : يسوع المسيح.. خبز الحياة ٨٣

+ الأحد الرابع : توبة زكا ٩٢

٤ – أناجيل قداس آحاد الصوم الكبير ٩٣

+ الأحد الأول : "**اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره**"– أحد الكنوز ٩٤

+ الأحد الثاني : التجربة على الجبل– أحد التجربة ١٠٣

+ الأحد الثالث : محبة الله للخطاة – أحد الابن الضال ١١٣

+ الأحد الرابع : الماء الحي – أحد السامرية ١٢٣

+ الأحد الخامس : "**أتريد أن تبرأ؟**" أحد المخلع ١٣٤

+ الأحد السادس : الخليقة الجديدة ورؤية النور – أحد المولود أعمى ١٤٤

+ الأحد السابع : المسيح يدخل أورشليم– أحد السعف أو الشعانين ١٥٢

٥ – أناجيل قداس آحاد الخمسين المقدسة ١٦٣

+ الأحد الأول : ظهور الرب لتلاميذه بعد قيامته –أحد توما ١٦٤

+ الأحد الثاني : يسوع المسيح .. خبز الحياة ١٧٦

+ الأحد الثالث : الماء الحي (المرأة السامرية) ١٧٧

+ الأحد الرابع : الحياة في النور ١٧٨

+ الأحد الخامس: "**أنا هو الطريق والحق والحياة**" ١٨٦

+ الأحد السادس : "**ثقوا. أنا قد غلبت العالم**" ١٩٤

+ الأحد السابع : "**قوة من الأعالي**"– **عيد حلول الروح القدس** ٢٠١

٦ – ملاحق ٢١١

+ رحلة العائلة المقدسة ٢١٢

+ مصر في الكتاب المقدس ٢١٩

+ عن السامرة والسامريين ٢٢٢

كلمة إلى القارئ

أناجيل قداس الآحاد هي قسم هام من الفصول المختارة من العهد الجديد والتي تكون جانباً يُعتد به من **الليترجية**، والتي يضمها كلها ما يُعرف باسم **القطمارس**(*). فهناك لكل يوم من أيام السنة فصول مختارة من **الإنجيل** لرفع بخور عشية وباكر والقداس، ويسبق كل إنجيل **مزمور** معين يناسبه، فضلاً عن قراءة فصل من إحدى رسائل القديس بولس (**البولس**)، وفصل من الرسائل الجامعة (**الكاثوليكون**) ، وفصل من سفر أعمال الرسل (**الإبركسيس**)، يليه **السنكسار** الذي يعتبر امتداداً لسفر الأعمال.

وهناك منهج محدد لكل هذه الفصول يحكمه اتجاهان: **الأول** يربط قراءات قداس الآحاد، **والثاني** يربط قراءات قداس الأيام. وقراءات **قداس الآحاد**، موضوعها العام **الخلاص** (إش٦١: ١، ٢؛ لو٤: ١٨، ١٩). أما قراءات **قداس الأيام** فترتبط **بالسنكسار** الذي يحوي تاريخ الكنيسة وأعيادها وتذكار قديسيها وبطاركتها.

وهذا الترتيب لم يتم كيفما اتفق وإنما وضعه آباء ملهَمون بالروح القدس، بحيث تكشف قراءات كل يوم معاً المعاني الروحية الكاملة. وكما يلقي العهد الجديد الضوء على القديم ويكشف معنى نبواته التي تحققت في المسيح، وكما تُظهر الرسائل حق الإنجيل، وتستلهم منه عقائد الإيمان وترتيبات العبادة وقوانين الكنيسة، فإن **القراءات** توضح بعضها بعضاً عندما تضمها ضفيرة عبقرية واحدة، بحيث يتعاظم مفهومها الروحي عما لو بقيت كل منها مستقلة عن الأخرى.

ربما لا يتاح في كنائسنا تناول كل قراءات اليوم معاً بالشرح والتفسير بحسب المنهج الموضوع للقراءات، فالوقت لا يتسع. كما أن المختبرين القادرين على الغوص والربط بينها تحت مصباح الروح القدس قليلون. ولكنَ ما لا يدرك جُلّه لا يترك كله، فمن الممكن أن يُطبع تفسير قراءات اليوم ويوزع على

(*) يرجى الرجوع إلى مقال "**عن القراءات الكنسية في القداس الإلهي**" في الفصل الأول من هذا الكتاب (ص ١٠).

المؤمنين، وربما تُخصص اجتماعات بعينها في كل كنيسة تفسر الكتاب بحسب منهج القراءات، أو ينبثق عن المعاهد العلمية الكنسية مجموعات من الدارسين يعقدون محاضرات تخدم نفس الهدف، أو تصدر مجلة تتخصص في دراسات الكتاب المقدس وتتبنى منهج القراءات.

على أننا في هذا الكتاب قصدنا أن نفسر ونتأمل في **فصول أناجيل قداسات الآحاد** وحدها، دون بقية قراءات **قداس الكلمة**، والخاصة في **هذا الجزء الثاني** من "**دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداسات الآحاد**" بقراءات **الفصل الثاني من السنة الليترجية** والذي يبدأ بشهري **طوبة وأمشير فالصوم الكبير والخماسين المقدسة** (شهور برمهات، برمودة، بشنس)، وهناك **جزء ثالث** يفسر أناجيل قداس آحاد **الفصل الثالث والأخير من السنة الليترجية** (شهور بؤونة، أبيب، مسرى).

وسيلاحظ القارئ أننا تعمدنا بصورة عامة بعض التفصيل، بما يتيح لخدام الإنجيل مساحة واسعة في الاختيار، بحيث يمكن أن تقتصر العظة أو الكلمة على نقطة واحدة أو أكثر بحسب الوقت المتاح للخدمة. كما أن هناك أحياناً تنويهاً عن مقالات بعينها تخدم موضوع نفس الفصل من الإنجيل في مواقع أخرى من كتب "**نور الحياة**"، أو ضمن شرح فصول أناجيل أخرى ذات العلاقة، كي تتعدد العظات على نفس فصل الإنجيل، بما يضاعف الفائدة الروحية للسامعين والخدام.

وإني أضيف هذا الجهد المتواضع إلى ذخيرة كتابات آبائي وإخوتي الذين علمونا، وقد سبقوا وفسروا وسجّلوا ما ألهمهم الروح من دراسات وتأملات على هذه الفصول من الإنجيل، وأقدّمه معهم ليكون عوناً لخدام الكلمة، ولكل مؤمن يتوق لمعرفة كلمة الله وفهمها، إسهاماً في خدمة الكرازة ونشر كلمة الله.

وإني أسأل الله القدير أن يبارك هذا العمل، في **طبعته الثانية**، لمجد اسمه وامتداد ملكوته، بصلوات أبينا **صاحب القداسة والغبطة البابا أنبا تواضروس الثاني**، كما أطلب صلوات كل من يقرأ هذا الكتاب أن يستخدمه الروح من أجل استنارة الأذهان بمعرفة أوثق بكلمة الله "**نور الحياة**".

مايو ٢٠١٧

كلمات أولية

+ عن القراءات الكنسية في القداس الإلهي
+ إلى خدام الكلمة

عن القراءات الكنسية في القداس الإلهي

وضع آباء الكنيسة الأولون، الملهَمون بالروح القدس، منظومة متكاملة لما يُتلى في الكنيسة من صلوات وتسابيح خلال أدائها **الليترجية**، سواء ما يتعلق بصلوات السواعي (الأجبية) أو التسبحة (السنوية والكيهكية) أو نصوص القداسات المستخدمة في كنيستنا (وأبرزها ثلاثة: القداس الإلهي **للقديس كيرلس**، وهو أقدمها إذ تعود أصوله إلى **القديس مرقس الرسول**، وقداس **القديس باسيليوس**، وقداس **القديس غريغوريوس**)، أو النصوص الكتابية التي تُتلى ضمن صلوات القداس، بما يوحد طقوس العبادة في الكنائس الرسولية على امتداد الأرض.

وهذه الفصول الكتابية المختارة يضمها معاً عدد من الكتب تعرف **بالقطمارس**[1]، وتشكِّل معاً ما يُعرف بـ **"قداس الكلمة"**، أي القسم

---

(١) من الكلمة اليونانية Kata-meros ، حيث "Kata" تعني "**بحسب** according" و **"meros"** تعني "**جزء**" أو "**قسم**"، ويقصد به **الأيام**؛ فيكون المعنى "**القراءات الكتابية خلال القداس بحسب كل يوم**" من أيام السنة

التعليمي من الليترجية، الذي كان يتاح **للموعـــوظين** حضـــوره في الكنيســـة الأولى، إلى أن يتأهلوا لنوال المعمودية، وبعدها يشتركون مع سائر **المـــؤمنين** في صلوات التقديس التالية الممهِّدة للتناول من الأسرار.

عن القطمارس :

وكتب القطمارس في كنيستنا خمسة :

(١) **القطمارس العام السنوي الدوار**، الخاص **بقراءات الأيام** على امتداد السنة القبطية (سواء كانت أياماً عادية أو أعياداً أو غيرها)؛

(٢) **القطمارس السنوي الدوار**، الخاص **بقراءات قداس الآحـــاد** علـــى مدى السنة شهراً شهراً (عدا الصوم الكبير والخمسين)؛

(٣) **قطمارس الصوم الكبير**، ويستخدم في أيام وآحاد هذا الصوم (حـــتى سبت لعازر)، وهو موسم التوبة سواء للموعـــوظين أو للمـــؤمنين لتجديـــد عهودهم وإضرام محبتهم لمخلصهم؛

(٤) **قطمارس البصخة المقدسة**، الذي يستخدم خلال **أسبوع الآلام** بدءاً من أحد الشعانين حتى ختامه. وقراءاته الكتابية وصلواته وألحانه تركز على أحداث هذا الأسبوع منذ الدخول الأخير للمسيح إلى أورشليم، ورسمه سر الإفخارستيا، ومـــا جازه من محاكمات ومعاناة وآلام بلغت ذروتها في الصليب والموت؛

(٥) **قطمارس الخمسين المقدسة**، وهو الخاص بالفترة من **عيد القيامة إلى عيد العنصرة**، أي **عيد حلول الروح القدس** في اليوم **الخمسين** بعد قيامة الرب المجيدة.

وتتضمن قراءات قداس **اليوم** أو **الأحد** فصلاً من **الإنجيل** (يسبقه **مزمـــور** يتعلق به) لكل من صلاة رفع بخور عشية وباكر والقداس. كما يسبق قـــراءة إنجيل القداس فصل من إحدى **رسائل القديس بولس** الأربع عشرة (**البولس**)، وأخر من إحدى **الرسائل الجامعة** (**الكاثوليكون**)، وهـــي رســـالة **القـــديس يعقوب**، ورسالتا **القديس بطرس**، ورسائل **القديس يوحنا** الثلاث، ورســـالة **القديس يهوذا**، وفصل من **سفر أعمال الرسل** (**الإبركسيس**)، ويلـــي ذلـــك

فصل من **السنكسار**، أي تاريخ أحوال الكنيسة، شاملاً أعياد الرب والعذراء والملائكة والرسل، وتذكارات قديسي الكنيسة وشهدائها وآبائها، لكل يوم من أيام السنة القبطية، بما يمثّل تواصلاً على مدى الزمن لأعمال آبائنا الرسل.

وتتضمن قراءات **الصوم الكبير** و**البصخة** (إضافة إلى المزامير) فصولاً مختارة من **العهد القديم**[٢]، تقابل نصوص العهد الجديد لهذا اليوم. وهي تُتلى ضمن صلوات رفع بخور باكر في قداسات الصوم الكبير، أو تسبق قراءة الإنجيل في كل ساعة من ساعات صلوات البصخة العشر (خمس ليلية وخمس نهارية).

منهج القراءات الكنسية :

هناك دراسات كثيرة قديمة وحديثة عن منظومة القراءات الكنسية، والمنهج الذي وضعه الآباء، والذي على أساسه اختيرت فصول الكتاب لكل **يوم** أو لكل **أحد**، سواء على مدى السنة، أو آحاد شهر بعينه، أو في فترات معينة منها كأيام وآحاد الصوم الكبير والخمسين، أو أسبوع آلام الرب.

وسنحاول هنا باختصار أن نشير إلى الخطوط العريضة لهذا المنهج، بما يتيح فهماً واستيعاباً أكثر، ورؤية أشمل، لمجموع القراءات، لا يوفره الانحصار في قراءة كل فصل على حدة، ولكن دون الدخول في تفاصيل كثيرة تهم المتخصصين وحدهم لكي لا نثقل على القارىء[٣].

على أن **موضوع** قراءات قداس **الأحد** أو أي **يوم** لا يعكسه فقط فصل **الإنجيل**، وإنما هو يربط بين كل قراءات القداس، من بداية العشية وحتى إنجيل

---

(٢) كانت القراءات اليومية في القرون المسيحية الأولى تحوي فصولاً من الناموس والأنبياء على مدار السنة، ولكنها اقتصرت فيما بعد على أيام الصوم الكبير والبصخة.

(٣) نحن في حاجة دائمة إلى متخصصين ودارسين يبنون على ما أسسه الآباء من نُظُم للقراءات، ويلقون الضوء على الأبعاد العميقة للكتاب عندما تُقرن أجزاؤه معاً ويتسع مفهومه. كما أنه من مسئوليتنا مراجعة كل ما بين أيدينا من كتب القراءات، وقد يكون هناك ما يمكن عمله بالتعديل أو التطوير ليؤدي إلى الأفضل. ومن المعروف أن هناك أجزاء من الإنجيل تتكرر كثيراً في القطمارس وأجزاء لا يتضمنها. وسيكون إنجازاً يُعتد به أن نسعى لأن يضم القطمارس كل العهد الجديد على مدى السنة الليترجية.

القداس، كخيط دقيق يشكل منها منظومة ذات هدف واحد (وقد يكون الارتباط واضحاً صريحاً وشاملاً، أو أحياناً في آية واحدة من أحد فصول القراءات أو أكثر).

+ فإذا أتينا إلى **قراءات قداس الآحاد**، فالموضوع الشامل هو **عمل الثالوث في تدبير الخلاص** بتجسد الرب وصلبه وموته وقيامته وصعوده وحلول روح قدسه على الكنيسة.

وتنقسم **قراءات قداس الآحاد** إلى **ثلاثة فصول**، كل منها يغطي بصورة عامة أربعة شهور. فشهور **الفصل الأول** (**توت** إلى **كيهك**) موضوعها الخاص المتصل بالخلاص هو "**محبة الله الآب**" وتدبيره للتجسد من أجل الخلاص، وشهور **الفصل الثاني** (بدءاً من **طوبة**) موضوعها الخاص "**نعمة الابن الوحيد والفداء**"، وتشمل فترة الصوم الكبير وأسبوع الآلام والقيامة والخمسين والعنصرة، **وشهور الفصل الثالث** (بدءاً من **بشنس** إلى نهاية العام القبطي) موضوعها "**شركة وموهبة الروح القدس وسر الكنيسة**" امتداداً من يوم العنصرة فصوم الرسل وخدمة الكنيسة الأولى وثمار الروح القدس والاستعداد للخروج من العالم.

+ أما عن **موضوع قراءات قداس الأيام** فهو - كما ذكرنا آنفاً - المناسبات الكنسية كما يوردها **السنكسار**. ففي تذكار البطاركة، على سبيل المثال، تكون القراءات عن **الرعاية والخدمة** [(٢تي ٣: ١- ٤: ٢٣؛ ١بط ٥: ١-١٤؛ أع٢٠: ١٧-٣٨؛ يو ١٠: ١-١٦ (الراعي الصالح)]؛ وفي تذكار **القديسات** تتعلق القراءات **بنساء الكنيسة وخدمتهن** [مت ٢٦: ٦-١٣ (مريم ساكبة الطيب)؛ يو ٤: ١٥-٢٤ (السامرية)؛ ١بط ٣: ٥-١٤ (الزينة الروحية)؛ أع ٥:٢١-١٤ (بنات فيلبس النبيات)؛ مت٢٥: ١-١٣ (العذارى الحكيمات)].

وسوف نلاحظ الطابع المصري للقطمارس في كنيستنا، فهو مرتبط أيضاً

بظروف مصر البيئية والمناخية، كدولة زراعية تعتمد حياتها على النهر وفيضانه السنوي، الذي يأتي بالخير على الشعب والكنيسة. **فالفصل الأول** من السنة الليترجية (**توت - كيهك**) هو **فصل الزراعة** (وتتلى فيه أوشية الزروع والعشب ونبات الحقل)، و**الفصل الثاني** (**طوبة - برموده**) هو **فصل الحصاد** (وتطلب فيه الكنيسة من أجل أهوية السماء وثمرات الأرض)، و**الفصل الثالث** (**بشنس - مسرى**) هو **فصل الفيضان** (والصلاة فيه من أجل صعود مياه الأنهار).

ويلفت نظرنا، على سبيل المثال، اختيار **مثل الزارع** للأحدين الأول والثاني من شهر **هاتور** (في الفصل الأول)، وهو شهر نثر البذار في الأرض في بلادنا، فيتم التناغم بين الكلمة وواقع الحال. وكما صنع الرب وهو يسير بين الحقول، وأراد أن يتكلم عن **كيف تثمر كلمة الله**، استخدم عناصر الطبيعة من حوله ليقترب من قلوب السامعين ويؤثر فيهم، فكان مدخله إلى الكلام هو **مثل الزارع**، وقابَل بين الزارع والبذار والأرض في المَثَل، وبين الله والكلمة وقلب السامع في التطبيق.

القراءات الثابتة والمتغيرة :

حتمت قوانين الكنيسة ألا يسبق **عيد قيامة الرب** أو يوافق **عيد الفصح** اليهودي غير الثابت (الذي يتبع التقويم القمري) بل أن يليه، باعتبار أن في **عيد القيامة** يتم الاحتفال بالمسيح **فصحنا الجديد** (١كو ٥: ٧). بالتالي فإن موعد عيد القيامة متغير، ويتراوح بين ٢٦ برمهات (٤ أبريل) في حده الأدنى و٣٠ برموده (٨مايو) في حده الأقصى، وتبعاً لذلك يتغير موعد بدء صوم نينوى وبدء الصوم الكبير (٨ آحاد) وأسبوع الآلام وعيد العنصرة (٨ آحاد).

يترتب عليه أن القراءات تتميز بين الثابتة والمتغيرة. **فالثابتة** هي قراءات **الفصل الأول** (١٦ أحداً) وأول شهرين من **الفصل الثاني** (**طوبة وأمشير** - ٨ آحاد)، و**الفصل الثالث** (منتصف **بشنس** إلى نهاية السنة - ١٥ أحداً)، أما **المتغيرة** فهي المتعلقة بالفترة المشار إليها آنفاً.

إلى خدام الكلمة

لابد أن نؤكد في البداية على أهمية "**كلمة الله**" وسموها، فقد كانت الوسيلة التي اتصل بها الله بالبشر. وفي آخر الأيام أرسل الآب ابنه "**الكلمة**" Logos الذي بذل نفسه عن حياة العالم، وصارت **الكلمة** هي وسيلة الكرازة بالخلاص بحسب وصيته لتلاميذه ورسله قبل صعوده "**اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها**" (مر ١٦: ١٥). هكذا انتشر **خدام الكلمة** في أنحاء الأرض يبشرون "**بيسوع**" (أع٨: ٣٥) ويذيعون كلمة الخلاص "**الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله**" (رو ١٠: ١٧). وبالكلمة شفوا مرضى وأقاموا موتى وأخرجوا شياطين وبها وصل الإيمان إلى أطراف المسكونة.

و**خدام الكلمة** اليوم هم الذين انتهت إليهم أواخر الدهور (١كو١٠: ١١) ويواصلون **خدمة التلاميذ والرسل** في الكرازة بالإنجيل.

والتعليم مسئولية كبرى. فمن فم الكاهن (وكل خادم حقيقي للكلمة) تُطلب الشريعة (حج ٢: ١١)، ولابد له إذاً أن يكون "**صالحاً للتعليم**"

(١تي٣: ٢)، أي مؤهلاً تماماً لهذه الوظيفة الخطيرة. **وأول** هذه المؤهلات هو **حياته المسيحية الأمينة وخضوعه وطاعته لوصية الله بكل تدقيق**، التي تطالبه أن يقدم نفسه "**في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة**" (تي ٢:٧). **وثانيها** أن يكون عاكفاً على الكتاب بعهديه، دارساً وفاهماً، متتلمذاً على معلمي الكتاب ومفسّريه، عارفاً بلغات الكتاب وترجماته، جغرافيته وتاريخه، واثق الإيمان قادراً على الدفاع عن عقيدته، من أجل أن يقدم "**في التعليم نقاوة، ووقاراً، وإخلاصاً، وكلاماً صحيحاً غير ملوم**" (تي ٢: ٧، ٨).

ومن أجل مسئوليته أمام مخدوميه فهو لا يفسر كيفما أتفق، ولا يعتمد على فهمه الخاص، أو ينتزع الآية من سياقها، وإنما يقرن الآية بالآية فيفسر بعضها بعضاً. كما أن عليه أن يكون فاهماً لمنهج القراءات، وما يربط بين أجزاء قراءات القداس، سواء كان "**أحداً**" أو أحد "**الأيام**"، فتنكشف أمامه المعاني الخافية، بمعونة الملهِم الواحد وهو الروح القدس.

فإذا جئنا إلى لحظة الكلام على المنبر، فلابد أن يسبقها طلب معونة الروح بكل انسحاق واتضاع لكي يرسل هو الكلمة عند افتتاح الفم (أف٦: ١٩)، مصدِّقاً على كلام المعلم لتلاميذه "**لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم**" (مت ١٠: ٢٠). سواء كان الخادم يعظ، أو يُستجوَب عن إيمانه أمام القاضي. ولكن لكي يكون التعليم عملياً فالمفترض في الخادم، كتلميذ مخلص، أن يُعدّ بكل جدية ما ينبغي قوله، وأن يكون قد أختبر ما يتكلم به، وأن يُلزم نفسه به مع السامع، وهكذا يتاح للكلمة أن تكون "**حية وفعالة**" (عب ٤: ١٢) ويكون الكلام "**كل حين بنعمة مصلحاً بملح**" (كو ٤: ٦).

لا يليق إذاً بخادم الكلمة أن يقف بغير استعداد روحي وإعداد لائق لموضوعه لمجرد أن يملأ فراغاً ويقول كلاماً مرسلاً تلقائياً، أو يلجأ للمرح وإثارة الضحك لتسلية السامعين، لأنه بهذا يهدر عمل الله ويبدد الوقت الثمين الذي ينبغي تكريسه لتمجيد الله وتوظيفه بكل حكمة.

كما ينبغي أن يلتزم المتكلم بالوقت المعين بحسب ترتيب الخدمة، وأن يكون عدد النقاط التي يتناولها متناسباً مع الوقت، وإذا كان الوقت محدوداً فينبغي أن يدخل مباشرة إلى صلب الموضوع مع تقديم الجوانب الرئيسية في فصل الإنجيل.

ويتفق أيضاً مع الوقار، الذي يلزم أن يحيط بالكلمة، أن تُقرأ الآيات صحيحة وبوضوح يتيح للسامع متابعتها وفهمها، وبالتالي حفظها وترديدها. هذا يقتضي أن يكون المتكلم على دراية باللغة؛ وفي حالة اللغة العربية بالذات[1]، فعليه أن يلتزم بالتشكيل الصحيح فبغير ذلك يتغير المعنى[2]، وقد تصبح القراءة الخاطئة مجالاً للتندر، وهكذا يساء إلى كلمة الله بدل الخشوع أمامها وتوقيرها.

القراءة الصحيحة ضرورية تماماً، كي يتاح فهمها والاستفادة منها، خاصة لو لم يتبعها شرح لها كالقراءات السابقة على فصل الإنجيل في كل قداس، ولا يصح أن يختار لقراءتها إلا من يعرف الكتاب ويتقن التلاوة ويفهم ما يقول. وفي الأيام السالفة كان **المرتل**، الذي كان يُسمى **"المعلم"**، متابعاً لكل ما يُقرأ ويتدخل لكي يصحح الأخطاء. وفي أيامنا هذه يلزم أن يُمارَس هذا التوجّه سواء من الكاهن[3] أو رئيس الشمامسة، فغضّ الطرْف عن أخطاء القراءة هو استهتار لا يليق بكلمة الله فضلاً عن أنه يؤدي إلى إشاعة الجهل والكتاب يحذر **"هلك شعبي من عدم المعرفة"** (هو ٤: ٦).

---

(١) بالمناسبة ينبغي مراجعة قطمارس القراءات في كنيستنا (باللغة العربية) لغوياً ومن ناحية الصياغة. فالأخطاء اللغوية، النحوية والإملائية، كثيرة. كما أن الترجمة تحتاج لتدقيق أكثر ومحاولة تقريبها من الترجمة العربية الشائعة (البيروتية).

(٢) هذه أمثلة لبعض الآيات والكلمات التي إن لم تُقرأ صحيحة تفقد معناها أو قد تتحول إلى الضد : "سمع يسوع أن يوحنا **أُسلم**" (مت٤: ١٢)؛ "الذي **أُسلم** من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٥)؛ "ولا **تَخُرْ** إذا وبخك" (عب١٢: ٥)، "الذي إذ **شُتم** لم يكن **يَشتم** عوضاً" (١بط ٢: ٢٣).

(٣) كان المتنيح **الأنبا غريغوريوس** في خدمته للقداس حريصاً على تصويب قراءات الشمامسة وكان يُلزمهم أن يعيدوا القراءة صحيحة.

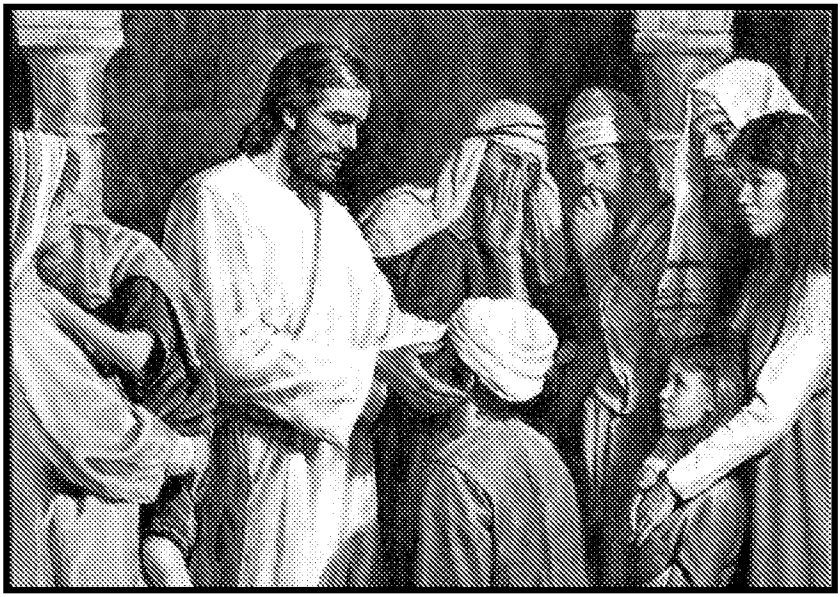

"**إنما أعلم شيئا واحدا: أني كنت أعمى والآن أبصر**" (يو٩: ٢٥)

(انظر ص ٥٣)

أناجيل قداس آحاد شهر طوبة

+ عن قراءات آحاد شهري طوبة وأمشير

+ الأحد الأول : العائلة المقدسة في مصر

+ الأحد الثاني : "بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه"

+ الأحد الثالث : شهادة يوحنا المعمدان عن المسيح

+ الأحد الرابع : تفتيح عيني المولود أعمى

عن قراءات آحاد شهري طوبة وأمشير

خلال القرون الثلاثة بعد الميلاد، كان **الصوم الأربعيني** يبدأ مباشرة بعد **عيد الظهور الإلهي** (الغطاس) كما بدأه الرب بعد عماده في الأردن من يوحنا المعمدان، إلى أن قام **البابا ديمتريوس الكرام** (١٩١-٢٣٢م) بضم **الصوم الكبير** إلى **أسبوع الآلام** الذي يختمه **عيد القيامة**، وترتب عليه أن نشأت فترة تطول أو تقصر ما بين الفصل الأول والفصل الثاني من السنة الليترجية، وخلالها وضعت الكنيسة **منهجاً انتقالياً** للقراءات.

وبالنظر لتغير موعد **عيد القيامة** (الذي لا يصح أن يسبق أو يرافق عيد الفصح اليهودي المتغير، بل لابد أن يأتي بعده) فإنه تتغير بالتالي بداية الصوم الكبير، ويتبع ذلك أن هذه الفترة بين الفصلين، وإن بدأت **بشهر طوبة**، ولكن لتغير نهايتها، صارت تحتوي بين أربعة وثمانية آحاد. وجعلت الكنيسة موضوع هذه الفترة الانتقالية "**الأسرار الكنسية**" إعداداً للصوم الكبير.

وخلال **شهر طوبة** تحتفل الكنيسة بثلاثة أعياد هي **الختان والظهور الإلهي وعرس قانا الجليل**. كما أن إنجيل الأحد الأول هو عن **هروب المسيح**

والعائلة المقدسة إلى مصر (مت٢: ١٣-٢٢)، وإن كانت الكنيسة المصرية تحتفل **بعيد دخول الرب إلى مصر** في أول يونيو.

أما عن قراءات آحاد **شهر أمشير**، التي قد لا تكتمل، خاصة لو بدأ الصوم الكبير مبكراً، فأناجيل قداس الآحاد الثلاثة الأولى عن **سر الإفخارستيا**، من خلال معجزة إشباع الجموع، والأحد الرابع عن **سر التوبة** (توبة زكا).

كما أن شهر أمشير يحتوي **صوم نينوى**(*) مثلث الأيام، الذي يأتي قبل أسبوعين من بدء أسبوع الاستعداد للصوم الكبير، وهو تمهيد مناسب جداً للصوم الكبير.

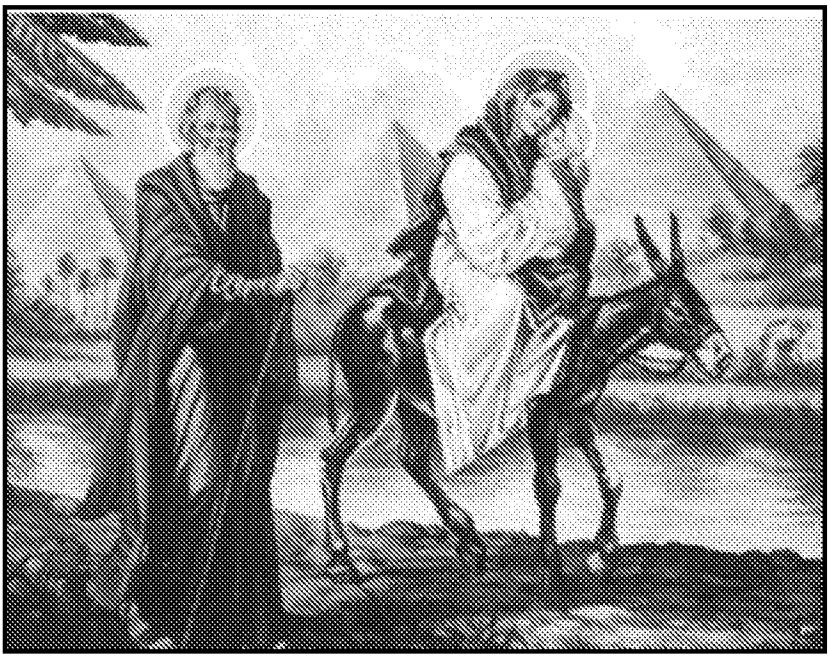

العائلة المقدسة في مصر (ص ٢٢)

(*) راجع مقال "**الكنيسة وصوم نينوى**" في الكتاب الثالث من "**نور الحياة**" ص٣٦.

الأحد الأول من شهر طوبة

العائلة المقدسة في مصر

عشية مز٤٧: ١، ٢ لو ٤٠: ٤٤
باكر مز٩٣: ١، ٢ يو ٤: ٣١-٣٧
البولـــس: رو١٥: ٤-١٩
الكاثوليكون: ١يو ٣: ١-١١
الإبركسيس : أع ١٤: ٢٤-١٥: ٣

مز ٩٨: ٢، ٣

الإنجيل : مت ٢: ١٣ – ٢٣

[١٣]وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِـــي حُلْـــمٍ قَائِلاً:«قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُـــولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». [١٤]فَقَـــامَ وَأَخَـــذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. [١٥]وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ:«مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».

[١٦]حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِـــبَ جِـــدًّا. فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا، مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ، بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَـــهُ مِـــنَ الْمَجُـــوسِ. [١٧]حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: [١٨]«صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيـــدُ أَنْ تَتَعَـــزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ».

[19]فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ [20]قَائِلاً:«قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ». [21]فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. [22]وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلاَوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضًا عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ، خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلْمٍ، انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. [23]وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ:«إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا»

لمصر أن تتيه وتزهو بين بلاد العالم، فهي البلد الوحيد الذي زاره الرب طفلاً مع أمه العذراء ويوسف النجار، فاستضافه مرحّباً، كما أن شعبها هو أول الشعوب الأممية التي جاء الرب وبشرها بالخلاص[1].

وهو قد جاء إلى مصر في الحقيقة لاجئاً من طغيان ملوك ورؤساء كان القتل وسيلتهم السهلة للتعامل مع قضاياهم حتى ولو كان قتل من جاء لخلاصهم.

وهروب العائلة المقدسة من بيت لحم إلى مصر والعودة بعد موت **هيرودس** وجلوس **أرخيلاوس** (أي رئيس الشعب) ابنه ملكاً على اليهودية سجّله إنجيل معلمنا متى في أعداد قليلة[2]، إلا أن التقليد والتاريخ وما خلّفته

---

(١) قراءات هذا اليوم تتضمن الإشارة إلى بشارة الأمم. ففي مزمور العشية "**يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي هللوا لله بصوت الابتهاج...**" (مز٤٧: ١، ٢)، ومزمور باكر "**الرب قد ملك ولبس الجلال...**" (مز٩٣: ١)، ومزمور القداس "**أعلن الرب خلاصه لعيون الأمم. كشف بره... رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا**" (مز٩٨: ٢، ٣). وفي إنجيل العشية يقول الرب "**ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله لأني لهذا قد أرسلت**" (لو٤: ٤٣). والقديس بولس يشاء رسول الأمم يشارك الأمم فرحها (رو١٥: ٩-١٢) ويقتبس من العهد القديم "**من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لاسمك** (مز١٨: ٤٩).. **تهللوا أيها الأمم مع شعبه** (تث٣٢: ٤٣).. **سبحوا الرب يا جميع الأمم، سبحوه يا جميع الشعوب** (مز١١٧: ١).. **سيكون أصل يسى والقائم ليسود على الأمم، عليه سيكون رجاء الأمم**" (إش ١١: ١، ١٠، مت١٢: ٢١)، وسفر الأعمال يعلن الفرح بعودة الأمم "**يخبرونهم برجوع الأمم...**" (أع١٥: ٣).

(٢) الكنيسة القبطية (المصرية) تقرأ هذا الجزء من الإنجيل، في الأحد الأول من شهر طوبه، الذي يذكر ملابسات **الهروب من بيت لحم إلى مصر ثم العودة**. ولكنها تحتفل **بعيد دخول العائلة المقدسة إلى مصر** في ٢٤بشنس (الذي يوافق أول يونيو) آخذة في الاعتبار فترة الشهور الأربعة التي استغرقتها الرحلة من الناصرة حتى الدخول إلى تخوم مصر (العريش).

هذه الرحلة وراءها من آثار أضاف كثيراً من التفاصيل عن هذه الزيارة المباركة[٣] التي فسّرت لماذا قال الوحي قبل قرون "**مبارك شعبي مصر** " (إش١٩: ٢٥)، وهي أضافت إلى ما تتمع به مصر من مكانة في الكتاب المقدس[٤]، فهي جنة "**كجنة الرب كأرض مصر** " (تك١٣: ١٠) **ومواطنوها أهل حكمة** " **تهذّب موسى بكل حكمة المصريين** " (أع٧: ٢٢).

ملاحظات أولية :

(**١**) مصرنا هي أرض الآباء والأنبياء والرسل: **إبراهيم ويوسف ويعقوب والأسباط، وموسى وهارون ويشوع، ودانيال**، ويقال أنه دُفن في مصر الأنبياء **أليشع وإرميا وحزقيال** (وربما **دانيال** أيضاً). ويتردد أنه جاءها القديسان **بطرس ولوقا**. وكان مبشرها الأول **القديس مرقس**، الذي استشهد على أرض الإسكندرية، كما بشر التلميذان **سمعان القانوي وبرثلماوس (نثنائيل)** جنوب مصر.

(**٢**) يذكر الكتاب مصريين كثيرين لعبوا أدواراً هامة في التاريخ الإنساني بينهم أكثر من **فرعون** وأكثر من **ملكة، وإسماعيل** ابن **هاجر** المصرية **زوجة إبراهيم، وزوجة إسماعيل، وأسنات زوجة يوسف** التي أنجبت له **منسى وافرايم، وصفورة زوجة موسى، وابنة فرعون زوجة سليمان الحكيم**.

(**٣**) مصر بين كل بلاد العالم هي التي تباركت بزيارة **المسيح والعذراء**، بل بإقامتهما فيها ما يقرب من سنوات أربع. وهي لم تكن أقرب البلاد إلى وطنه [فهناك **الأردن وسورية وفينيقية (لبنان)**]. ولم تستقر العائلة في أول مدينة على الطريق، وإنما جابت البلاد وأقامت في مدنها وقراها وعاشت بين ظهرانيها، وتكلمت لغة المصريين، وأكلت كما يأكل أهلها، وشربت من ماء النيل. وفي كل بقعة زارتها أو أقامت فيها حلت فيها بركة الرب وأمه "**الممتلئة نعمة**". وفيما بعد تأسست فيها الكنائس والأديرة والمزارات المقدسة في الدلتا والصحراء الغربية وفي مصر القديمة وعلى امتداد طريق الصعيد، وصارت منارات للخلاص والبشارة

---

(٣) لمتابعة **خط سير الرحلة** من بيت لحم إلى مصر والعودة إلى الناصرة يرجى الرجوع إلى ملحق رقم ١ في نهاية الكتاب.

(٤) عن "**مصر في الكتاب المقدس**" راجع ملحق رقم ٢ في نهاية الكتاب.

السارة. من هنا فإن مصر تظل موضع فخرنا بالانتساب إليها مهما تغيرت الأحوال وتباينت حقوق المواطنة.

ما وراء الهروب من بيت لحم إلى مصر :

(١) أن مسلسل آلام الرب لم يبدأ فقط أثناء خدمته آخذاً في التصاعد حتى بلغ مداه عند الجلجثة وفوق الصليب، وإنما قد بدأ منذ ميلاده حيث لم يكن له موضع في المنزل ولم يُتح له إلا مذود الخراف المعّدة مثله للذبح (لو٢:٧). ولم يستقر به المقام طويلاً كرضيع يحتاج إلى عناية خاصة إلا أن الظروف تضطره وأمه كي يعبرا القفار فى مسيرة شاقة هرباً من التهديد بالقتل متجهيْن إلى مصر ويظلاّن تحت المطاردة، فليس غريباً أن يُقال **إن الرب قد ولد مصلوباً**، وفى احتمال الآلام يظل الرب عوناً وعزاء لكل المتألمين " **لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين**" (عب٢: ١٨).

(٢) بينما استطاع الطفل يسوع وأمه العذراء القديسة الهروب تحت جنح الظلام إلى خارج دائرة الخطر، سقط حوالى ٣٠ طفلاً (يتراوح سن كل منهم بين سنتين فأقل) ضحايا القسوة والاستبداد والضعف البشرى، على توقّع أن يكون الرب واحداً منهم، مما أعاد إلى الأذهان نبوة إرميا " **صوت سُمع فى الرامة نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكى على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين**" (إر٣١: ١٥، مت ٢: ١٨). ولكن هؤلاء صاروا أول شهداء من أجل المسيح، ونصيبهم مع سائر شهداء الإيمان أن يمسح الله كل دمعة من عيونهم وأن يكونوا حول العرش مثلهم، وهكذا سجَّل الكتاب صراخهم " **حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض.فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاً وقيل لهم أن يستريحوا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضاً العتيدين أن يُقتلوا مثلهم**" (رؤ٦: ١٠، ١١).

(٣) إن خطة الله فى مواجهة عنف هيرودس، الذى زلزل دعائمه مجيء المخلص، كانت هى تفادى مواجهة الشر. فهروب المسيح الذي أفسد خطط إبليس كان ترتيباً إلهياً. كان من الممكن أن يُهلك الله هيرودس وجنوده، لكن الله اختار البعد عن الصدام والشر، ودعا لهروب العائلة المقدسة بحسب النبوة

(إش٩: ١) خاصة والرب جاء خلاصاً وحباً، وأخلى نفسه حتى من القوة الصاعقة، واستخدم فقط قوة تغيير الحياة إلى الخير والاختطاف من يد إبليس، وهو ما ينبغي أن يكون قانوننا في الحياة "**لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير**" (رو١٢: ٢١)، "**لا تجازوا أحداً عن شر بشر**" (رو١٢: ٧، ١بط٣: ٩).

هذا يحثنا على التوقف والانسحاب من الشر والأشرار إلى الله عندما يكون الصدام منذراً. فالتصدي للشر بالشر هو هزيمة كاملة وانتصار للشر، والهروب هنا قوة لأن فيه ضبط للنفس وتعبير عن طاعة المؤمن لله ووصيته وثقته في صدق وعوده وكمال تدبيره متجاوزاً ذاته واتهامه بالضعف. ويحضرنا هنا مثال **يوسف** الشاب الذى لما حوصر بالشر من امرأة سيده لم يبرر أو يناور وانطلق هارباً دون أن يحسب حساب العواقب وكان قانونه " **كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله**" (تك٣٩: ٩-١٣)، وكما تفادى **داود** الصدام المباشر مع شاول. والكتاب يحثنا أن "**اهربوا من الزنى.. اهربوا من عبادة الأوثان**" (١كو٦: ١٨، ١٠: ١٤).

(**٤**) الحياة هبة عظيمة من الله، والهرب أمام ما ومن يتهددها أمر طبيعي، إلا لو كان الموت حسب مشيئة الله ومن أجل الإيمان بالمسيح. والرب الذى هرب طفلاً من الشر، لأن مهمته لم تكن قد بدأت بعد، لم يهرب من الصليب الذي كان به خلاص الناس، ومثله كل شهداء الإيمان على مدى العصور، الذين لما جاء وقت الشهادة لم يهربوا وإنما واجهوا جلاديهم معلنين إيمانهم بالدم حباً في سيدهم الذى أحبهم أولاً حتى الموت. "**وهم غلبوه** (إبليس) **بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت**" (رؤ١٢: ١١)، فالهروب هنا إنكار للإيمان وخاتمة تعسة للحياة.

(**٥**) نعم، هناك مواقف يصير الهروب فيها نكسة روحية وخيانة لمبادئ المسيح. فلا يليق أن نهرب من **صوت الله** (الذى يأتينا أساساً في كلمة الإنجيل)، كما فعل **يونان** (يون١: ٣)، ولا أن نهرب من **شكوى ضمائرنا** وتأنيبها (رو٢:١٥) وإسكات صوتها (الذى هو صوت الروح)، كما فعل **يهوذا** الذى بدل أن يتوب ويرجع مضى وشنق نفسه (مت ٢٧: ٣-١٠، أع١: ١٨)، ولا

أن نهرب من **أداء الواجب** والمسئولية التي ألقيت على عاتقنا كخدام أو آباء أو أمهات أو عاملين في أي موقع، ولا أن نهرب من **الضيقة** أو **الاضطهاد** من أجل المسيح فتفاديهما يصير تخلياً عن الصليب وإنكاراً للإيمان.

(٦) الرب يوصينا عملياً أن نهرب من الشر والأشرار إلى الله ونحتمي فيه، ولكن الكتاب يحثنا أيضاً أن "**قاوموا إبليس فيهرب منكم**" (يع٤: ٧)، وأنه إذا كان إبليس خصمنا كأسد زائر، يجول ملتمساً من يبتلعه، فإنه يوصينا "**فقاوموه راسخين في الإيمان**" (١بط٥: ٩). فهل نهرب من الشر أم نقاومه؟. إن الهروب من الشر أحياناً هو أحد وسائل مقاومته وإحباط مؤامرته، ويمكن أيضاً أن نقاوم الشر في داخلنا فلا نستجيب لصوت الشهوة أو ضغط الذات أو الكبرياء التي تنادي بالانتقام والدفاع عن الكرامة مهما كانت النتائج ومهما كانت الخيانة للإيمان.

(٧) بعض المواجهات أليمة والمقدمات فيها تشي بالنتائج المُرة، ولابد من تفادي هذه المواقف وعدم الخضوع للجسد، وبذلك نمنع تداعي العلاقات في الحياة العائلية وبين الأصدقاء وفي مجالات العمل والخدمة.

✹ ✹ ✹

" **مبارك شعبي مصر**"(إش١٩: ٢٥) و"**من مصر دعوت ابني**" (هو١١: ١ – ٧٧٢ ق.م) و" **يكون مذبح للرب**[٥] **في وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخومها، فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر.... ويُعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة...**" (إش١٩: ١٩-٢١). هذه نبوءات ثلاث تحققت بزيارة السيد لديارنا وعودته منها إلى الناصرة.

فلنبق جديرين بهذه النعمة التي فاضت علينا، بحياتنا في الإيمان وفخرنا بالانتماء إلى أرض انتمى إليها الرب، والتمس فيها النجاة من الأشرار، وليبق قلبُنا وبيتُنا مستقَّراً دائماً لسكنى الرب، وأن نكون له شهود أمناء وبشارة حية لمن حولنا.

---

(٥) في تفسير القديس كيرلس الكبير: أنه الكنيسة المسيحية التي قامت على أنقاض الهياكل الوثنية.

الأحد الثاني من شهر طوبة

" بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه "

عشية مز ٩٨: ٣، ٩ مت ١٤: ٢٢-٣٦
باكر مز ٩٧: ١، ٢ مر ٣: ٧-١٢
البـــولـــس : غل ٥: ٢-١٠
الكاثوليكون : ١يو ٣: ١٨-٢٤
الإبركسيس : أع ١٥: ٢٢-٢٩

مز٨٤: ٦، ٧ ، ٦٥: ٢

الإنجيـل : لو١١: ٢٧- ٣٦

[٢٧]وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهذَا، رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَوْتَهَا مِنَ الْجَمْـعِ وَقَالَـتْ لَهُ:«طُوبَى لِلْبَطْنِ الَّذِي حَمَلَكَ وَالثَّدْيَيْنِ اللَّذَيْنِ رَضِعْتَهُمَا». [٢٨]أَمَّا هُـوَ فَقَالَ:«بَلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ وَيَحْفَظُونَهُ». [٢٩]وَفِيمَا كَـانَ الْجُمُوعُ مُزْدَحِمِينَ، ابْتَدَأَ يَقُولُ:«هذَا الْجِيلُ شِرِّيرٌ. يَطْلُـبُ آيَـةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ. [٣٠]لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَـانُ آيَـةً لأَهْـلِ نِينَوَى، كَذلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضًا لِهذَا الْجِيلِ. [٣١]مَلِكَـةُ التَّـيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ رِجَالِ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُمْ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِـي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هُهُنَا! [٣٢]رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هُهُنَا!

[٣٣]«لَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجًا وَيَضَعُهُ فِي خِفْيَةٍ، وَلاَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ

عَلَى الْمَنَارَةِ، لِكَيْ يَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ. ٣٤سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَمَتَى كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّرًا، وَمَتَى كَانَتْ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ يَكُونُ مُظْلِمًا. ٣٥اُنْظُرْ إِذًا لِئَلاَّ يَكُونَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظُلْمَةً. ٣٦فَإِنْ كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّرًا لَيْسَ فِيهِ جُزْءٌ مُظْلِمٌ، يَكُونُ نَيِّرًا كُلُّهُ، كَمَا حِينَمَا يُضِيءُ لَكَ السِّرَاجُ بِلَمَعَانِهِ».

يتضمن هذا الإنجيل ثلاثة أجزاء لكل منها موضوعه:

فالجزء الأول (لو ١١: ٢٧،٢٨): يتكلَّم عن المرأة التي بهرها كلام الرب إلى الجموع، وأرادت أن تمتدحه مُعبِّرة عن إعجابها فصاحت قائلة: "طوبى للبطن الذي حملك، وللثديين اللذين رضعتهما". وكان ردُّ الرب، قاصداً تصحيح المسار: "**بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه**" (لو١١: ٢٨)، أي أنه أفضل من مجرد مدح الكلام والتوقُّف عند الإعجاب به وبصاحبه هو سماعه وحفظه والعمل به.

والجزء الثاني (لو ١١: ٢٩-٣٢): يتعلَّق بأَمْر سابق يذكره نفس الأصحاح، حين طالب البعض الربَّ بآية من السماء لكي يُجرِّبوه. فبدأ يرفض اتهامه أنه ببعلزبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين (بعد معجزة إخراجه شيطاناً من شخص أخرس - لو ١١: ٢٤-٢٦)، ثم يردُّ على طلبهم ("هذا الجيل الشرير يطلب آية") فيذكر لهم آيتين:

١- يونان النبي: الذي كان آية لأهل نينوى الذين سيدينون هذا الجيل بتوبتهم؛

٢- سليمان الحكيم: الذي كان آية بحكمته حتى أنَّ ملكة التيمن أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمته، وهى ستدين هذا الجيل الرافض لِمن هو **أعظم من يونان وأعظم من سليمان** (لو ١١: ٣١،٣٢؛ مت ١٢: ٤١،٤٢).

والجزء الثالث (لو ١١: ٣٣-٣٦): يتضمن تشبيه المؤمن بالسراج. فنحن نور العالم، وينبغى أن يرى العالم نورنا، مع الإشارة إلى أهمية العين كسراج للجسد [وهو يشبه قول السيد في الموعظة على الجبل "**أنتم نور العالم**..

لا يوضع سراج تحت مكيال بل على المنارة فيضئ لجميع الذين في البيت. فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (مت٥: ١٤-١٦)].

ونتناول هنا بالشرح والتأمُّل **الجزء الأول** من إنجيل القدَّاس، على محورين: **الأول** عن: **كلمة الله؛ والثاني** عن: **نحن وكلمة الله.**

(١) كلمة الله

كما رأينا فالرب ردَّ على المرأة حسنة النية، التي من فرط إعجابها بكلامه، امتدحت البطن الذي حمله والثديين اللذين رضعهما، فقال لها: **"بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه"**.

وكملاحظة مبدئية، فإنَّ الرب هنا لا يقصد أن يستبعد تطويب أُمه العذراء القديسة في مجال سماع كلام الله وحفظه والانصياع له؛ بل هو يُوجِّه النظر إلى أنها ليست مطوَّبة فقط من ناحية أنها أُم الله المتجسِّد التي حملته (طفلاً) وأرضعته (وإن جعل هذا مقامها ومكانتها أرفع من كل البشر)، ولكن لأنها أيضاً كمؤمنة ينطبق عليها ذات القانون الذي قاله الرب. فاختيارها ليتجسَّد منها المخلِّص كان لأنها بالفعل كانت تسمع كلام الله وتحفظه وتعمل به [وهو واضح في ردِّها أمام الملاك المُبشِّر: **"هوذا أنا أَمَة الرب. ليكن لي كقولك"** (لو١: ٣٨)، وفي تسبحتها عند زيارتها لأليصابات: **"تُعظِّم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلِّصي... لأن القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس. ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتَّقونه"** (لو١: ٤٧،٤٩،٥٠). وفيما هي ترعى ابنها المحبوب وتتابع كل خطواته، مكتوب أنها **"كانت... تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها"** (لو٢: ٥١)].

وكان الرب قد قال في مرة سابقة **"أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها"** (لو٨: ٢١)، فكل مَن يسمع كلامه ويعمل به هم أيضاً خاصته وعائلته: **أُمه وأخوه وأُخته.**

نحن إزاء كلام الله، لا يكفي إذاً مجرد الإعجاب بالكلمات وسموِّها والتفاخر بمعانيها الفريدة والتغنِّي بها أمام أصحاب العقائد الأخرى، وإبراز

الفارق الشاسع بينها وبين غيرها، كما لا يكفي ترديدها آلياً دون اختبارها. وإنما تكريمنا الحقيقي لكلمة الله هو في الاعتراف بأنها قاعدة إيماننا وبرهانه، وبقوتها وقدرتها على تغيير الحياة، وبالتالي جدارتها أن تُسمع بوقار ويُتأمَّل فيها كل يوم، وأن تُطاع وتُحفظ ويُبشَّر بها ويُلهج فيها نهاراً وليلاً (مز ١: ٢).

كلمة لا مثيل لها:

+ كلمة الله تستمد قيمتها في المقام الأول أنها **الكلمة التي نطق بها الله** وهو الساهر عليها: "**لأني أنا ساهر على كلمتي لأُجريها**" (إر ١: ١٢). ومن هنا فهي تختلف وتسمو عن كل كلام، وأفكار الله أعلى من أفكار البشر بمقدار ما عَلَت السموات عن الأرض وأكثر بما لا يُقاس (إش ٥٥: ٩). وعندما نقولها أو نقرأها أو نسمعها، نكون في الحال في حضرة الله. ولأن المسيح عرَّفنا عن الله وطبيعته في عهده الجديد مع البشر كما لم نعرفه من قبل: "**الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر**" (يو ١: ١٨)؛ لذا صار هو "**الكلمة**" (يو ١: ١) الذي صار جسداً، ومِن ملئه نحن جميعاً أخذنا (يو ١: ١٤،١٦).

وكل ما كتبه الأنبياء والرسل في الكتاب عن الله ومعاملاته مع البشر لم يكتبوه من أنفسهم، وإنما بالوحي الإلهي: "**عالمين هذا أنَّ كل نبوَّة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأتِ نبوَّة قط بمشيئة إنسان، بل تكلَّم أُناس الله القدِّيسون مسوقين من الروح القدس**" (٢بط ١: ٢٠،٢١)، "**كل الكتاب هو موحى به من الله**" (٢تي ٣: ١٦).

مِن هنا يلزم التعامُل مع كلمة الله بكل هيبة ووقار وطاعة وتكريم. ولنتذكَّر أنه عندما صعد **موسى** على الجبل لتلقِّي الشريعة وسماع صوت الله "**صارت رعود وبروق وسحاب** (ضباب) **ثقيل على الجبل** (مضطرم بالنار)، **وصوت** (هتاف) **بوق شديد جداً، فارتعب كل الشعب... وكان جبل سيناء كله يُدخِّن... وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً**" (خر ١٩: ١٦،١٨؛ عب ١٢: ١٨،١٩)، "**وكان المنظر هكذا مُخيفاً، حتى قال موسى: أنا مرتعب ومرتعد**" (عب ١٢: ٢١).

ولكن كلمة الله تأتينا الآن وقد صالحنا وسيط العهد الجديد مع الله الآب، والسماء مفتوحة على الأرض، والكنيسة يملأها ربوات هم **"محفل ملائكة، وأرواح أبرار مُكمَّلين"**؛ وقد رُفِعَ من الوسط، بعمل دم الصليب، الرعب والفزع، وحلَّ مكانهما الفرح وبهجة الخلاص والشكر. ولكن تظل المخافة وتوقير الكلمة وحضور الله فيها. والوصية تدعونا أن **"نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى"** (عب ١٢: ٢٢-٢٤، ٢٨).

+ ولأنها كلمة الله الحي، فهي **"حيَّة"** وتهب الحياة وتُقيم من الموت: **"الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة"** (يو ٦: ٦٣)، **"اسمعوا فتحيا أنفسكم"** (إش ٥٥: ٣). وكما أنَّ الطعام هو غذاء الجسد كل يوم الذي يُديم حياته، فكلمة الله بالمثل هي غذاء القلب والعقل والروح كل يوم والتي تُديم حياة الروح (أو الإنسان الباطن - رو ٧: ٢٢؛ أف ٣: ١٦): **"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله"** (تث ٦: ١٣؛ مت ٤: ٤؛ لو ٤: ٤). وبكلمة الله ينهض الخاطئ من موت الخطية تائباً خارجاً من أكفانه: **"تأتي ساعة، وهي الآن، حين يسمع الأموات"** (بالخطية) **صوت ابن الله، والسامعون يحيون"** (يو ٥: ٢٥)، وبها يقوم الراقدون في اليوم الأخير: **"تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة"** (يو ٥: ٢٨،٢٩).

وهي **"حيَّة"** لأن الروح القدس المُحيي هو الذي يُرسلها ويُوحي بها، ويفعل فيها ويُعين على طاعتها وتنفيذها، وبها يُقدِّس ويُعزي ويؤازر ويُبكِّت، لأنه يفحص كل شيء (١كو ٢: ١٠).

+ وهي **"فعَّالة"** وتقتدر كثيراً في فعلها: **"لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتُعطى زرعاً للزارع وخبزاً للآكل؛ هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي: لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سُررتُ به، وتنجح في ما أرسلتها له"** (إش ٥٥: ١٠،١١)، **"كل الكتاب... نافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرِّ، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهِّباً لكل عمل صالح"** (٢تي ٣: ١٦،١٧).

+ وهى **"قوية"** وحاسمة، بل **"وأمضى من كل سيف ذي حدَّيْن"** (**"سيف الروح الذي هو كلمة الله"**- أف ٦: ١٧)، وهى تغوص إلى أعماق الوجدان ومجاهل النفس الإنسانية وثناياها ومتاهاتها التي لا يُدركها حتى صاحبها: **"خارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ"**، وهى كاشفة بنورها ما تُحبِّئه النفس: **"مُميِّزة أفكار القلب ونيَّاته"** وتُعرِّيها أمام الإنسان صاحبها (عب ٤: ١٢).

+ وهى **"ثابتة" إلى الأبد**، ووعود الله فيها **صادقة** (رو ٣: ٤) قائمة لا تُنسخ ولا تسقط، وأحكامه خالدة تُناطح الزمن وكل الوجود: **"الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل"** (مت ٥: ١٨)، **"السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول"** (مت ٢٤: ٣٥؛ لو ٢١: ٣٣)، **"كلمة الله الحية الباقية إلى الأبد"** (١بط ١: ٢٣).

+ وهى سند جبَّار لا يُبارَى للصمود أمام التجارب والأتعاب والعوائق والشكوك والاضطهادات والضرورات والإحباطات والخيانات، والتعزية وسط الآلام والضيقات والأحزان: **"في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم"**، **"كإنسان تُعزيه أُمه هكذا أُعزيكم أنا"** (إش ٦٦: ١٣).

كلمة الله هي قاعدة إيماننا وبرهانه :

ومكتوب أنَّ الرب يسوع جاء **"إلى الجليل يكرز ببشارة الملكوت ويقول: قد كَمَلَ الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"** (مر١: ١٤،١٥). فالمسيح **"الكلمة"** بشَّر بالملكوت بالكلمة. والكلمة هى وسيلتنا لمعرفة المسيح. وبالكلمة عمل الروح القدس وآمن الناس بالإنجيل. والمُبشِّرون في كل زمان سلاحهم الوحيد الكلمة، وسماع الكلمة أو قراءتها هى الباب للدخول إلى الإيمان.

كلمة الله هى، إذاً، **"كلمة الإيمان"** (رو ١٠: ٨) أو **"خبر الإيمان"** (غل٣: ٢،٥). وكما يكتب القديس بولس: **"إذاً الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله"** (رو ١٠: ١٧)، فوسيلة الكرازة هي الكلمة، وهي بالتالي تحوي كل

عناصر الإيمان والخلاص والعقيدة والعبادة والمعاملات، كما تتضمن وعود الله وعهوده ومواعيده والتزاماته المقضى بها، سواء خلال حياتنا على الأرض أو كل ما يتعلَّق بالمصير الأبدي: مجيئه الثاني والدينونة وحياة الدهر الآتي ومجد قدِّيسيه؛ وبها نكون متأهِّبين لمُجاوبة كل مَن يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا (١بط ٣: ١٥).

كلمة الله هي نور الحياة:

فهى المرشد الأمين وسور حياتنا وسراج طريقنا الذي به نهتدي في كل خطواتنا: "**سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي**" (مز ١١٩: ١٠٥)، "**وعندنا الكلمة النبوية، وهى أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها، كما إلى سراج مُنير في موضع مُظلم، إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم**" (٢بط ١: ١٩).

كلمة الله تدين الخطية، ولكنها بشارة مُفرحة لكل الخطاة :

والرب، وهو في الناصرة، دخل المجمع وقام ليقرأ، واختار من سفر إشعياء هذا النَّص: "**روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأُبشِّر المساكين، أرسلني لأشفى المنكسري القلوب، لأُنادي للمأسورين بالإطلاق وللعُمْى بالبصر، وأُرسل المنسحقين في الحرية**" (إش ٦١: ١؛ لو ٤: ١٦-١٨). فرسالة الرب وكلامه هما للحرية والبر والفرح وإنقاذ المسبيين.

والكلمة وإن كانت نوراً للسائرين في الطريق، فهى حافز داعم لَمن أخطأوا ولكنهم ينشدون التوبة: "**لم آتِ لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة**" (مت ٩: ١٣؛ مر ٢: ١٧؛ لو ٥: ٣٢)، "**لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويُخلِّص ما قد هلك**" (لو ١٩: ١٠)، "**صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول: أنَّ المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أوَّلهم أنا**" (كلنا) (١تي ١: ١٥)، "**إنْ أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البارُّ. وهو كفَّارة لخطايانا**" (١يو ٢: ١،٢).

ولكنها للغافلين والمراوغين هي كلمة مُقلقة تدين وتؤدِّب وتوبِّخ، مُستحثة النفس للتوبة من أجل الحياة اختطافاً من النار، قبل أن تدين الرافضين في نهاية الأيام: "**الكلام الذي تكلَّمتُ به هو الذي يدينه في اليوم الأخير**" (يو ١٢: ٤٨). ولو حكمنا على أنفسنا هنا على الأرض تائبين، نُعتق من الدينونة في اليوم الأخير "**لأننا لو حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا**" (١كو١١: ٣١). فهي في شدتها أحياناً، خصم مبارك مادمنا في الطريق، ومنذر رحيم للنجاة من الهلاك عندما تنخس القلوب للتوبة (أع٢: ٢٧).

كلمة الله هي للحياة الأبدية:

فبها نؤمن فنخلص ونتقدَّس وننال الحياة الأبدية بعمل الدم وبحسب الوعد الإلهي، فكلام الله هو "**كلام الحياة الأبدية**": "**بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية**" (يو ٤: ١٤)، "**مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**" (يو ٥: ٢٤)، "**كلام الحياة الأبدية عندك**" (يو ٦: ٦٨)، "**وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية**" (يو ١٢: ٥٠)، "**وهذا هو الوعد الذي وعدنا به: الحياة الأبدية**" (١يو ٢: ٢٥).

كلمة الله والكنيسة:

كلمة الله هي روح الكنيسة ودستورها وأعمدة بنيانها، وسيلتها وغايتها، كما أنَّ الكنيسة هي وسيلة الكلمة وذراعها الممتد عَبْرَ العالم. والكلمة هي سلاح الكنيسة في الكرازة، وقوتها أمام العالم المُضطهد والمضاد. وكما تحمي الكلمةُ الكنيسةَ، فإنَّ الكنيسة هي الأمينة على الكلمة، وهي التي جمعت الكتاب وشهدت بقانونيته، ودافعت عن صدقه وأصالته. وإذا كان سلطان الكلمة من سلطان المسيح، فإنَّ سلطان الكنيسة، جسد المسيح، هو من سلطان المسيح والكلمة.

والإنجيل، وكل الكتاب، الذي هو كلمة المسيح والشاهد له، هو لسان الكنيسة الذي تتكلَّم به وتكرز وتُعلِّم. وهو محور كل صلواتها وخدماتها، والمصدر الرئيسي لكل نصوصها وعلى رأسها **القدَّاس الإلهي**. وقدَّاس "**الكلمة**"

يسبق قدَّاس "**الإفخارستيا**" ويُعِدُّ له، والروح القدس يُوحِّد بينهما. وصلوات الأسرار وسائر الخدمات الطقسية تتلألأ فيها كلمة الله وتُقدِّسها وتُعطيها فاعليتها وحلول الروح فيها. وكلمات الكتاب هى أساس كل العظات والكتابات والأفكار ونواحى الإرشاد والتعليم في الكنيسة، وبغيرها يصير هذا كله لغواً لا خير فيه.

والكنيسة تحتفى بكلمة الله لأنها تعرف قدرها. وقبل قراءة الإنجيل في القدَّاس وما يسبقه من صلوات عشية وباكر، وفي سائر الصلوات الطقسية التى يُقرأ فيها الإنجيل، رتَّبت الكنيسة أوشية خاصة هى "**أوشية الإنجيل**" لإعداد القلوب والأذهان والامتلاء بالمخافة عند سماع كلمة الله طالبةً "**فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة بطلبات قدِّيسيك**"، كما يُنادي شماس الهيكل الشعبَ قائلاً: "**قفوا بمخافة الله وانصتوا للإنجيل المقدس**" خشوعاً في محضر الله.

والآن، هل كلمة الله عنصر أصيل في حياتك؟ هل تقرأها بروح الصلاة والخشوع والتفرُّغ الكامل؟ هل هى صديق قريب إلى القلب والعقل؟ هل هى بعض كلامك وتنطلق سهلة على اللسان، أم أنها لغة غريبة لم تتعلَّمها بعد؟ هل هى لغة صلاتك؟ هل تفحصها كل يوم؟ هل تنصت إليها عندما تسمعها وتفهمها كمَن يعرفها جيداً؟ هل تبذل جهداً لمعرفتها وفهمها بالصلاة والتأمُّل وحضور الاجتماعات وقراءة كتب التفسير؟

الطبيعى أنَّ المسيحى يعرف لغة المسيح، التى هى كلمات الكتاب، ويفهمها كرسائل شخصية مكتوبة وموجَّهة إليه من الله، لإرشاده واستنارته وتعزيته وتقويمه وتغييره إلى الأفضل كل يوم، أو تأتي ردّاً على صلواته وتوسُّلاته. فهل أنت كذلك؟

(٢) نحن وكلمة الله

معنى سماع كلمة الله :

عندما يصير "**السماع**" مرتبطاً بأمرٍ مُعيَّن أو التزام بعينه، أو ضمن وصية يأمر الرب بها، فلا يُقصَد بذلك طبعاً المعنى الحرفي، أي مجرد السمع (أي دخول الكلام إلى الأُذن، ومِن ثمَّ استيعابه عصبياً في مركز السمع في المخ)، وينتهي الأمر. ذلك أنَّ فعل السمع هو تلقائي لا إرادي، ولا يحتاج إلى وصية تحث عليه. ولكن القصد المفهوم هنا هو **الإنصات والفهم وطاعة الكلمة** (بحسب الردِّ المتداوَل: "سمعاً وطاعة") **وقبولها بكل نشاط** (أع ١٧: ١١) أي تنفيذها على الفور.

وعندما يقول الكتاب: "**استمعوا لي استماعاً... اسمعوا فتحيا أنفسكم**" (إش ٥٥: ٢،٣) أو "**له اسمعوا**" (مت ١٧: ٥؛ مر ٩: ٧؛ لو ٩: ١٥) (أو كالأُم عندما تقول لابنها: "اسمع كلامي"). فالمقصود بالطبع: السمع والفهم (مت ١٥: ١)، والذي يهبنا إيَّاه "**الكلمة**" و"**صاحب الكلمة**" بعمل **الروح القدس**: "**حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكُتُب**" (لو ٢٤: ٤٥)، ومِن ثمَّ طاعة الكلام وتنفيذ الوصية واختبارها ونوال بركتها وفائدتها. وسيكون معنى **حِفْظ كلام الله**، بالتالي، ليس فقط ترديده عن ظهر قلب واختزانه في الذاكرة، وإنما تخبئته في القلب (مز ١١٩: ١١) وطاعته وتنفيذه واختباره وممارسته.

والقديس يعقوب في هذا الصدد ينصح: "**ليكن كل إنسان مُسرعاً في الاستماع** (أي متأهِّباً لقبول الكلمة وحفظها وطاعتها)... **اقبلوا بوداعة** (أي بتسليم ودون مراوغة) **الكلمة المغروسة القادرة أن تُخلِّص نفوسكم. ولكن كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسكم**". (فالتوقُّف عند حدود السماع هو خداع للنفس، لأنه يُعطي المرء انطباعاً كاذباً أنَّ له علاقة بكلمة الله، بينما هو في الحقيقة مجرد سامع. فالكلام لم يتجاوز الأُذُن إلى العقل والقلب، ولم يحُز الطاعة، والحياة لم تتغيَّر، فهذا هو الزيف بعينه). ويضيف القديس يعقوب هذا التشبيه البارع المُعبِّر عن هذه الحالة: "**لأنه إنْ كان أحدٌ**

سامعاً للكلمة وليس عاملاً، فذاك يُشبه رجلاً ناظراً وجه خِلْقته في مرآة، فإنه نظر ذاته ومضى، وللوقت نَسيَ ما هو. ولكن من اطَّلع على الناموس الكامل، ناموس الحرية، وثَبَتَ، وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة، فهذا يكون مغبوطاً في عمله" (يع ١: ١٩، ٢١-٢٥).

وقد يُقال إن النسيان في أحد جوانبه نعمة من النِّعَم. فالأحزان الساحقة والذكريات الأليمة تخف وطأتها مع الزمن ثم تُنسَى بعد حين، كي يستردَّ الإنسان عافيته النفسية. والأحداث العادية والأحاديث اليومية العابرة تسقط من الذاكرة تخفيفاً عن الذهن كي يُبالي فقط بما هو هام وخليق بالحفظ والتذكُّر. وكلام الله هو من هذا النوع الأخير الجدير حقّاً بالاكتراث والانتباه والاستيعاب والحفظ في الذاكرة بكل وسيلة: بالتكرار والدراسة والمداومة على القراءة اليومية والاختبار العملي. وحضور كلام الله في الذهن يُقدِّس الفكر ويُجدِّده: **"تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة الكاملة"** (رو ١٢: ٢)، ويجعل الكلمة قريبة من الفم والعقل والاستخدام؛ بل ويغسل النفس من أهوائها وأدرانها. ونسيان الكلمة إهانة لها وإهانة لَمن قالها ومَن أرسلها ومَن أوصى بها، وعلامة على ضعف العلاقة مع الله، وتعني الحرمان من النور والإرشاد الإلهي والتعزية في الضيقات والآلام.

+ كما أنَّ حفظ كلام الله وطاعته هو علامة أكيدة على **محبة النفس لخلِّصها**. ومن هنا فهي تحب وصيته وتتبعها لأنَّ بها حياتها. والرب نبَّه كثيراً إلى هذه العلاقة العضوية بين محبته وحفظ كلامه: **"إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي... الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يُحبُّني، والذي يُحبُّني يُحبُّه أبي، وأنا أُحبُّه، وأُظهِر له ذاتي... إنْ أحبَّني أحدٌ يحفظ كلامي، ويُحبُّه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً"** (يو ١٤: ١٥، ٢١، ٢٣).

وبالمقابل فالوصية تُعمِّق المحبة لله: **"إنْ حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي...أنتم أحبائي إنْ فعلتم ما أُوصيكم به"** (يو ١٥: ١٠، ١٤)، **"مَن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو** (يثبت) **فيه"** (١يو ٣: ٢٤).

وهذه هي وصية الله لبني إسرائيل التي جاءت مباشرة بعد وصية محبة الله: "**لتكن هذه الكلمات التي أنا أُوصيك بها اليوم على قلبك، وقصَّها على أولادك، وتكلَّم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق، وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك**" (تث ٦: ٦-٩).

ويترتب على ذلك أنَّ عدم حفظ كلمة الله والعمل بها يعني أنه، مهما ادَّعينا، فنحن لا نحب الله الذي أحبنا وأسلم ذاته لأجلنا (غل ٢: ٢٠)، وهذا بالتالي يطعن في إيماننا وتبعيتنا لشخص المسيح، فلننتبه.

+ وكلمة الله هي مصدرغني **للصلاة**. فهي تُغذيها بالمعاني الروحية، وتفتح أمامها آفاق الاتصال بالله، وتكشف للمؤمن عن حقوقه في التعزية والفرح، كما تكشف له دخائله، حتى يعرضها قدَّام مُخلِّصه، ساعياً إلى التوبة أو ملتمساً المعونة. ومن الناحية المقابلة، فالصلاة تستدعي روح الله المُوحِي بالكلمة، كي يكشف للنفس أعماق الوصية والحق الذي فيها، ويهب القدرة على طاعتها والانصياع لها. فالكلمة هي روح الصلاة، وبالصلاة يسطع أمامنا الحق الذي تنطوي عليه الكلمة.

وإذا كان **الصوم** بطبيعته يستدعي الصلاة، فمن الطبيعي أيضاً أن يتعالى خلاله اللهج في كلمة الله والتفرُّس فيها والتقدُّس بها.

لكي نسمع ونُثمر:

+ بيَّن لنا الرب في مَثَل الزارع أنَّ الذين **أثمرت** فيهم الكلمة، اقترن سماعهم **بقبولهم لها** (مر ٤: ٣) **وحفظهم لها** (لو ٨: ١٥)، مع تحلِّي المؤمن **بالصبر** (لو ٨: ١٥). أي أنَّ الأمر يتطلَّب إيماناً واثقاً، ورجاءً ثابتاً، وتصديقاً لمواعيد الله دون تعجُّل أو شكوك في انتظار الثمار.

ويحضرنا هنا ما كتبه مُعلِّمنا يعقوب لمنتظري الرب، موجِّهاً الأنظار إلى الفلاح الصابر على زرعه: "هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين **متأنياً عليه** حتى ينال المطر المُبكِّر والمتأخر. **فتأنوا أنتم** وثبِّتوا قلوبكم" (يع ٥: ٧،٨).

+ ومع الصبر يلزم أيضاً توفُّر **الطاعة** المطلقة لله (أع ٥: ٢٩) دون تحايُل أو إرضاء للذات، خاصة عندما تكشف الكلمة بنورها وَهَناً أو نكوصاً أو خيانة وتحلُّلاً من الالتزام. ولَمن يريد أن ينجو من الموت عليه أن يقبل الكلمة، مهما كانت قسوتها، والتحرُّر من التجربة التي دخلها طواعية، هارعاً إلى الأحضان الأبوية الداعية إلى الحياة.

كما أنَّ **الطاعة** واجبة عندما يُحاصر النفس المؤمنة الظلم أو الاضطهاد أو الآلام، فتستسلم للتدخُّل الإلهي في وقته المُعيَّن، صابرةً راضية، فقط تطلب المعونة على احتمال المسير أحياناً وسط الظلام دون بصيص من النور. ومكتوبٌ أنَّ الرب "**صار لجميع الذين يطيعونه** (أي يطيعون وصاياه وكلمته) **سبب خلاص أبدي**" (عب ٥: ٩)، وأنه "**بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً**" (رو ٥: ١٩).

وقد لا تتقن النفس الطاعة إلاَّ باجتيازها العديد من المحن والتجارب بسبب اختياراتها الخاطئة، حتى تترك للرب قيادة سفينة حياتها. وقدوتنا في الطاعة هو الرب يسوع المكتوب عنه أنه "**تعلَّم الطاعة ممَّا تألم به**" (عب ٥: ٨) (فالطاعة لا تبلغ مداها إلاَّ من خلال الآلام والمصاعب)، ولكن الرب في طاعته لم يتهرَّب ولم يُقاوم (يع ٥: ٦)، وثبَّت عينيه على الجلجثة "**وأطاع حتى الموت موت الصليب**" (في ٢: ٨).

فبقدر عِظَم الهدف تكون التضحيات، وكلما تعالت قيمة الحياة الأبدية في عين المؤمن كلما هان الثمن طاعةً لوصية الرب.

+ كما يحتاج المؤمن كي يُثمر، عندما يسمع، **لأُذُن مختونة** يُديرها ويقودها **قلب مختون** بالروح (رو ٢: ٩). فالأُذن المختونة بالروح هي تلك التي صارت مُخصَّصة ومضبوطة على سماع موجة الصوت الإلهي في الإنجيل وفهمه وطاعته، لا تُقاوم ولا تُبرِّر ولا تتجاهل ولا تُحوِّر ولا تطيش ولا تسهو ولا تعتذر، خاضعة، واعية، متنبِّهة، متأهبة للاستجابة مهما كانت العقبات، ومهما كان التخلِّي والغُرم، متوسِّلة للروح كي يسند طاعتها إلى الغاية.

والقديس استفانوس وصف أعضاء المجمع، الذين كانوا يُحاكمونه، برفضهم المخلِّص قائلاً: "**يا قساة القلوب وغير المختونين بالقلوب والآذان. أنتم دائماً تُقاومون الروح القدس**" (أع ٧: ٥١). فالأُذن الغلفاء لا تستجيب للروح، وإنما لموجات أخرى تحبها، هي ليست مستعدَّة للتضحية بها، فتتفادَى وتتهرب وتتحاشى وتسدُّ سمعها.

والكتاب يُشير إلى الذين "**لهم آذان ولا يسمعون**" (إر ٥: ٢١)، أو "**سامعين لا يسمعون ولا يفهمون... لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وآذانهم قد ثقل سماعها**" (إش ٦: ٩، ١٠؛ مت ١٣: ١٣، ١٥).

والمطلوب، إذاً، عندما نسمع أن **نفتح الباب** (أي نستجيب **ونطيع**) ليدخل الرب الذي يقول: "**هأنذا واقف على الباب وأقرع. إنْ سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي**" (رؤ ٣: ٢٠). عندما نقرأ الكتاب، فكأن الله يدقُّ على باب القلب بكلماته، وسيكون الردُّ الواجب هو **الطاعة**. والرب بالطبع سيدخل ويتعشَّى مع النفس المطيعة لا العاصية، وهذه يقول عنها الرب: "**لأنَّ مَن استحى بي وبكلامي، فإنَّ ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه**" (مر ٨: ٣٨).

+ ولكن ينبغي ألاَّ يغيب عن ذهن المؤمن أن الثمار ونموها ليست عمله هو، وإنما هي **عمل الروح القدس** الساكن فيه (غل ٥: ٢٢). فمَن يُلقي البذار "ينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف" (مر ٤: ٢٧). والرب عرَّفنا مُسْبَقاً أنه "**بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**" (يو ١٥: ٥)، وأنَّ "**الروح القدس هو الذي يُرشد إلى جميع الحق**" (يو ١٦: ١٣). والقديس بولس يكتب أنه: "**ليس الغارس شيئاً ولا الساقي، بل الله الذي يُنْمِي**" (١كو ٣: ٧)، و"**لا أنا بل نعمة الله التي معي**" (١كو ١٥: ١٠)، وأننا "**نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها**" (أف ٢: ١٠)، وأنَّ "**الله هو العامل فيكم، أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرَّة**" (في ٢: ١٣). فنحن بغير الروح القدس، روح المسيح، عاجزون عن طاعة الكلمة وتنفيذ تكليفات الله في الكتاب وتتميم إرادته، وبالروح تصير الوصايا مُمكنة وليست ثقيلة (١يو ٥: ٣).

نسمع ولا تثمر :

كما كشف لنا الرب عن كيف تثمر الكلمة في البعض، بيّن لنا أسباب الإخفاق في البعض الآخر، كي نتفاداها ونثمر، سواء أصحاب **القلوب المستباحة** من كل التيارات والأفكار دون تمييز، فالكلمات تعبر بغير إدراكها، أو أولئك **السطحيون العاطفيون** الذين يؤمنون إلى حين، ولكن القلوب في أعماقها حجرية، فما أن تداهمهم التجارب أو الإضطهاد حتى يكون ارتدادهم (لو٨: ١٣)، أو **منقسمو القلب خادمو السيدين** حيث تختنق الكلمة وسط الشوك الذي زرعوه، فالفشل في انتظارهم ولا ينضجون ثمراً (لو٨: ١٤).

ولكن الرب جاء من أجل هؤلاء أيضاً لكي ينقذهم من أنفسهم، وهو قادر على ذلك، مختطفاً إياهم من يد إبليس، كاشفاً لهم سوء حالهم وحاجتهم إلى التوبة والرجوع إليه والاحتماء به وفيه، وتطهير حياتهم من الأحجار والأشواك. وهكذا إن سمعوا الكلمة يكون القلب مستعداً للاستجابة "**هأنذا أرسلني**" (إش٦: ٨) "**تكلم يارب فإن عبدك سامع**" (١صم٣: ٩).

لنبدأ بالآية :

في تعاملنا مع كلمة الله، نحن بمعونة النعمة نهتدي بمواقف الرب ونتبعها: "**أما نحن فلنا فكر المسيح**" (١كو ٢: ١٦)، أو نتمثَّل بنهج أبطال الإيمان عَبْر العصور، سواء أنبياء العهد القديم أو رُسُل العهد الجديد (عب ١٣: ٧)، أو قد نستخدم الآية والوصية والسلوك بحسبها، بروحها لا بحرفها (٢كو ٣: ٦)، في مواقف الحياة المختلفة. وعلى قدر طاعتنا والتزامنا والاعتماد على قوة الكلمة المذخرة فيها، هكذا نتغيَّر كل يوم: "**ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها، من مجدٍ إلى مجد، كما من الرب الروح**" (٢كو ٣: ١٨).

وعلى سبيل المثال، هذه مجموعات ثلاث من الآيات المختارة للتطبيق:

(**١**) ففي مجال **الثقة في الله وعدم الخوف**: "**أنا هو لا تخافوا**" (مت ١٤: ٢٧؛ مر ٦: ٥٠؛ يو ٦: ١٠)، "**في العالم سيكون لكم ضيق، لكن**

ثقوا: أنا قد غلبتُ العالم" (يو ١٦: ٣٣)، **"إنْ كان الله معنا فمَن علينا"** (رو ٨: ٣١)، **"ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"** (مت ٢٨: ٢٠).

(٢) وفي مجال **التصرفات اليومية**: **"كل الأشياء تَحِلُّ لي، لكن ليس كل الأشياء توافِقُ... كل الأشياء تحل لي، ولكن ليس كل الأشياء تبني... كل الأشياء تحل لي، لكن لا يتسلَّط عليَّ شيء..."** (١كو ٦: ١٢؛ ١٠: ٢٣)، **"أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدَّام"** (في ٣: ١٣)، **"وكل مَن يُجاهد يضبط نفسه في كل شيء"** (١كو ٩: ٢٥).

(٣) وفي مجال **العلاقات مع الآخرين**: **"اغفروا يُغفَر لكم"** (لو ٦: ٣٧)، **"لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً"** (في ٢: ٤)، **"المحبة فلتكن بلا رياء... مُقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة... لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء"** (رو ١٢: ٩، ١٠، ١٩)، **"اغضبوا ولا تُخطئوا"** (أف ٤: ٢٦).

وعلى نفس النهج تعمل الآية في سائر مجالات الحياة فتكون نوراً للطريق وأداة للتغيير من أجل تتميم خلاصنا (في ٣: ١٢).

* * *

إن حاجتنا إلى كلمة الله ليست أمراً اختيارياً عارضاً، وإنما هي ضرورة حياتية. فهي أساس الإيمان وقرينة الحياة الأبدية، وهي نور الحياة، مُرشد الطريق ومصدر المساندة والتعزية وقت الآلام والمحن، وتحت ضوئها ينكشف انحراف قلبنا عن حقِّ المسيح ومحبته، فنُعدِّل مسارنا بالتوبة والرجوع.

ومن هنا **فعدم الدراية بها** يُلقي بالظلال على أصالة إيماننا وجدواه، كما يعني أننا فاقدون أسلحتنا في حروبنا الروحية، وأننا ندخلها مهزومين؛ **وعدم حفظها** يجعلنا نُعاني الضيقة والأوجاع وحدنا، فتصير الحياة أقسى من أن تُحتمَل بغير مقتض، بينما المعونة الناجعة مُتاحة لكل مَن يطلبها؛ **وتجاهلها** رغم معرفتنا بفاعليتها يُظهر أننا نتفادَى التوبة ونتخبَّط في الظلام، محرومين في ذات الوقت من التحوُّل إلى النور وحياة القداسة.

فهيَّا إلى ينابيع الخلاص لنستقي مياهاً حيَّة بفرح (إش ١٢: ٣)، **ونُعوِّض عن السنين التي أكلها الجراد** (يؤ ٢: ٢٥)، **وكفانا عطشاً والنهر يفيض.**

الأحد الثالث من شهر طوبة

شهادة يوحنا المعمدان عن المسيح

عشية مز ٧٧: ١٨، ١٩ يو٥: ١-١٨
باكر مز ٩٧: ٦، ٤ يو٣: ١-٢١
البولس : عب١٠: ١٩-٣٩
الكاثوليكون : ١يو ٤: ١١-٢١
الإبركسيس : أع ٢: ٣٨-٤٥

مز٦٦: ١٢، ٨

الإنجيل : يو٣: ٢٢- ٣٦

[٢٢]وَبَعْدَ هذَا جَاءَ يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ إِلَى أَرْضِ الْيَهُودِيَّةِ، وَمَكَثَ مَعَهُمْ هُنَاكَ، وَكَانَ يُعَمِّدُ. [٢٣]وَكَانَ يُوحَنَّا أَيْضًا يُعَمِّدُ فِي عَيْنِ نُونٍ بِقُرْبِ سَالِيمَ، لأَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانُوا يَأْتُونَ وَيَعْتَمِدُونَ . [٢٤]لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوحَنَّا قَدْ أُلْقِيَ بَعْدُ فِي السِّجْنِ.
[٢٥]وَحَدَثَتْ مُبَاحَثَةٌ مِنْ تَلاَمِيذِ يُوحَنَّا مَعَ يَهُودٍ مِنْ جِهَةِ التَّطْهِيرِ. [٢٦]فَجَاءُوا إِلَى يُوحَنَّا وَقَالُوا لَهُ:«يَا مُعَلِّمُ، هُوَذَا الَّذِي كَانَ مَعَكَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، الَّذِي أَنْتَ قَدْ شَهِدْتَ لَهُ، هُوَ يُعَمِّدُ، وَالْجَمِيعُ يَأْتُونَ إِلَيْهِ» [٢٧]أَجَابَ يُوحَنَّا وَقَالَ:«لاَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ السَّمَاءِ. [٢٨]أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ تَشْهَدُونَ لِي أَنِّي قُلْتُ: لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ بَلْ إِنِّي مُرْسَلٌ أَمَامَهُ. [٢٩]مَنْ لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ، وَأَمَّا صَدِيقُ الْعَرِيسِ الَّذِي يَقِفُ وَيَسْمَعُهُ فَيَفْرَحُ فَرَحًا مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْعَرِيسِ. إِذًا فَرَحِي هذَا قَدْ كَمَلَ. [٣٠]يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا

أَنْقُصُ. [٣١]اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، وَالَّذِي مِنَ الأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ، وَمِنَ الأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. اَلَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، [٣٢]وَمَا رَآهُ وَسَمِعَهُ بِهِ يَشْهَدُ، وَشَهَادَتُهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْبَلُهَا. [٣٣]وَمَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ خَتَمَ أَنَّ اللهَ صَادِقٌ، [٣٤]لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ اللهِ. لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللهُ الرُّوحَ. [٣٥]اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ. [٣٦]اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ».

علاقة **يوحنا المعمدان بالرب يسوع** قديمة، وكتب عنها الأنبياء. فقبل أكثر من سبعة قرون من مجيء الرب، كتب **إشعياء** بالوحي الإلهي مُنبئاً عمَّن سيأتي ليُهيِّئ الطريق أمام الرب: "**عزُّوا عزُّوا شعبي، يقول إلهكم، طيِّبوا قلب أُورشليم ونادوها بأنَّ جهادها قد كَمُلَ، أنَّ إثمها قد عُفِيَ عنه... صوتُ صارخ في البريَّة، أعِدُّوا طريق الرب، قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كلُّ وطاء يرتفع، وكل جبل وأَكَمَة ينخفض، ويصير المُعْوَجُّ مُستقيماً، والعراقيب سهلاً. فيُعلَن مجدُ الرب ويراه كل بشر جميعاً، لأن فم الرب تكلَّم**" (إش ٤٠: ١-٥). وبعده بثلاثة قرون يكتب **النبي ملاخي**: "**هأنذا أُرسِل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف. فيَرُدُّ قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا آتي وأضرب الأرض بلَعْنٍ**" (ملا ٤: ٥،٦) [(١)].

وقد اقترن ميلاد المعمدان بميلاد المخلِّص، وكان ميلاد كلٍّ منهما مُعجزيّاً. **فيوحنا** كانت أُمه **أليصابات** عاقراً، وكانت مع زوجها **زكريا الكاهن** مُتقدِّمَيْن

---

(١) وهي النبوَّات التي استعادها **الملاك المُبشِّر لزكريا** (لو ١: ١٧)، **وزكريا** في تسبحته عند ميلاد يوحنا (لو ١: ٧٦)، **والإنجيليون** (مت ٣: ٣؛ مر ١: ٢،٣؛ لو ٣: ٤-٦)، **ويوحنا المعمدان** نفسه ضمن ردِّه على مَن سألوه عن هويته (يو ١: ٢٣).

في أيامهما (لو ١: ٧). وبشَّر **جبرائيل**، رئيس الملائكة، زكريا بأنَّ طلبته القديمة ظلَّت قائمة أمام الله، وها هي قد سُمِعَت في ملء الزمان. ثم بعد ستة أشهر يأتي جبرائيل ليُبشِّر **عذراء الناصرة** أيضاً بميلاد **مخلِّص العالم**، وفي السياق يُشير إلى حَبَل أليصابات نسيبتها العاقر "**بابن في شيخوختها**" (لو ١: ١٣، ٢٦-٣٦).

وتذهب **مريم** بسرعة إلى الجبال تُبارك وتُهنِّئ وتساعد. ويُسجِّل الكتاب أن **يوحنا** الجنين "**ارتكض في بطن أُمه**"، وقد تواجَه أمام **ابن الله** المتجسِّد. ويُطلِق الوحي على لسان أليصابات قولها: "**مِن أين لي هذا، أن تأتي أُم ربي إليَّ؟**" (لو ١: ٤٣).

يوحنا يبدأ خدمته:

هكذا كان اللقاء الأول بين يوحنا وسيِّده الذي سيُهيِّئ الطريق قدَّامه. ثم باعَدَت بينهما الأيام. فالمسيح، بعد العودة من مصر، عاش طفلاً وصبياً وشاباً بين الناصرة وأورشليم. ويوحنا، منذ أن بلغ سن الشباب "**كان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل**" (لو ١: ٨٠)، حتى أنه قال عن المسيح بعد معموديته: "**وأنا لم أكن أعرفه**" (أي لم يلتق به وجهاً لوجه)، **لكن الذي أرسلني لأعمِّد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومُستَقِرّاً عليه، فهو الذي يُعمِّد بالروح القدس. وأنا قد رأيتُ وشَهدْتُ أنَّ هذا هو ابن الله**" (يو ١: ٣٣، ٣٤).

ولكن يوحنا كان يعرف أن مجيئه إلى العالم مِن والدين شيخين كان لمهمة ورسالة: أن يتقدَّم أمام الرب "**بروح إيليا وقوته... لكي يُهيِّئ للرب شعباً مُستعِدّاً**" (لو ١: ١٧). وكان يوحنا عارفاً بقدره وأنه مجرَّد صوتِ صارخ في البريَّة، كما كان يعرف أيضاً قدر مَن يخدمه ويُبشِّر به قبل أن يراه. هكذا كان يكرز قائلاً: "**أنا أُعمِّدكم بماء للتوبة. ولكن الذي يأتي بعدي (الذي صار قدَّامي لأنه كان قبلي) هو أقوى مني، الذي لستُ أهلاً أن أحمل حذاءه**

(أنحني وأحلّ سيور حذائه)... أنا عمَّدتكم بالماء وأما هو فسيُعمِّدكم بالروح القدس (ونار)" (مت ٣: ١١؛ مر ١: ٧،٨؛ لو ٣: ١٦؛ يو ١: ٢٧،٣٠).

يوم المعمودية :

ولما جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ليعتمد من يوحنا، كي يستعلِن نفسه لإسرائيل والعالم، ويبدأ مهمته الخلاصية؛ نرى كم شعر يوحنا بصغر نفسه أمام يسوع، الذي – وإن كان قريبه بالجسد ويصغره بستة شهور – إلاَّ أنه كان يُدرك الفارق الهائل بينهما. فهو العبد أمام السيِّد. ومن هنا قال له متمنِّعاً خجولاً: **"أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليَّ"**، فيُجيبه المسيح مُلاطفاً ومُبيِّناً أنَّ ما سيفعله هو ضمن التدبير الإلهي: **"اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نُكَمِّل كلَّ برٍّ. حينئذ سَمَحَ له"** (مت ٣: ١٤،١٥)[٢]. بعدها يُتاح للمعمدان وتلاميذه والذين كانوا معه أن يشهدوا ويسمعوا ما لم يسبق لأحد قط أن رآه أو سمعه، فهذا صوت الآب يُعلِن حبه ورضاه، ويشهد أن هذا هو ابن الله الآتي إلى العالم، ويرون الروح القدس نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه (مت ٣: ١٦؛ مر ١: ١٠، ١١).

ولا شكَّ أن ما رآه يوحنا المعمدان وسمعه في ذلك اليوم لم يُفارق وعيه، وجعله وهو يقول شهادته عن الرب، يتصاغر جداً مُغرقاً في اتضاعه أمام ملك الملوك، الذي فاقت وداعته واتضاع قلبه كل البشر.

شهادة المعمدان عن المسيح :

ونقصد بها ما جاء في إنجيل قدَّاس اليوم[٣]. كان يوحنا في ذلك الوقت

---

(٢) اتضاع المسيح هو الحقيقي المعجزي، لأن فيه تنازُل من الموقع الأول إلى الأخير. تواضُع الإنسان هو إقرار بالحقيقة، فكل قدراته موهوبة له، ويمكن أن يفقدها كلها إذا تخلَّت عنه النعمة.

(٣) نُلاحِظ أنَّ إنجيل باكر (يو ٣: ١-٢١، الذي يتضمن حديث المسيح لنيقوديموس عن الولادة الثانية من الماء والروح)، هو الجزء السابق مباشرة على إنجيل القدَّاس (يو ٣: ٢٢-٣٦)، فالفصلان معاً يشملان الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا بأكمله.

قد ترك نهر الأردن، بسبب توتُّر العلاقة بينه وبين الملك هيرودس بعد أن وبَّخه علناً لارتباطه بزوجة أخيه فيلبُّس، وذهب يُعمِّد بعيداً في عين نون(٤) حيث الماء الوفير. وما دعا يوحنا للإدلاء بشهادته عن المسيح هنا، هو ذلك الجدال الذي ثار بين تلاميذ يوحنا وبعض اليهود من جهة التطهير، وقد أزعجهم أن تلاميذ المسيح شرعوا هم أيضاً في التعميد (وإنْ ظنُّوا أن يسوع يُعمِّد معهم، وهو ما نفاه الإنجيل - يو ٤: ٢)، ورأوا أنهم يُنافسون معلِّمهم الذي كان منفرداً بهذه المهمة. وبحُكْم ولائهم لمعلِّمهم وغيرتهم لأجله، فقد جاءوا إليه يُحفِّزونه للدفاع عن خدمته وموقفه الذي يوشك أن يضيع لحساب السيِّد الجديد وجماعته. ودون أن يذكروا اسمه، ضيقاً به وحطّاً من قدره، قالوا: "**يا معلِّم، هوذا الذي كان معك في عَبْر الأردن** (يوم المعمودية)، **الذي أنت شَهِدْتَ له، هو يُعمِّد، والجميع يأتون إليه**" (يو ٣: ٢٦). فأنت تُعظِّم من شأنه، وهو يزيحك ليأخذ مكانك ومكانتك!(٥).

هنا تأتي **شهادة يوحنا** رجل الله الذي امتلأ (من بطن أُمه، ومِن قبله أبوه وأُمه) بالروح القدس (لو ١: ١٥،٤١،٦٧،٨٠)، وهي تكشف عن نقاوة قلبه وإدراكه حدوده وقناعته بدوره، وأيضاً عن استنارة ذهنه بالمعرفة الإلهية. فالذي يتكلَّمون عنه، هو الذي من أجله جاء يوحنا ليُهيِّئ له شعباً مُستعِدّاً، فأنْ يتَّجه الناس للمسيح يعني نجاح مهمته، وأن يبدأ المسيح كرازته هو إيذانٌ بأن يُسلِّمه مقاليد الأمور، وأن يتراجع هو إلى الظل ليكون المجد كله للرب ولمسيحه.

مِن هنا فلم تُحرِّك كلمات تلاميذه المتحمسين له كوامن الذات فيه، وإنما جعلته بالأكثر ينحاز للحق الإلهي، وأن يتأهَّب لأن يُعلِن لإسرائيل وللعالم

---

(٤) أو "**نبع الحمامة**" قُرْب ساليم، وتقع في براري غرب الأردن بين اليهودية والسامرة، شمال الناصرة وشرق نابلس الحالية.

(٥) هكذا عبَّر الفرِّيسيون أيضاً عن ضيقهم إزاء اتساع دائرة الناس حول المسيح وهو يجول يصنع خيراً، فقالوا بعضهم لبعض: "**انظروا! إنكم لا تنفعون شيئاً! هوذا العالم قد ذهب وراءه!**" (يو ١٢: ١٩).

شهادته الأخيرة قبل أن يطويه الزمان. وهو قَصَدَ أيضاً أن يضع تلاميذه على الطريق الصحيح، كي تستنير أذهانهم بالحق، ويُمهِّد لهم أن يتحوَّلوا نحو المسيح شمس البرِّ (يو ١: ٣٥-٣٧):

(**١**) وبكلمات يُكلِّلها اتضاعه ووضوح رؤيته واستنارته بالروح كمختار من الله لتهيئة العالم لمجيء المخلِّص، يقول هذا القانون الذي يضع الأمور في نصابها: "**لا يقدر إنسانٌ أن يأخذ شيئاً إنْ لم يكُن قد أُعطِيَ من السماء**" (يو ٣: ٢٧). ففي مجال خدمة الله ليس هناك مَن يقدر أن يغتصب عمل الله بالزيف، أو أن يتم التنافُس على اجتذاب الناس بوسائل مادية أو جسدية. فالأمر أولاً وأخيراً هو بيد الله ضابط الكل: "**الذي يفتح ولا أحد يُغلق، ويُغلق ولا أحد يفتح**" (رؤ ٣: ٧)، وهو صاحب الكَرْم والخدمة والمُرسِل للخُدَّام والمُحدِّد للمهام والقدرات، وهو الذي يُحرِّك القلوب، والذي يُبارك العمل، ويُنبت الثمار: "**إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي، بل الله الذي يُنْمِي**" (١كو ٣: ٧).

فنجاح الخدمة مُرتبطٌ كلِّيّاً بالذي "**يُعطي من السماء**"، والذي من الله يثبت والذي ليس من الله يزول، أو كما قال مُعلِّم الناموس "غمالائيل" للكهنة والصدُّوقيين الذين أزعجتهم كرازة التلاميذ، والذين حررهم ملاك الرب من سجنهم: "**إنْ كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف يَنْتَقِضُ، وإنْ كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه، لئلا تُوجَدوا مُحاربين لله أيضاً**" (أع ٥: ٣٨،٣٩).

(**٢**) ثم يُذكِّر (المعمدان) تلاميذه بما أقرَّ به من قبل أمامهم، شاهداً بالحقِّ: "**أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلتُ: لستُ أنا المسيح بل إني مُرسَلٌ أمامه**" (يو ٣: ٢٨). فهو لم يشغله التفاف تلاميذه حوله وتمسُّكهم بقيادته، وإنما أن تصحَّ رؤيتهم ويُدركوا الحق وينحازوا إليه.

(٣) ومستعيداً ما جاء في أسفار الأنبياء عن العلاقة بين المسيح وشعب الله (أي كنيسة العهد الجديد)، والتي شبهوها بتلك التي بين العريس والعروس[٦]، فيقول: "**مَن له العروس فهو العريس؛ وأمَّا صديق العريس الذي يقف ويسمعه، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كَمَلَ**" (يو ٣: ٢٩).

ها هو الخادم الأمين والنبي الملتزم بحدود مهمته لا يتجاوزها، وغايته مجد مَن أرسله، يتنحَّى لكي يُقدِّم مَن جاء ليُمهِّد الطريق قدَّامه، ويعدَّ له الشعب بمعمودية التوبة. ومُنكراً ذاته، ومُقرّاً بالفارق بينه وبين ملك الدهور، يُعلِن أنه قد جاء **العريس** الذي ظلَّت العروس في انتظاره القرون. وها هو يأتي في آخر الأيام ليُخلِّصها من الموت، ويبذل نفسه من أجلها، ويهبها الحياة الأبدية (أف ٥: ٢٥). أما هو، يوحنا، فقد انتهى دوره، وهو خارج إطار الحفل البهيج. هو مجرد **صديق العريس** الذي يتوسَّط بين الطرفين، ويخدم صديقه العريس، ويُعاون في الإعداد للحفل. وهو يستقبل العريس في يوم العُرْس، ويُقدِّمه إلى العروس، وبعدها يخلي موقعه ويتوارى. وهو لا يبتئس لهذه النهاية، بل يبتهج أنَّ كرازته قد بلغت غايتها السعيدة. وهو يفرح لصوت العريس وهو الآن يملأ الآفاق بكرازته وتعاليمه التي يُعلِن بها عهد الله الجديد (إر ٣١: ٣١).

(٤) الطبيعي الآن، والذي يتحتَّم أن يصير، هو: "**أنَّ ذلك** (المسيح) **يزيد وأني أنا** (يوحنا) **أنقُص**" (يو ٣: ٣٠). المسيح هو الآن النجم الساطع الذي في حضوره تأفل كل النجوم. هو يتقدَّم وهم يتراجعون. لقد جاء الذي يُعمِّد بالماء والروح القدس، وليختم على معمودية الماء للتوبة.

---

(٦) "**وأَخطُبُكِ لنفسي إلى الأبد، وأَخطُبُكِ لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أَخطُبُكِ لنفسي بالأمانة، فتعرفين الرب**" (هو ٢: ١٩، ٢٠)، "**فمررتُ بكِ ورأيتُكِ وإذا زمنُكِ زمنُ الحُبِّ. فبسطتُ ذيلي عليكِ، وسترتُ عورتكِ، وحلفتُ لكِ، ودخلتُ معكِ في عهدٍ، يقول السيد الرب، فَصِرتِ لي**" (حز ١٦: ٨).

(٥) وتتواصَل الشهادة. **فالمسيح هو فوق الجميع**، لأنه لم يأتِ من الأرض، مثل يوحنا (الذي هو أرضي، ومن الأرض يتكلَّم)؛ وإنما نزل من السماء مُتجسِّداً من الروح القدس (ومن العذراء القديسة مريم). وهو الذي كشف لنا عن الآب الذي: "**لم يَرَه أحدٌ قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر**" (يو ١: ١٨)، "**وما رآه وسمعه** (الابن) **به يشهد... ومَن قَبلَ شهادته قد خَتَمَ أنَّ الله صادقٌ، لأن الذي أرسله الله يتكلَّم بكلام الله** (وهو الذي سيُرسل الروح القدس). **لأنه ليس بكَيْل يُعطي الله الروحَ**" (يو ٣: ٣١-٣٤).

ولأن الآب يحب الابن، فهو قد دفع كل شيء في يده، ويصير الإيمان به هو المدخل إلى الحياة الأبدية: "**الذي يؤمن بالابن له حياةٌ أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياةً بل يمكث عليه غضب الله**" (يو ٣: ٣٥، ٣٦) (٧).

* * *

يوحنا المعمدان نموذج لخادم الله الأمين الذي يُقدِّم المسيح للعالم، ويُعطي المجد لله وحده؛ أما هو فينسحب إلى الظل.

والمسيح، ابن الله الأزلي، نموذج الاتضاع الحقيقي عندما أخلى نفسه آخذاً صورة عبد (في ٢: ٧). وفي كرازته كان يُمجِّد الآب ويقول: "**مجداً من**

---

(٧) تتعدَّد الآراء فيمَن قال هذا الجزء (يو ٣: ٣١-٣٦) عن شخص المسيح. فهو بحسب اتصاله بمَا سبق يُنسَب إلى يوحنا المعمدان (كما يقبل بذلك القدِّيسان يوحنا ذهبي الفم وأُغسطينوس). وَلكن بعض المفسِّرين وعلماء الكتاب يرون صعوبة نسبته إلى المعمدان، لأن رسالته تحدَّدت في التمهيد لمجيء الرب باعتباره مسيَّا الآتي بحسب مفهوم العهد القديم، وليس في استعلان لاهوته كابن الله (فهذا تم بصورة كاملة بصوت الآب ونزول الروح القدس عليه كحمامة يوم المعمودية). وبالتالي فهُم ينسبونه إلى كاتب الإنجيل القديس يوحنا آخذاً من روح الكلمات التي فاه بها الرب لنيقوديموس (يو ٣: ١١، ١٥-١٨). فالآيتان: "**الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع... وما رآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها**" (يو ٣: ٣١،٣٢)، تُقابلهما الآية: "**إننا إنما نتكلَّم بما نعلم ونشهد بما رأينا، ولستم تقبلون شهادتنا**" (يو ٣: ١١). كما أنَّ الآية الأخيرة (يو ٣: ٣٦) تبدو غير بعيدة عمَّا فاه به المسيح لنيقوديموس: "**الذي يؤمن به لا يُدان، والذي لا يؤمن قد دِينَ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد**" (يو ٣: ١٨)، ويكتبها القديس يوحنا ضمن رسالته الأولى: "**وهذه هي الشهادة: أنَّ الله أعطانا حياةً أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. مَن له الابن فله الحياة، ومَن ليس له ابن الله فليست له الحياة**" (١يو ٥: ١١،١٢).

الناس لستُ أقبل" (يو ٥: ٤١)، **"نزلتُ من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني"** (يو ٦: ٣٨). ويقول لتلاميذه: **"مَن أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. ومَن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً. كما أنَّ ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم، وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين"** (مت ٢٠: ٢٦-٢٨؛ مر١٠: ٤٣-٤٥).

والرسالة لكل خادم، أن يقتفي أَثَر **المعلِّم** الذي **"ترك لنا مثالاً لكي تتَّبعوا خطواته"** (١بط ٢: ٢١)، وأن يتعلَّم من **المعمدان ورُسل المسيح** أن يكون هدف الكرازة شخص المسيح الذي: **"ليس بأحد غيره الخلاص"** (أع ٤: ١٢)، **"لم أَعْزِمْ أن أعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإيَّاه مصلوباً"** (١كو ٢: ٢).

والرسالة لكل مؤمن، أن يكون الله هو الأول في الحياة قبل النفس وقبل الأهل والكل، محبوباً من كل القلب والنفس والفكر والقدرة. فهو الذي أحبَّنا أولاً، ونحن مدينون له بخلاصنا وانتقالنا من الموت إلى الحياة الأبدية. ولأن أُولى وصاياه هي: **"لا يكُن لك آلهة أخرى أمامي"** (خر ٢٠: ٣)، يصير قانون حياتنا هو: عبادته، وحفظ كلمته، وخدمته، وتكريس مواهبنا وكل ما نملك له، قائلين مع داود: **"لأن منك الجميع، ومِن يدك أعطيناك"** (١أي ٢٩: ١٤)، وعندما نكون في محضر الله تتصاغر نفوسنا أمام مجده ونُردِّد مع المعمدان: **"ينبغي أنَّ إلهنا يزيد، وأننا نحن ننقص"**، ونُردِّد مع أبينا إبراهيم بغير رياء وبكل خشوع: **"إننا تراب ورماد"** (تك ١٨: ٢٧)؛ فهذه هي الحقيقة.

ولا يعني هذا أن نتضع أمام الله وننتفخ أمام إخوتنا. فهُم كلهم إخوة المسيح ويحملون صورته. ووصايا الكتاب تُخاطبنا: **"مُقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة"** (رو ١٢: ١٠)، **"بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً"** (غل ٥: ١٣)، **"خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله"** (أف ٥: ٢١). هكذا نحن أيضاً نشهد للرب وإنجيله.

الأحد الرابع من شهر طوبة

المسيح نور العالم

تفتيح عيني المولود أعمى

عشية مز ٧٨: ٢٠، ٢٣ يو٥: ٣١-٤٦
باكر مز٨٠: ٧، ١٨ يو٦: ٤٧-٥٨
البولس : رو١١: ١٣-٣٦
الكاثوليكون : ١يو ٥: ٩-٢١
الإبركسيس : أع ١١: ٢-١٨

مز٣٦: ٩، ١٠

الإنجيل : يو٩: ١- ٣٨

[1]وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَانًا أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ، [2]فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ:«يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟». [3]أَجَابَ يَسُوعُ:«لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَأَبَوَاهُ، لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ. [4]يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. [5]مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ». [6]قَالَ هذَا وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى. [7]وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: مُرْسَلٌ، فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيرًا. [8]فَالْجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلاً أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى، قَالُوا:«أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطِي؟» [9]آخَرُونَ قَالُوا:«هذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ يُشْبِهُهُ». وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ:«إِنِّي أَنَا هُوَ». [10]فَقَالُوا لَهُ:«كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟» [11]أَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ:«إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ صَنَعَ طِينًا وَطَلَى عَيْنَيَّ، وَقَالَ لِي: اذْهَبْ إِلَى بِرْكَةِ سِلْوَامَ

وَاغْتَسِلْ. فَمَضَيْتُ وَاغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ». ١٢فَقَالُوا لَـهُ:«أَيْـنَ ذَاكَ؟» قَالَ:«لاَ أَعْلَمُ».

١٣فَأَتَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ بِالَّذِي كَانَ قَبْلاً أَعْمَى. ١٤وَكَانَ سَبْتٌ حِـينَ صَنَعَ يَسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ. ١٥فَسَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ أَيْضًا كَيْفَ أَبْصَرَ، فَقَالَ لَهُمْ:«وَضَعَ طِينًا عَلَى عَيْنَيَّ وَاغْتَسَلْتُ، فَأَنَا أُبْصِرُ». ١٦فَقَالَ قَـوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ:«هذَا الإِنْسَانُ لَيْسَ مِنَ اللهِ، لأَنَّهُ لاَ يَحْفَـظُ السَّـبْتَ». آخَرُونَ قَالُوا:«كَيْفَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ هذِهِ الآيَـاتِ؟» وَكَانَ بَيْنَهُمُ انْشِقَاقٌ. ١٧قَالُوا أَيْضًا لِلأَعْمَى:«مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِـنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» فَقَالَ:«إِنَّهُ نَبِيٌّ!». ١٨فَلَمْ يُصَدِّقِ الْيَهُودُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى فَأَبْصَرَ حَتَّى دَعَـوْا أَبَـوَيِ الَّـذِي أَبْصَـرَ. ١٩فَسَـأَلُوهُمَا قَائِلِينَ:«أَهذَا ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولاَنِ إِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى؟ فَكَيْفَ يُبْصِـرُ الآنَ؟» ٢٠أَجَابَهُمْ أَبَوَاهُ وَقَالاَ:«نَعْلَمُ أَنَّ هذَا ابْنُنَا، وَأَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى. ٢١وَأَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ فَلاَ نَعْلَمُ. أَوْ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلاَ نَعْلَمُ. هُـوَ كَامِـلُ السِّـنِّ. اسْأَلُوهُ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ». ٢٢قَالَ أَبَوَاهُ هذَا لأَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنِ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِـيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمَجْمَعِ. ٢٣لِذلِكَ قَالَ أَبَوَاهُ:«إِنَّهُ كَامِلُ السِّنِّ، اسْأَلُوهُ».

٢٤فَدَعَوْا ثَانِيَةً الإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى، وَقَالُوا لَهُ:«أَعْطِ مَجْدًا للهِ. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هذَا الإِنْسَانَ خَاطِئٌ». ٢٥فَأَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ:«أَخَاطِئٌ هُوَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا أَعْلَمُ شَيْئًا وَاحِدًا: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَـى وَالآنَ أُبْصِـرُ». ٢٦فَقَالُوا لَهُ أَيْضًا:«مَاذَا صَنَعَ بِكَ؟ كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» ٢٧أَجَابَهُمْ:«قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيْضًا؟ أَلَعَلَّكُمْ أَنْـتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تَلاَمِيذَ؟» ٢٨فَشَتَمُوهُ وَقَالُوا:«أَنْتَ تِلْمِيـذُ ذَاكَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا تَلاَمِيذُ مُوسَى. ٢٩نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَمَّـا هذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ». ٣٠أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُمْ:«إِنَّ فِـي هـذَا عَجَبًا! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ. ٣٢وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لاَ يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ، فَلِهـذَا

يَسْمَعُ. [٣٢]مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى. [٣٣]لَوْ لَمْ يَكُنْ هذَا مِنَ اللهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا». [٣٤]أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ:«فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ، وَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا!» فَأَخْرَجُوهُ خَارِجًا.
[٣٥]فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجًا، فَوَجَدَهُ وَقَالَ لَهُ:«أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟» [٣٦]أَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: «مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لأُومِنَ بِهِ؟» [٣٧]فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ!». [٣٨]فَقَالَ: «أُومِنُ يَا سَيِّدُ!». وَسَجَدَ لَهُ.

عندما رأى الرب – وهو مجتاز – إنساناً أعمى منذ ولادته، وسأله تلاميذه عن سبب ولادته أعمى: أهي خطيته أم خطية والديه؟ أجاب الرب: إنها ليست السبب، وإنما "**لتظهر أعمال الله فيه**" (يو٩:٣)، **ولكي يُظهِر الرب مجده**، مُقدِّماً نفسه أنه "**نور العالم**" (يو ٩:٥)، فبَدَت المفارقة ساطعة بين الظلام الذي يسبح فيه الأعمى منذ ولادته، والنور الذي سينتقل إليه بواسطة "**نور العالم**".

الله مصدر النور :

+ إذا رجعنا إلى البدايات الأولى للخليقة كما جاءت في الأصحاح الأول من سفر التكوين، نعرف أن الله هو **خالق النور**، وهو الذي فصله عن الظلمة:

"وقال الله: ليكن **نور** فكان **نور**... وفصل الله بين **النور والظلمة**... ودعا الله **النور نهاراً**، **والظلمة** دعاها **ليلاً**" (تك ١: ٣و٤).

+ ولكن الكتاب يكشف لنا أن الله هو **النور الحقيقي**، وكما أنه **الحياة المطلقة وأصل الحياة** التي وهبها للخليقة وتاجها الإنسان: "ونفخ في أنفه **نسمة حياة**، فصار آدم **نفساً حية**" (تك ٢: ٧)، فهو أيضاً **مصدر النور** وواهبه، وهو منفصل عن الظلمة (التي هي في حقيقتها غياب النور):

"**الله نور وليس فيه ظلمة البتة**" (١يو ١: ٥)؛ "... **ساكناً في نور لا يُدنى منه**" (١تي ٦: ١٦)؛ "**بنورك نرى نوراً**" (مز ٣٦: ٩)؛ "**الرب نوري وخلاصي**" (مز ٢٧: ١)؛ "**اللابس النور كثوب**" (مز ١٠٤: ٢).

وإنه هو الذي يُنير الأبدية حيث لا توجد ظلمة، كما يذكر الوحي في سفر الرؤيا عن المتمتعين بقيامة الحياة:

"وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم. **ولا يكون ليل هناك**، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن **الرب الإله يُنير عليهم**" (رؤ ٢٢: ٤و٥).

عن النور والظلمة :

وفي الكتاب اتسع معنى النور والظلمة:

+ فصار "**النور**" (**والنهار**) رمزاً واضحاً إلى الله وبرِّه، وإلى الحياة النشطة مع الله:

"جميعكم **أبناء نور وأبناء نهار**... أما نحن **الذين من نهار** فلْنَصْحُ" (١تس ٥: ٥و٨)؛ "فيه كانت الحياة، **والحياة كانت نور الناس**" (يو ١: ٤)؛ "نلبس أسلحة **النور**" (رو ١٣: ١٢).

كما يرمز أيضاً إلى مجيء الرب: "تقارَب **النهار**" (رو ١٣: ١٢).

+ وصارت "**الظلمة**" (**والليل**) رمزاً للخطية وعالم الشر والحياة في الإثم أو الحياة الحاضرة البعيدة عن الله:

"والنور يُضيء في **الظلمة**، **والظلمة** لم تُدركه" (يو ١: ٥)؛ "لا تشتركوا في **أعمال الظلمة** غير المثمرة بل بالحري وبِّخوها" (أف ٥: ١١).

+ ويرتبط بالظلمة **النوم** الذي يرمز إلى الغفلة أو الفتور أو النسيان، وبالمقابل فإن الاستيقاظ رمز للنهوض من حياة الخطية والعودة إلى الله:

"هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة **لنستيقظ من النوم**. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد **تناهى الليل وتقارَب النهار**، فلنخلع أعمال

الظلمة ونلبس أسلحة **النور**" (رو ١٣: ١١و١٢).

+ كما قد يعني "الليل" **الموت ونهاية الحياة**: "يأتي **ليل** حين لا يستطيع أحد أن يعمل" (يو ٩: ٤).

+ ولم يَعُد "الأعمى" ذلك الذي لا يرى النور فحسب، وإنما هو رمز لحياة الخاطئ بعيداً عن الله تائهاً متخبِّطاً في ظلام الخطية، لاهياً عن مصيره الأبدي.

والرب أدان ملاك كنيسة اللاودكيين لفتوره واكتفائه واستعلائه وجهله بما صار إليه قائلاً له: "ولست تعلم أنك أنت الشقي والبئس وفقير **وأعمى** وعريان"، وأشار عليه كي تنفتح عيناه الداخليتان أنْ: "**كحِّل عينيك بكحل لكي تبصر**" (رؤ ٣: ١٧و١٨). فالتوبة والحياة في النور هي الكفيلة بمنح البصيرة الروحية التي تحفظ الإنسان في طريق الحياة.

المسيح النور الحقيقي :

في قانون الإيمان نعترف أن المسيح ابن الله الوحيد هو "**النور الحقيقي**"، وأنه "**نور من نور**"، "إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ".

+ وعندما تجسَّد الابن استتر لاهوته وراء ناسوته كي يستطيع أن يتعامل معه الإنسان. ويختلط الرب بالجموع – وهو الله – كواحد منهم جاء لخلاصهم، وبالتالي فقد أخفى نوره الطبيعي، وقدَّم **وجه النور الآخر، وهو بره الكامل الذي يكتسح ظلمة الخطية والموت، ويهب مؤمنيه الخلاص والحياة في النور:**

"شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في **النور**، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (كو ١: ١٢و١٣)؛ "الذي دعاكم من الظلمة إلى **نوره العجيب**" (١بط ٢: ٩)؛ "**نور أشرق في الظلمة**" (مز ١١٢: ٤)؛ "**نور إعلان للأمم**" (لو ٢: ٣٢) (من كلمات سمعان الشيخ وهو يحمل يسوع الطفل)؛

"الشعب الجالس في ظلمة، **أبصر نوراً عظيماً**" (إش ٩: ٢، مت ٤: ١٦)؛ "**والنور يُضيء في الظلمة، والظلمة لم تُدركه**" (يو ١: ٥).

+ وعندما بدأ القديس يوحنا إنجيله، كتب أن المعمدان جاء "ليشهد **للنور** لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور بل ليشهد **للنور**. كان **النور الحقيقي** الذي يُنير كل إنسان **آتياً إلى العالم**" (يو ١: ٧-٩).

+ والرب لم يُخْفِ أنه **النور الحقيقي**، فقال عن نفسه:

"أنا هو **نور العالم**. مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له **نور الحياة**" (يو ٨: ١٢)؛ "ما دمتُ في العالم، **فأنا نور العالم**" (يو ٩: ٥)؛ "أنا قد جئتُ **نوراً للعالم** حتى كل مَن يؤمن بي **لا يمكث في الظلمة**" (يو ١٢: ٤٦).

+ وعن دينونة الذين يرفضونه، قال الرب:

"وهذه هي الدينونة: **إن النور قد جاء إلى العالم**، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو ٣: ١٩).

+ على أن الرب كي يؤكِّد لاهوته وأنه **مصدر النور**، سمح في مواقف قليلة لنوره أن يتبدَّى للعالم في مجد لا يُخْفَى:

(**١**) فساعة عماده في الأردن من يوحنا "**انفتحت السماء** (**السموات انشقت**)، ونزل عليه **الروح القدس** بهيئة جسمية مثل حمامة، وكان صوت من السماء قائلاً: **أنت ابني الحبيب، بك** (**الذي به**) **سُررتُ**" (مت ٣: ١٦و١٧، مر ١: ١٠و١١، لو ٣: ٢١و٢٢). فهنا استعلان غير مسبوق للبشرية عن طبيعة الله، وها هو **الآب** يُمجِّد ابنه علناً ويسمع الجميع صوته، **والروح القدس** يتراءى كحمامة نازلة على **الابن**. وفي شهادته كتب يوحنا: "**ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً**" (يو ١: ١٤).

(٢) وكان **المشهد الثاني** يوم **التجلِّي** حين تغيَّرت هيئة الرب قدَّام تلاميذه: "**وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور**" (مت ١٧: ٢) ("**تلمع بيضاء جداً كالثلج**، لا يقدر قصَّار على الأرض أن يُبيِّض مثل ذلك" - مر ٩: ٣)، ومرة أخرى يتردَّد صوت الآب ممجِّداً ابنه: "**هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ**. له اسمعوا" (مت ١٧: ٥، مر ٩: ٧، لو ٩: ٣٥).

(٣) وكان **المشهد الثالث** في لقائه المزلزل في طريق دمشق لشاول الطرسوسي الذي يقول فيه سفر الأعمال: "فبغتةً **أبرق حوله نورٌ من السماء**... وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول، لماذا تضطهدني" (أع ٩: ٣و٤). وفي قصة بولس عن هذا الحدث الذي غيَّر حياته، يقول للملك أغريباس: "رأيتُ في نصف النهار في الطريق أيها الملك **نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس أبرق حولي وحول الذاهبين معي**" (أع ٢٦: ١٣).

المسيحي نور العالم :

كما ينعكس نور الشمس على كواكبها، فإن المسيحي المؤمن ينعكس عليه نور المسيح فيصير هو أيضاً نوراً للعالم، وها هو الرب يُخاطبنا قائلاً: "**أنتم نور العالم**... **فليُضئ نوركم** هكذا قدَّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات" (مت ٥: ١٤و١٦)، "**ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور**" (يو ١٢: ٣٦).

وتُجسِّد الأيقونات هذه الحقيقة، فترسم هالات النور حول رؤوس القديسين. كما أن الرب وصف يوحنا المعمدان بأنه: "كان هو **السراج الموقد المنير**، وأنتم أردتم أن تبتهجوا **بنوره** ساعة" (يو ٥: ٣٥). وفي شرحه لمَثَل زوان الحقل، أعلن الرب عن تمجيد قديسيه في اليوم الأخير قائلاً: "حينئذ يُضيء الأبرار **كالشمس** في ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٤٣). والقديس يوحنا في

رسالته الأولى، مؤكِّداً هذه الحقيقة، يكتب بالروح عمَّا سيصير إليه المؤمنون: "نعلم أنه إذا أُظهِر **نكون مثله**، لأننا سنراه كما هو" (١يو ٣: ٢). وفي أعماق الزمن يذكر العهد القديم عن **موسى** لما نزل من سيناء، بعد لقائه بالرب، ومعه لوحا الشريعة، أن **جلد وجهه صار يلمع حتى أنه جعل على وجهه برقعاً** (خر ٣٤: ٢٩-٣٥).

+ **ومعمودية العهد الجديد هي سرُّ إنارة المؤمن**، ومن هنا فهي تُسمَّى **سرَّ الاستنارة** التي ينعم بها الروح على الإنسان الذي يصير هيكلاً له (١كو ٣: ١٦؛ ٦: ١٩).

+ **وتصير التوبة تجديداً لفعل المعمودية** واهبة النور بالروح. فهي انتقال وعودة من جديد من الظلمة إلى النور:

"**كنتم قبلاً ظلمة، أما الآن فنور في الرب**" (أف ٥: ٨)؛

"لتفتح عيونهم **كي يرجعوا من ظلمات إلى نور**، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين" (أع ٢٦: ١٨).

+ كما أن **كلمة الله** هي واسطة لا يُستغنى عنها للحياة في النور:

"**سراجٌ لرجلي كلامك، ونورٌ لسبيلي**" (مز ١١٩: ١٠٥)؛ "**الوصية مصباح والشريعة نور**" (أم ٦: ٢٣)؛ "**وصية الرب مُضيئة تنير العينين عن بُعْد**" (مز ١٩: ٨ – الترجمة السبعينية).

ولعلاقة الكلمة بالنور يقف الشمامسة عند قراءة الإنجيل حوله حاملين الشموع إشارة إلى نور كلمة الله.

+ وفي شركة **الصلاة** نحن نلتقي مع مصدر النور، وبقدر صدق الصلاة وعمقها وحبها وانسحاقها، بقدر النور الذي يغمر الحياة ويُطهِّر القلب من أركانه المظلمة.

+ ولأن **شركة الجسد والدم** هي اتحاد بالمخلِّص وثبوت فيه، فهي للنفس المؤمنة التائبة التحام حقيقي برئيس الحياة يهب غفراناً للخطايا، أي إزالة بقع الظلام من ثوب النور، واتصالاً حاضراً بالنور الأبدي.

+ ويبقى أن **الكنيسة** هي أيضاً نبع للنور، فهي بيت الصلاة والأسرار والتعليم والتعزية، وسُمِّي برجها بالمنارة، فهي للمؤمنين كالفنار للسفن وسط أمواج البحر.

النور أو الظلمة :

+ التزام المسيحي أن يكون نوراً للعالم، ينثر حوله السلام والفرح، ويدين بسلوكه النقي أعمال الظلمة والانحراف من حوله، ويُبشِّر الهائمين في ظلمة الخطية بالنور الحقيقي؛ يقتضي أن يعيش حياته كلها في النور وحتى الساعة الأخيرة.

+ وطبيعة النور أنه لا يجتمع مع الظلمة، فتُستبعد أية شركة بينهما. **فالحياة المسيحية – كالله – هي نور وليس فيها ظلمة البتة** (١يو ١: ٥). والمتدينون الشكليون الذين يُمارسون حياة مزدوجة هم في الحقيقة يُنكرون الإيمان، ولن يتمتعوا بشركة الحياة الأبدية إلاَّ إذا توقفوا عن رياءهم وتجدَّدت قلوبهم بتوبة حقيقية شاملة تصحح مسار الحياة:

"لا يقدر أحد أن يخدم سيدين" (مت ٦: ٢٤)؛

"لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه **أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة، وأي اتفاق للمسيح مع بليعال، وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن، وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان"** (٢كو ٦: ١٤-١٦).

+ والحياة في النور تتضمن **طهارة الحواس**، فهي الأبواب والنوافذ التي إذا ضُبطت حراستها لن تجد الظلمة لها سبيلاً إلى القلب:

"**سراج الجسد هو العين. فمتى كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيِّراً.** ومتى كانت شريرة فجسدك (كله) يكون مظلماً. **انظر لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة**" (مت ٦: ٢٢و٢٣، لو ١١: ٣٤و٣٥).

+ والحياة في النور تستدعي السهر والانتباه والتدقيق والاستعداد الدائم للقاء الرب:

"وأما أنتم أيها الإخوة **فلستم في ظلمة** حتى يُدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم **أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة.** فلا نَنَمْ إذاً كالباقين، بل **لنسهر ونَصْحُ... وأما نحن الذين من نهار فلْنَصْحُ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص**" (١تس ٥: ٤-٦و٨).

وعلى العكس، فأبناء الظلمة يتستَّرون بالظلام، ولا يعرفون السهر والاستعداد؛ بل هم نائمون خاملون، أو هاربون من واقعهم إلى الخمور والمخدرات، أو غارقون في الشهوات. وهم يضيقون بأبناء النور، لأن نورهم يُبكِّتهم، فهم دوماً موضع سخطهم وانتقادهم بل واضطهادهم.

❄ ❄ ❄

كانت البداية أن الرب وهب البصر للأعمى وأعطاه أن ينظر النور الذي في العالم، وكانت الخطوة التالية أن يدعوه إلى "**النور الحقيقي**" الذي ينقل من ظلمة الخطية إلى الحياة الجديدة. فلما آمن وسجد له، انفتحت عيناه الداخليتان على النور الأبدي، وصار هو بالتالي نوراً للسائرين في الظلمة وظلال الموت.

ودعوة الرب لنا للخروج من الظلمة إلى نوره العجيب، لم تكن مجرد كلمات، لكنها كلَّفته دمه وحياته كلها التي بذلها على صليب الجلجثة، فعبرنا بموته وقيامته من موت الخطية إلى الحياة الجديدة وملكوته الأبدي.

هناك سبيل وحيد للحياة في النور، دون أن يُدركنا الظلام، هو أن نلتصق **بالنور الحقيقي**، و"**مَن له الابن فله الحياة**" (١يو ٥: ١٢).

أناجيل قداس آحاد شهر أمشير

+ الأحد الأول : الطعام الباقي للحياة الأبدية

+ الأحد الثاني : معجزة إشباع الجموع

+ الأحد الثالث : يسوع المسيح.. خبز الحياة

+ الأحد الرابع : توبة زكا

الأحد الأول من شهر أمشير

الطعام الباقي للحياة الأبدية

عشية مز ٨٢: ٨، ٦ يو ٦: ١٥-٢١
باكر مز ١١٩: ١٠٥، ١٢٥ يو٨: ٥١-٥٩
البولس : ١كو٥: ١١-٦: ١١
الكاثوليكون : ٢بط٣: ١٤-١٨
الإبركسيس : أع ٩: ٣-٩

مز٩٦: ٦، ٤

الإنجيل : يو٦: ٢٢ - ٢٧

[٢٢ وَفِي الْغَدِ لَمَّا رَأَى الْجَمْعُ الَّذِينَ كَانُوا وَاقِفِينَ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ سَفِينَةٌ أُخْرَى سِوَى وَاحِدَةٍ، وَهِيَ تِلْكَ الَّتِي دَخَلَهَا تَلاَمِيذُهُ، وَأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَدْخُلِ السَّفِينَةَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ بَلْ مَضَى تَلاَمِيذُهُ وَحْدَهُمْ. ٢٣ غَيْرَ أَنَّهُ جَاءَتْ سُفُنٌ مِنْ طَبَرِيَّةَ إِلَى قُرْبِ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَكَلُوا فِيهِ الْخُبْزَ، إِذْ شَكَرَ الرَّبُّ. ٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْجَمْعُ أَنَّ يَسُوعَ لَيْسَ هُوَ هُنَاكَ وَلاَ تَلاَمِيذُهُ، دَخَلُوا هُمْ أَيْضًا السُّفُنَ وَجَاءُوا إِلَى كَفْرَنَاحُومَ يَطْلُبُونَ يَسُوعَ. ٢٥ وَلَمَّا وَجَدُوهُ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ، قَالُوا لَهُ:«يَا مُعَلِّمُ، مَتَى صِرْتَ هُنَا؟» ٢٦ أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ:«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ، بَلْ لأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ. ٢٧ اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ، لأَنَّ هذَا اللهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ».]

بعد أن أشبع الرب الخمسة آلاف رجل (غير النساء والأولاد) من خمس خبزات وسمكتين (إنجيل قداس الأحد الثاني من شهر أمشير)[1]. انبهر الناس بهذه الآية حتى أنهم قالوا "**هذا هو بالحقيقة النبي**[2] **الآتي إلى العالم**" (يو٦: ١٤)، مستعيدين، في أجواء عيد الفصح الذي كان على الأبواب، ذكريات الفصح الأول وخروجهم من أرض العبودية بذراع الرب الرفيعة، ووعد الله بأن يقيم لهم نبياً من وسطهم، الذي رأوه في المسيح، لا كمخلص من موت الخطية وإنما كمحرر من احتلال الرومان وسطوة ملكهم هيرودس.

كان النهار قد مال، وبدأت عتمة الغروب. فطلب الرب من تلاميذه أن يذهبوا إلى السفينة استعداداً للعودة من بيت صيدا، بينما هو يصرف الجموع. على أنه **لما علم أنهم يزمعون أن يختطفوه ليجعلوه ملكاً**، تأسف في قلبه على أنهم مازالوا ملتصقين بالأرض والجسد، **فتركهم ومضى وحده إلى الجبل ليصلي** (مت١٤: ٢٣، مر٦: ٤٥، ٤٦، يو٦: ١٥).

---

(١) أناجيل قداس الآحاد الثلاثة من شهر أمشير كلها من الأصحاح السادس من إنجيل معلمنا يوحنا. وكلها تتصل بمعجزة اشباع الجموع التي كانت منطلقاً ليقدم الرب نفسه كخبز الحياة النازل من السماء الذي يبذل نفسه عن حياة العالم، ثم يضع القاعدة التي أسس عليها سر الافخارستيا ليلة آلامه. ولكن هذا الأصحاح لا يأتي بترتيبه الكتابي هذا في الآحاد الثلاثة. فمعجزة إشباع الجموع (يو٦: ٥-١٤)، التي انبثق عنها حديث المسيح الطويل، لا تأتي منطقياً في الأحد الأول بل في الثاني، وحديث المسيح يأتي مقسوما بين الأحد الأول (يو٦: ٢٢-٢٧) والثالث (يو٦: ٢٧-٤٦). ونظن أنه من الأوفق أن يعاد ترتيب هذه الفصول بحيث تتبادل قراءتا الأحدين الأول والثاني مواقعهما وهكذا يتصل حديث الرب في فصلي الأحدين الأول والثالث (ليكونا متتالين في الأحدين الثاني والثالث) بغير انقطاع بما ييسر التفسير والفهم على الشعب. (على أن الأحد الثالث من شهر أمشير هذه السنة (١٧٣٠/١٧٣١- ٢٠١٤) هو أحد رفاع الصوم الكبير وله قراءاته المختلفة بحسب القطمارس الخاص به).

(٢) "**يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون... أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه**" (تث١٨: ١٥، ١٨، ١٩). وهو الوعد الذي أشار **معلمنا بطرس** بعد شفائه الأعرج أنه تحقق في شخص المسيح (أع٣: ٢٢) كما ذكره **القديس استفانوس** في خطابه قبل استشهاده (أع٧: ٣٧).

من جانبهم، فقد نزل التلاميذ إلى السفينة. وإذ انتظروا الرب دون أن يأتي، أخذوا في الإبحار غرباً نحو **كفرناحوم**. فجأة هبّت ريح مضادة شديدة، فهاجت مياه البحيرة وتلاعبت الأمواج بالسفينة، وأخذ التلاميذ يجاهدون في التجديف ضد الرياح والموج. ونحو الهزيع الرابع – وقد تحركوا بالكاد عدة أميال – **رأوا يسوع ماشياً على الماء** وهو يقترب منهم، إلى أن بدا كأنه يتجاوزهم (مر٦: ٤٨) فاضطربوا قائلين "إنه خيال"، واجتاحهم الخوف وأخذوا يصرخون. فقال لهم الرب مهدئاً روعهم **"تشجعوا. ثقوا. أنا هو. لا تخافوا"**.

أما بطرس، المقدام المبادر، فقال **"يا سيد. إن كنت أنت الرب فمُرني أن آتي إليك على الماء"**. فقال **"تعال"**. فنزل بطرس من السفينة وبدأ بالفعل يخطو على الماء ليأتي إلى يسوع الذي تعلّقت به عيناه. على أنه لما انتبه إلى واقعه **"ورأى أن الريح شديدة، خاف. وإذ ابتدأ يغرق صرخ إلى الرب (مستنجداً) قائلاً: يارب نجني. ففي الحال مدّ يسوع يده وأمسك به وقال له** (عاتباً): **يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟"**. ولما دخلا السفينة سكنت الريح وساد الهدوء. أما باقي التلاميذ الذين رأوا ما جرى سجدوا للرب خاشعين قائلين: **"بالحقيقة أنت ابن الله"** (مت١٤: ٢٢-٣٣، مر٦: ٤٥-٥٣، يو٦: ١٤-٢١)، واستكملوا إبحارهم حتى بلغوا مقصدهم.

ooo

من جانب الناس، فقد ظلوا على متابعتهم للرب. ففي الغد جاءوا إلى مكان الأمس، كما جاء كثيرون عبر البحيرة من طبرية (على الشاطيء الغربي) والذين كانت الريح مواتية لهم. ولما لم يجدوا الرب ولا تلاميذه، اتجهوا من جديد غرباً إلى كفرناحوم فوجدوا الرب أمامهم مع تلاميذه. فدُهشوا لأنهم رأوا التلاميذ أمس يبحرون وحدهم بينما يسوع لم يكن معهم. فسألوه متحيرين متى وكيف جاء إلى هنا؟

على أن الرب لم ينخدع بهذه اللهفة عليه واحتفائهم به. فهي لم تكن انشغالاً بملكوت الله ولا تطلعاً لرؤية آيات تمجد الله، وإنما من أجل الخير والبركة اللتين تصاحبان الرب، فالمرضى يُشفون، والعمي يبصرون، والصم يسمعون، كما أن البطون تمتليء بالطعام حتى الشبع. والرب لم يحاول من جانبه أن ينال إعجابهم إذا باح لهم بالسر الذي جاء به مع تلاميذه، ولكنه بكل سلطان وسعياً إلى خلاصهم واجههم بالقول الصريح: "**الحق الحق أقول لكم. أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم**"، ثم اتبعه بهذا القانون "**اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا** (أي ابن الإنسان)**الله الآب قد ختمه**" (يو٦: ٢٧)[٣].

عن الطعام البائد :

"**الطعام البائد**" هو كل ما نأكله ونشربه، وهو الضروري لحياة الجسد. فهو يعطي شبعاً وطاقة ونمواً ويضمن أداء وظائف الجسم الحيوية. ولكن تأثيره – ككل حاجات الجسد – مؤقت لعدة ساعات أو ليوم، ثم نجوع ونعطش من جديد. ومع أهميته للإنسان فهو لا يطيق أن يأكل نفس النوع كل يوم فتسأمه نفسه ويعمد إلى تغييره. وهو يتعلق بالحياة الحاضرة التي مهما طالت فهي أيضاً مؤقتة وستنتهي، فهو لن يمنع من الموت. وكما بدأ الجسد من تراب فهو إلى التراب يعود. ومع كل هذا القصور المقترن بالطعام البائد[٤]، فإننا نحصل عليه بالتعب وعرق الجبين والأرض لا تعطينا قوتها (تك٣: ١٩).

---

(٣) هذه الآية التي تختم فصل إنجيل قداس هذا الأحد الأول هي التي يبدأ بها فصل **الأحد الثالث من شهر أمشير**. وهو ما يدعو لأن يكون الفصلان متتابعين في أحدين متتاليين كما سبق ذكره. ومن ناحية أخرى، فهذه الآية لا يمكن فهمها إلا بمتابعة ما تداعى بعدها من حوار يؤدي إلى أن المقصود بالطعام الباقي هو شخص المسيح نفسه وما يتصل به: كلامه وإنجيله، جسده ودمه، ومن هنا كان التطرق في هذه الدراسة إلى الآيات التالية من **فصل إنجيل قداس الأحد الثالث من شهر أمشير**.

(٤) "**ولكن الطعام** (البائد) **لا يقدمنا إلى الله لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص**" (١كو٨: ٨).

وفي هذا الصدد، يعرض لنا الكتاب قصصاً مأساوية عن الذين اشتهوا الخبز البائد "**الذين آلهتهم بطنهم ومجدهم في خزيهم**" (في٣:١٩)، وكانت نهايـاتهم أليمة:

+ **فحواء وآدم** انجذبا وانخدعا من شهوتهما وأكلا من الشجرة المحرّمـة، وكانت النتيجة طردهما من وجه الرب وخضوعهما للموت وكـل ذريتـهما (تك٣: ٦، ١٦، ١٧).

+ **وعيسو** المستبيح، استهان عند جوعه ببكوريته وقايضها بأكلة عدس واحـدة من أخيه يعقوب، ولما أراد بعدها أن يرث البركة من أبيه اسحق "رُفـض إذ لم يجـد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع" (تك٢٥: ٣٤، عب١٢: ١٦، ١٧).

+ **وشعب إسرائيل** في رحلة خروجهم من مصر وقد اشتاقوا إلى اللحـم الذي اعتادوه أيام العبودية، أمطر الله عليهم خبزاً (منًّا) من السماء، علـى أن يلتقطوا منه حاجة كل يوم بيومها، ولكن عمد بعضهم إلى أن يُبقوا منـه إلى اليوم التالي كضمان لطعامهم فكان يتولد فيه دود وينتن (خر١٦: ١٩). وفيما بعد سئموا المن ووصفوه بالطعام السخيف. فهكذا هو الحال مع الطعام البائـد الذي لا يُختبر معه الشبع أو الرضا.

عن الطعام الباقي :

أما عن "**الطعام الباقي**" - بحسب كلام المسيح - فهو للحياة الأبدية التي لا تنتهي. كما أنه عطية ابن الإنسان "**الذي هـو صـورة الله غـير المنظـور**" (كو١: ١٥) ويحمل خاتمه الملكي الذي يؤكد أصالته وفرادته: بشـهادة الآب العلنية غير المسبوقة يوم معموديته في الأردن، وبشهادة الكتب والأنبياء بـوحي الروح القدس، وبشهادة المعجزات وغفرانه للخطايا، وبمجيئه مخلصـاً وفاديـاً للإنسان.

والرب قدم نفسه نموذجاً للتحرر من عبودية الطعام البائد في مناسبتين:

+ **الأولى**: بعد صومه الأربعيني، فإذ جاع أخيراً جاءه إبليس ليجربه ويتحداه إن كان ابن الله حقيقةً أن يصيّر الحجارة خبزاً ليأكل، فاستعاد له الرب ولنا وصيته القديمة "**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله**" (تث٦: ١٣، مت٤: ٤، لو٤: ٤). فالصوم الحقيقي يطفيء شهوة الطعام لا أن يشعل اللهفة عليه، وهو يضرم الشوق إلى كلمة الله التي هي سر الحياة الحقيقية (عب٤: ١٢).

+ **والثانية** : يوم التقى عند البئر مع السامرية، وكان التلاميذ قد ذهبوا ليشتروا طعاماً، فلما عادوا قدّموا له ليأكل. فقال لهم "**أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم** (بعد)" ثم أضاف "**طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله**" (يو٤: ٣١-٣٤). فعلى المؤمن الحقيقي أن يرتب أولوياته وأن ينحاز إلى الطعام الباقي لأنه للحياة الأبدية. وعلى كل خادم أن يعمل مشيئة من أرسله "**ويتمم خدمته**" (٢تي٤: ٥).

المسيح هو خبز الله الحي والحقيقي :

دعوة الرب للجموع، التي كانت تلاحقه، بأن يتحولوا من السعي وراء خبز الجسد الفاني إلى التطلع إلى الطعام الباقي، كانت مدخله للكشف عن البعد الأعمق في معجزة تكثير الخبز والسمك لإشباع الآلاف، ونقل الفكر إلى الخبز الحي الذي نزل من السماء أي إلى شخصه هو.

الناس، من ناحيتهم، بعد أن سمعوا ما قاله الرب، فهموا أنه يريد أن ينقلهم من الأمور المادية إلى التي تتعلق بالله. ولكن لكي يتماحكوا ويجادلوا، كما فعل الناموسي (الذي أراد أن يبرر نفسه بعد أن أجابه الرب عن ماذا يفعل ليرث الحياة الأبدية بأن يمارس وصية المحبة، إذ سأل "**فمن هو قريبي؟**")؛ فهؤلاء أيضاً سألوا الرب "**ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟**" وكانت إجابة يسوع "**أن تؤمنوا بالذي أرسله**"(٥).

---

(٥) "**بهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به**" (١يو٤: ٩).

فالرب هو الغاية والوسيلة، وكل الأمور تبدأ وتنتهي به. **والذي يؤمن بالابن لا يدان ويرث الحياة الأبدية، والذي لا يؤمن به قد دين ويمكث عليه غضب الله** (يو٣: ١٨، ٣٦).

ولكن، إمعاناً في الجدل والتهرّب من مواجهة الحق والإذعان له، عادوا يسألون الرب من جديد طالبين برهاناً على جدارته، كأنما لم تكْفِهم الآيات السابقة وحتى آية الأمس العظمى "**أية آية تصنع** (لنا) **لنرى ونؤمن بك. ماذا تعمل؟**". ثم يتحدّونه بآية صنعها موسى لآبائهم "**آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا**" (خر١٦: ٤، مز٧٨: ٢٤، يو٦: ٢٠، ٢١).

فيرد الرب بأن يصحح لهم قولهم وهو الإله الحق من الإله الحق "**الحق الحق أقول لكم: ليس موسى** (الذي) **أعطاكم الخبز من السماء، بل** (هو) **أبي** (الذي) **يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء** (أي شخص الرب). **لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم**" (يو٦: ٢٢، ٢٣). ففي القديم، كما هو الآن، الله هو الذي يتحنن على خليقته، وهو الذي، في سالف الزمان، أعطى المن من السماء، وهو الذي في الأيام الأخيرة أعطى **الخبز الحقيقي** ابنه من السماء، الذي يهب الحياة للعالم.

وبدا أنهم لم يفهموا أن الرب يتكلم عن نفسه وعن نزوله من السماء. وكما حدث مع المرأة السامرية عندما قال الرب إن من يشرب من الماء الذي يعطيه فلن يعطش إلى الأبد، فحسبته ماءً سحرياً يغني عن الماء، وسألته أن يعطيها من هذا الماء لكي لا تعطش ولا تتكلف تعب المجيء إلى البئر لتستقي (يو٤: ١٤، ١٥)؛ فهم بدورهم، وقد ظنوا أن ما يتكلم عنه الرب خبز سحري مَن يأكله لا يجوع، فهم لم يتحرروا من فكر الأرض وحاجة جسدهم إلى الخبز، فرأوا فيما يتكلم عنه الرب إعفاءً لهم من السعي والتعب من أجل اللقمة، هكذا سألوه كما سألت السامرية "**أعطنا في كل حين هذا الخبز**" (يو٦: ٣٤).

واحتاج الرب أن ينقلهم ثانية من فكر الجسد إلى فكر الروح، موجهاً الأذهان هذه المرة مباشرة إلى شخصه الذي يكلمهم "**أنا هو خبز الحياة، من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً**" (يو٦: ٣٥). فالذي يتحد بالمسيح لا يبقى أسيراً ذليلاً لعطايا العالم من طعام وشراب، ولا تسبيه أشواق الشهوات الجسدية وغرور الغنى ومراكز العالم. فهو يصير حراً مكتفياً بالقوت والكسوة (١تي٦: ٨)، ولا يشعر بالخواء الذي يعانيه الجسديون أهل العالم الذين مهما أخذوا يظلون على جوعهم. وكما يقول الكتاب فإن "**اهتمام الجسد هو موت.. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله**" (رو٨: ٦، ٨).

والرب أضاف اختلافاً أخر عن المنّ، عندما قال لليهود "**آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا**"، أما عن شخصه فهو "**الخبز الحي الذي نزل من السماء** (الذي) **إن أكل أحد منه** (فهو لا يموت بل) **يحيا إلى الأبد**" (يو٦: ٥٠، ٥١). وهو قال من قبل أن "**من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**" (يو٥: ٢٤):

+ **فالمسيح هو الحياة "متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد**" (كو٣: ٤). فهو لنا الحياة الجديدة التي تمتد إلى الأبدية، بانتقالنا من الموت الذي كان يترصدنا كخطاة إلى الحياة الأبدية التي كفلها لنا خلاص المسيح. والكتاب يدعو كل مؤمن أن "**جاهد الجهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت**" (١تي٦: ١٢).

+ **وكلام المسيح هو للحياة "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة**" (يو٦: ٦٣) "**مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد**" (١بط١: ٢٣) و"**السماء والأرض تزولان ولكن كلام الله لا يزول**" (مت٢٤: ٣٥، مر٣: ٢٣، لو٢١: ٣٣). والنبي إرميا يكتب "**وُجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي**" (إر١٥: ١٦).

+ **وخبز الافخارستيا هو شركة جسد المسيح وكأس البركة هي شركة دم المسيح"** (١كو١٠: ١٦). ومن يأكل جسده ويشرب دمه **"فله حياة أبدية"** وينال مغفرة خطاياه، ويثبت في الرب وهو يثبت فيه، ويقيمه في اليوم الأخير ليحيا معه إلى الأبد (يو٦: ٥٤، ٥٦). وبحسب القديس بولس فنحن كلنا نصير خبزاً واحداً جسداً واحداً باشتراكنا جميعاً في الخبز الواحد (١كو١٠: ١٧).

+ كما أن **"كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار"** (يع١: ١٧).

فالمسيح، لأنه الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر (رؤ٢٢: ١٣) **هو طعامنا الباقي، وخبز حياتنا، المعتمَد والمصدَّق عليه من الآب، الذي من يأكله لا يجوع ولا يستبد به الطعام البائد، وينطفيء عطشه إلى مياه العالم. ففيه ومنه كفايتنا** (٢كو٣: ٥)، **ومعه لا نريد شيئاً على الأرض** (مز٧٣: ٢٥)، **الكل يبيد وهو يبقى إلى الأبد** (إش٥١: ٦، عب١: ١١).

❊ ❊ ❊

عندما قال لنا الرب **"اعملوا"** للطعام الباقي، فهو قصد ألاّ يغيب عنا وجه الرب شمس البر وكلامه وحياته، وأن نحشد كل قوانا وطاقاتنا، التي أودعها الله فينا، من أجل حياتنا الأبدية، طالبين أولاً ملكوت الله وبره (مت٦: ٣٣، لو١٢: ٣١)، عارفين أن **"اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام"** (رو٨: ٦). وفي جهادنا من أجل هذه الغاية تسندنا هذه السحابة من الشهود:

" **فنوح** عندما تلقّى أمر الله ببناء الفلك أطاع وشرع في تنفيذه على الفور، ولم تفتر همته والسنون تمضي دون أن يأتي الطوفان الذي جاء بعد مائة عام، فنجا هو وعائلته والحيوانات التي اختارها وهلك كل من كان خارج الفلك (تك٧: ٢٣، ٢٤، عب١١: ٧، ١بط٣: ٢٠).

+ وبالمثل فإن **لوطاً** انصاع لأمر الملاكين بالخروج من سدوم المرشحة للحريق. ولما دعا أصهاره للخروج معه **"كان كمازح في أعينهم"** فنجا ومن

معه بينما هلك الآخرون، حتى امرأته التي ظل قلبها متعلقاً بالأرض فلما نظرت وراءها صارت عمود ملح (تك١٩: ٢٦).

+ وأبونا **إبراهيم**، وهو في سن الثمانين، اشتكى أنه قد شاخ وليس من يرثه غير خادمه. ولكن الله وعده أن من يرثه سيخرج من صلبه. وانتظر إبراهيم عشرين عاماً حتى تمم له الرب وعده. وحتى عندما طلب الرب منه أن يقدم وحيده المحبوب، الذي سيأتي منه النسل، محرقة، قدّمه طائعاً ولم يشكّ في وعد الله **"وحسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات"** وجدد له الرب البركة وأن تتبارك جميع الأمم في نسله الذي هو **يسوع المسيح** (تك١٥: ٢-٦، ٢١: ١-٣، ٢٢: ١-١٨، عب١١: ١٧-١٩).

+ **وداود** الذي أحب الرب منذ صباه، لم ينتفخ أو تباعد عن الله لما صار ملكاً على إسرائيل، بل إنه تخلى عن وقاره ولم يتحرّج أن يطفر ويرقص بكل قوته أمام تابوت عهد الرب (٢صم٦: ١٤).

+ **وسليمان** أيضاً قضى سبع سنوات في بناء الهيكل وقدم ذبائح سلامة اثني وعشرين ألفاً من البقر ومائة وعشرين ألفاً من الغنم توقيراً للرب وبيته (١مل٦: ٣٨، ٨: ٦٣).

+ وبينما استكثر الشاب الغني أن يترك كل أمواله ومضى حزيناً ففقد فرصة الحياة (مت١٩: ٢٢، مر١٠: ٢٢، لو١٨: ٢٣)، فإن **الصيادين الأربعة** لما دعاهم الرب وراءه **"تركوا كل شيء وتبعوه"** (مت٤: ٢٠، ٢٢، مر١: ١٨، لو٥: ١١) فصاروا أعمدة الكنيسة.

+ كما أن **القديس بولس**، الذي كان متقدماً وسط جماعته، اعتبر كل ما كان له ربحاً خسارة عندما أدرك فضل معرفة المسيح يسوع ربه، وحسِب كل الأشياء نفاية لكي يربح المسيح (في٣: ٧، ٨).

* * *

المسيح هو حياتنا.. خبزنا الحي الذي نزل من السماء.. طعامنا الباقي للحياة الأبدية.

الأحد الثاني من شهر أمشير

معجزة إشباع الجموع

عشية	مز١٥: ١، ٢ يو٤: ٤٦-٥٣
باكر	مز٢٤: ٣، ٤ يو٣: ١٧-٢١
البولس	عب ٧: ١-١٧
الكاثوليكون	٢يو ١: ١-١٣
الإبركسيس	أع ١٨: ٩-٢١

مز٩٦: ٧- ٩

الإنجيل: يو٦: ٥ - ١٤

﴿ [٥]فَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ أَنَّ جَمْعًا كَثِيرًا مُقْبِلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِفِيلُبُّسَ:«مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزًا لِيَأْكُلَ هؤُلاَءِ؟» [٦]وَإِنَّمَا قَالَ هذَا لِيَمْتَحِنَهُ، لأَنَّهُ هُوَ عَلِمَ مَا هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَفْعَلَ. [٧]أَجَابَهُ فِيلُبُّسُ:«لاَ يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَتَيْ دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا يَسِيرًا». [٨]قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَهُوَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ: [٩]«هُنَا غُلاَمٌ مَعَهُ خَمْسَةُ أَرْغِفَةِ شَعِيرٍ وَسَمَكَتَانِ، وَلكِنْ مَا هذَا لِمِثْلِ هؤُلاَءِ؟» [١٠]فَقَالَ يَسُوعُ:«اجْعَلُوا النَّاسَ يَتَّكِئُونَ». وَكَانَ فِي الْمَكَانِ عُشْبٌ كَثِيرٌ، فَاتَّكَأَ الرِّجَالُ وَعَدَدُهُمْ نَحْوُ خَمْسَةِ آلاَفٍ. [١١]وَأَخَذَ يَسُوعُ الأَرْغِفَةَ وَشَكَرَ، وَوَزَّعَ عَلَى التَّلاَمِيذِ، وَالتَّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْمُتَّكِئِينَ. وَكَذلِكَ مِنَ السَّمَكَتَيْنِ بِقَدْرِ مَا شَاءُوا. [١٢]فَلَمَّا شَبِعُوا، قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ:«اجْمَعُوا الْكِسَرَ الْفَاضِلَةَ لِكَيْ لاَ يَضِيعَ شَيْءٌ». [١٣]فَجَمَعُوا وَمَلأُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مِنَ الْكِسَرِ،

مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةِ الشَّعِيرِ، الَّتِي فَضَلَتْ عَنِ الآكِلِينَ. ١٤ فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا:«إِنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!»

معجزة إشباع الجموع(١) الكثيرة التي كانت تتبع الرب، تكرَّرت مرتين متتاليتين: في **الأولى**: أشبع الرب خمسة آلاف رجل عدا النساء والأولاد من خمسة أرغفة وسمكتين (مت ١٤: ١٤-٢١؛ مر ٦: ٣٠-٤٤؛ لو ٩: ١٠-١٧؛ يو ٦: ٥-١٤)؛ وفي **الثانية**: أشبع أربعة آلاف رجل، عدا النساء والأولاد، من سبعة أرغفة وبعض صغار السمك (مت ١٥: ٣٢-٣٨؛ مر ٨: ١-٩)(٢)

وفيما يتعلَّق **بالمعجزة الأولى** - التي نحن بصددها - نُلاحِظ أن النصوص المذكورة في الأناجيل الثلاثة المتناظرة، وإنْ اكتفت بذِكْر المعجزة كإعلان عن لاهوت المسيح وكمال قدرته على إشباع الروح والجسد، تتميَّز بتفاصيل سبقت إجراء المعجزة لم يذكرها إنجيل القديس يوحنا، الذي تنفرد روايته(٣) بما قاله الرب في اليوم التالي للجموع، وكَشَفَ عن البُعْد الأعمق للمعجزة التي أجراها، ناقلاً فكر الناس من الاهتمام بخبز الجسد إلى شخص يسوع "**الخبز الحي الذي نزل من السماء الذي مَن يأكله يحيا إلى الأبد**" (يو ٦: ٥١).

---

(١) فصل إنجيل قداس **الأحد الثاني من شهر أمشير يُسمَّى "إنجيل البركة"** (وهو أيضاً إنجيل القدَّاس لأيِّ **أحد خامس في الشهر القبطي**، إذا وافق اليوم الثلاثين، وذلك في النصف الأول من السنة الليترجية)، [ولكنه يكون من إنجيل لوقا (لو٩: ١٠-١٧) في الفصل الثالث من السنة الليترجية]، وهو أيضاً إنجيل الأحد الثالث من شهر أبيب. والأجزاء التالية من نفس الأصحاح هي إنجيلا قدَّاسي **الأحد الأول والثالث من شهر أمشير**.

(٢) أشار الرب إلى المعجزتين في معرض لومه تلاميذه على عدم إيمانهم عندما تذكَّروا أنهم لم يأخذوا معهم خبزاً في السفينة، فاضطربوا رغم وجوده معهم.

(٣) معجزة إشباع الجموع تتوسَّط آيات الرب السبع التي وردت في إنجيل يوحنا، فيسبقها ثلاث: عُرس قانا الجليل، شفاء ابن خادم الملك، شفاء مفلوج بِركة بيت حسدا؛ ويليها ثلاث: السير على الماء، تفتيح عينَي الأعمى، إقامة لعازر.

ما قبل المعجزة :

من القراءة المقابلة في البشائر الثلاث الأولى، خاصة إنجيل معلِّمنا مرقس، نعرف أن التلاميذ، بعد أن عادوا من خدمتهم الكرازية، اجتمعوا إلى يسوع يُخبرونه: "**بكل شيء، كل ما فعلوا وكل ما علَّموا**" (مر ٦: ٣٠). بعدها قال لهم الرب مُشفِقاً أن يأتوا معه منفردين ليستريحوا قليلاً خاصة أنه لم تتيسَّر لهم فرصة لأن يأكلوا لكثرة الجموع الآتين والذاهبين. فأبحروا بالسفينة من كفرناحوم إلى موضع خلاء خارج مدينة **بيت صيدا**(٤). على أنَّ الجموع رأوهم ينطلقون وعرفوا وجهتهم، فتراكضوا إلى هناك حتى سبقوهم وتجمَّعوا في انتظارهم. وما أن وصلت السفينة وخرج يسوع حتى أبصر جمعاً كبيراً. ولكن الرب، رغم أنه قد جاء مع تلاميذه إلى هنا ليختلوا ويستريحوا، لم يتزعج بل قَبلَهم وتحنَّن عليهم، إذ كان يراهم "**كخراف لا راعي لها**" (مر ٦: ٣٤). وبدأ بأن شفى مرضاهم، وأَخَذَ يُعلِّمهم طويلاً عن ملكوت الله.

لما ابتدأ النهار يميل، تقدَّم الاثنا عشر من الرب وسألوه أن يصرف الجموع، تخلُّصاً من هذا العبء الذي لا طاقة لهم به، لكي يمضوا إلى الضياع والقرى من حولهم ليبيتوا (فكثيرون منهم قادمون من مدن بعيدة للاحتفال بعيد الفصح القريب) وليبتاعوا لهم طعاماً، فالموضع الذي هم فيه خلاء وبعيد عن العمران(٥). فقال لهم يسوع: لا حاجة لهم أن يمضوا "**أعطوهم أنتم ليأكلوا**" (مت ١٤: ١٦؛ مر ٦: ٣٧؛ لو ٩: ١٣).

---

(٤) "**بيت صيدا**" معناها بيت الصيد أو الصيَّادين، وتقع شمال شرق البحيرة، مقابل كفرناحوم على الشاطئ الشمالي الغربي، وتُسمَّى الآن "**التل**".

(٥) في المعجزة الثانية، يذكر الكتاب أنَّ الرب نظر إلى الجموع: "وقال: **إني أُشفق على الجمع، لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون. ولستُ أُريد أن أصرفهم صائمين لئلا يُخَوِّرُوا في الطريق. فقال له تلاميذه: مِن أين لنا في البرية خبزٌ بهذا المقدار، حتى يُشبِعَ جمعاً هذا عدده**" (مت ١٥: ٣٢،٣٣).

وفي قول الرب هذا دعوة لكل المؤمنين أن يسدّوا إعواز المحتاجين كخدمة إيمانية مسيحية وليست اجتماعية، وهو بهذا يُتيح لنا أن ننال بركة برغم أننا لا نملك ما نُعطيه، متأسّين **بالملك داود** الذي قال في آخر كلماته لشعبه: "**لأنَّ منك الجميع، ومِن يدك أعطيناك**" (١أي ٢٩: ١٤)، كما أنها في المقام الأول دعوة للكنيسة أن تُقدِّم الغذاء الروحي في الكرازة بكلمة الله، وأيضاً أن نُمارس أعمال الرحمة مع إخوة المسيح الأصاغر كما كان يفعل السيِّد.

حوار مع فيلبُّس وأندراوس:

ينفرد إنجيل القديس يوحنا بدوره بهذا الحوار السابق على المعجزة، فنجد الرب، وهو بالطبع عالِم بما قد عزم على فعله، يُخاطب **فيلُبُّس** ليمتحنه ويُتيح له فرصة ليدعم إيمانه، فيسأله: "**مِن أين** (ونحن في هذا القفر) **نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء** (الآلاف)؟". في إجابته يُضيف فيلبُّس إلى مشكلة "مِن أين؟" صعوبة جديدة بقوله: "**لا يكفيهم خبزٌ بمئتَى دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً**"!

هنا قال الرب مُفصِحاً عمَّا ينوي عمله: "كم رغيفاً عندكم. **اذهبوا وانظروا**". ولما سمع **أندراوس** أَخَذَ يجول هنا وهناك باحثاً عن أرغفة، بعدها قال: "**هنا غُلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان**"[٦]، ولكنه أضاف مُعبِّراً عن خيبة أمله: "**ولكن ما هذا لمثل هؤلاء؟**".

كما نرى، فإيمان أندراوس لم يختلف كثيراً عن إيمان فيلبُّس الذي - رغم المعجزات- لم يبلغ إلى مستوى التجربة. فالحسابات العقلية هي ضد الإيمان، والإيمان بشخص المسيح يتجاوز حدود العقل والمنطق، وإلاَّ لا يكون إيماناً. وفي قصد الرب، وهو مزمِع أن يصنع آيته العظيمة أمام تلاميذه، أن يُنهض إيمانهم ليروا بأعينهم قدرته التي ستُساندهم في مستقبل الأيام عندما يبدأون كرازتهم للعالم كله.

---

(٦) أرغفة الشعير هي خبز الفقراء، والسمكتان هما من صغار السمك (مت ١٥: ٣٤؛ مر ٨: ٧) المُملَّح كعادة أهل السواحل في حِفْظ الأسماك.

الرب يُبارك في القليل فيُشبع الجميع :

ولكن ما كان في نظر أندراوس كأنه لا شيء، هو ما رآه الرب كافياً لكي يبدأ به. وهكذا لما خاب مسعى الجميع وأعلنوا عجزهم، تأهَّب الرب للعمل قائلاً: "**ائتوني بها**" (الخبزات والسمكتين) **إلى هنا**" (مت ١٤: ١٨)، وأمَرَ التلاميذ أن يُتْكِئوا الجميع على العُشب صفوفاً صفوفاً (أو رفاقاً رفاقاً) مئة مئة وخمسين خمسين. ففعلوا كما أمرهم الرب، وأخذ الأرغفة والسمكتين: "**ورَفَعَ نظره نحو السماء (وشَكَرَ)**[٧] **وباركهُنَّ، ثم كسَّر وأعطى التلاميذ ليُقدِّموا للجمع**" (لو ٩: ١٦) "**بقدر ما شاءوا**" (يو ٦: ١١).

فالخبز والسمك كان يتضاعف بين يدَي الرب، والتلاميذ كانوا يأتون ويأخذون ويوزِّعون على الناس، والطعام لم ينفد حتى **أكل الجميع وشبعوا**[٨] (مت ١٤: ٢٠؛ ١٥: ٣٧؛ مر ٦: ٤٢؛ ٨: ٨).

نحن نرى التكاثُر في الطبيعة كأحد مظاهر الحياة. فالبذرة تنمو إلى شجرة، وحبة الحنطة تنمو إلى سنابل تمتلئ بحبَّات القمح، وسمكة واحدة يمكن أن تضع آلاف البويضات. على أنَّ هذا كله يتطلَّب الوقت والموسم المناسب. ولكن الرب كثَّر خبزاً وسمكاً بما يكفي الآلاف بكلمة منه، فهو الذي "**الكل به قد خُلِقَ**" (كو ١: ١٦). والجموع بعد أن تمتَّعت بكلمة الله، ونالت الشفاء، شبعت أيضاً بالطعام حتى امتلأت، والتلاميذ نما إيمانهم بمعلِّمهم واشتركوا في البركة ونالوا امتياز العمل مع الرب (١كو ٣: ٩).

---

(٧) ينفرد إنجيل يوحنا بأنَّ الرب "**شَكَرَ**" (الآب)، وتأتي الكلمة هنا بلفظها السرائري، ويُقابلها اللفظ العبري Berekeh بمعنى "**بارك**" التي استخدمها باقي البشيرين. وأن يأخذ الرب خبزاً ويشكر ويُبارك ويكسر (يقسم) ويُوزِّع على التلاميذ (يو ٦: ١١)، يستبق الاحتفال الإفخارستي ليلة الصليب، كما أنَّ فيه مُشابهة مع إطعام الرب شعبه في البرية (خر ١٦).

(٨) في المزامير: "**تفتح يدك فتُشبع كل حي رضى**" (مز ١٤٥: ١٦)، "**أمامك شِبَع سرور. في يمينك نعَمٌ إلى الأبد**" (مز ١٦: ١١). وفي تسبحة العذراء: "**أشبع الجياع خيرات، وصرف الأغنياء فارغين**" (لو ١: ٥٣).

اجمعوا الكسَر :

في النهاية قال الرب لتلاميذه: "**اجمعوا الكِسَر الفاضلة لكي لا يضيع شيء**[٩]، فرفعوا منها "**اثنتي عشرة قفة مملوءة**" (مت ١٤: ٢٠؛ مر ٦: ٤٣). والرب قصد أن نقبل ونُقدِّر كل عطاياه، كثيرها وقليلها. والمهتم بالكِسَر سوف يعتني بالطبع بما هو كامل وكثير. كما أنَّ الكِسَر الصغيرة لما اجتمعت معاً ملأَت اثنتي عشرة قفة. "**فالأمين في القليل يُقيمه الله على الكثير**" (مت ٢٥: ٢١،٢٣)، وبقايا الطعام ليست تافهة فهي قد تسدُّ جوع المحتاج. والكنعانية كشفت عن إيمانها ورضاها بالموضع الأخير لمَّا ذَكَرَت أنَّ "الكلاب أيضاً تأكل من الفُتات الذي يسقط من مائدة أربابها" (مت ١٥: ٢٧)، ففازت بأن أَخَذَت مِن فم الرب شفاء ابنتها. ومُعلِّمنا بولس يكتب: "**تعلَّمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه... في جميع الأشياء قد تدرَّبتُ أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقُص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقوِّيني**" (في ٤: ١١-١٣).

النبي، الملك، المُخلِّص :

الآية الأخيرة في فصل الإنجيل تقول: "**فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إنَّ هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم**" (يو ٦: ١٤). ففي أجواء عيد الفصح، الذي كان على الأبواب، استحضرت الجموع ذِكْرى تدخُّل الله لإنقاذهم وإخراجهم من مصر، ورأوا في يسوع الذي أشبعهم تحقيقاً لوعد الله القديم على فم موسى أن يُقيم لهم "**نبيّاً من إخوتهم**"[١٠] (تث ١٨: ١٨).

---

(٩) إشارة إلى أنه يحمل سمات الخبز الإفخارستي، كما يجري بعد التناول. والشرقيون، وضمنهم الأقباط، تعلَّموا من هذه المعجزة الحرص على لقمة الخبز والبقايا باعتبارها نعمة من الله وعدم إهدارها كنفاية.

(١٠) وهو الوعد الذي أشار معلِّمنا بطرس، بعد أن شفى الأعرج (أع ٣: ٢٢) والقديس استفانوس، وهو يحاكم أمام المجمع (أع ٧: ٣٧) أنه تحقَّق في شخص الرب.

على أنهم، وهم ملتصقون بالأرض، لم يروا فيه **المخلِّص** الذي ينتزعهم من موت الخطية، وإنما **الملك** الذي ينقذهم من سطوة المحتل واستبداد هيرودس. ووجدوا أن الظرف مُواتٍ لكي **"يختطفوه ليجعلوه مَلِكاً"** (يو ٦: ١٥). وإذ يكشف الرب ما جال في خاطرهم، ينصرف حزيناً إلى الجبل وحده. فهو لم يأتِ ليأخذ مُلْكاً على الأرض، وإنما ليكون فصحاً فريداً يدخل بدم نفسه مرة واحدة إلى الأقداس ليصنع فداءً أبدياً (١كو ٥: ٧؛ عب ٩: ١٢).

ملاحظات حول المعجزة :

(**١**) الظروف كلها كانت مضادة. فالجمع كان بالآلاف ومطالبهم كثيرة، والمكان خلاء بعيد، والتكلفة كانت غالية وغائبة، والمتاح في اليد كان قليلاً لا يفى بشيء، كما أنَّ النهار قد بدأ يميل (بما يُشير في حياتنا إلى انحدار القوة والقدرة والعمر وتدهور الأحوال من معاناة الوحدة وغياب المعونة). على أنه عندما بلغ العجز أقصاه، توهَّجت قدرة الرب لإشباع الآلاف بقدر ما شاءوا. هذا يملأنا بالإيمان بالله والثقة في قدرته، خاصة عندما تتصاعب الظروف جداً ويُناوئنا الجميع أو ينفضُّون عنَّا، فهو الوقت المناسب لتدخُّل الرب، وعلينا فقط أن ننتظره واثقين.

(**٢**) لماذا استخدم الرب الخمس خبزات والسمكتين كي يُطعِم الجموع؟ ألم يكُن قادراً – وهو الذي أقام الموتى – أن يُنشئ طعاماً للآلاف من العدم؟ ربما كان القصد أن يؤدِّي البشر واجبهم وأن يُقدِّموا أقصى ما عندهم مهما كان قليلاً، كالعبد الأمين الذي يستثمر وزناته بقدر ما أُوتي من قوة وهبات، فلا يركن إلى الكسل معتمداً كلِّياً على الله، لا لأنه يؤمن بقدرته وإنما كي يعفى نفسه من الجهد. والرب عندما وضع آدم في جنة عدن، كلَّفه **"أن يعملها ويحفظها"** (تك ٢: ١٥). فالثمار لا تأتي عشوائياً وإنما بالغرس والسَّقْى حتى وإن كان **"الله الذي يُنْمِي"** (١كو ٣: ٧). والعبد الذي دفن وزنته في الأرض، دعاه الرب بالعبد الشرير والكسلان والبطَّال، ونفَّذ فيه عقابه (مت ٢٥: ٢٦، ٣٠).

(**٣**) الله قادر أن يُبارك في القليل فيفيض. وفي القديم بارك الله – على يد **إيليا** – في ملء كف الدقيق والزيت القليل الذي لأرملة صرفة صيدون، فجعل الدقيق لا يفرغ والزيت لا ينقص إلى اليوم الذي نزل فيه المطر (١مل ١٧: ٤). والأرملة التي هدَّدها دائن زوجها أن يأخذ ابنيها عبدَيْن مقابل الدين، لما استنجدت **بأليشع** ملأ الله أوعيتها وأوعية الجيران بالزيت فسددت دينها (٢مل ٤: ١-٧). وفي أيام **أليشع** أيضاً فإنَّ عشرين رغيفاً من خبز الباكورة كفت مائة رجل "**أكلوا وفضل عنهم حسب قول الرب**" (٢مل ٤: ٤٢-٤٤).

فلنُقدِّم ما عندنا من إمكانات محدودة وهو يستثمرها لمجده. فهو قادر أن يسدَّ بعطائنا القليل إعواز الكثيرين. وهو رأى فلْسَي الأرملة أكثر ممَّا أعطى الأغنياء لأنها من إعوازها أعطت (لو ٢١: ١-٤). وهو الذي طلب ألاَّ نحتقر الصغار (مت ١٨: ١٠)، وأنَّ مَن يُقدِّم كأس ماء بارد لا يُضيع أجره (مت ١٠: ٤٢) (ومثله كلمة التعزية وابتسامة التشجيع).

(**٤**) الله يتقدَّم منَّا كأنه محتاج، وهذا من نعمه علينا لأنه يُتيح لنا الفرصة أن نشترك معه، وأن يُقدِّس ما لنا ويستخدمه لمجد اسمه. فهو أَخَذ جسده من العذراء، والسفينة من بطرس، والأموال من يونَّا وسوسنة وغيرهما (لو ٨: ٣)، والأتان من صاحبه (مت ٢١: ٣؛ مر ١١: ٣؛ لو ١٩: ٣١)، والعلِّية من رب البيت (مت ٢٦: ١٨؛ مر ١٤: ١٤،١٥؛ لو ٢٢: ١٤)، والقبر من يوسف الرامي (يو ١٩: ٤١).

وفي حياتنا الروحية هو يفيض بنعمته المجانية علينا، ولكن لابد من إيماننا العامل في جهادنا. وهو عندما طلب أن نحمل نيره علينا، فهو هنا الشريك الأقوى بما لا يُقاس، ولهذا يصير نيره هيِّناً علينا (مت ١١: ٢٩،٣٠). وهو في النهاية يُكافئنا كإنما كنَّا نحمل أثقالنا وحدنا، فقط لأننا كنَّا أُمناء وقدَّمنا ما نستطيع "**قدر الطاقة**" (مت ٢٥: ٥).

(٥) طلب الرب أن يتَّكئ الآلاف فرقاً فرقاً، ويأتيهم الطعام وهم جلوس في أماكنهم. وهكذا تمَّ كل شيء في هدوء وأَكَلَ الجميع وشبعوا دون تزاحُم وهرج بما مجَّد الله. فإلهنا طيِّب ومتضع، ولكنه أيضاً **"إله سلام"** (ونظام وترتيب)، **وليس إله تشويش"** (١كو ١٤: ٣٣). وهذا ما ينبغي الالتزام به في كل اجتماعاتنا، سواء أثناء القدَّاسات وصلوات سرِّ الزيجة، أو الاجتماعات وفصول الخدمة. ولنتذكَّر أنه لما غاب الشعور بحضور الله في الهيكل، وتحوَّل إلى سوق التجارة؛ تدخَّل الرب وقد أخذته الغيرة على بيته وطرد الجميع (مت ٢١: ١٢؛ مر ١١: ١٥،١٦؛ لو ١٩: ٤٦؛ يو ٢: ١٥).

❁ ❁ ❁

عند المسيح، كانت المعجزات والأحداث كأنها أيضاً أمثال ترمي إلى معانٍ أبعد وأعمق مما تبدو. فلقاؤه مع السامرية الذي بدأ بطلب الماء ليشرب، انتهى بأن قدَّم نفسه كمُعطي **"الماء الحي"** الذي مَن يشرب منه لن يعطش إلى الأبد (يو ٤: ١٤)، وقبل أن يفتح عينَي الأعمى قال: **"ما دمتُ في العالم فأنا نور العالم"** (يو ٩: ٥)، وفي مجيئه ليُقيم لعازر قال: **"أنا هو القيامة والحياة. مَن آمن بي ولو مات فسيحيا"** (يو ١١: ٢٥).

وفي هذه المعجزة، بعد أن أشبع الرب الآلاف من خمس خبزات وسمكتين، قال عن نفسه: **"أنا هو خبز الحياة. مَن يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومَن يؤمن بي فلا يعطش أبداً"** (يو ٦: ٣٥). وهو في موعظة الجبل طوَّب الجياع والعطاش إلى البرِّ (مت ٥: ٦) وليس إلى لقمة العيش وأمور الجسد. فهو الإله الغَني الرحيم الذي يُشرق شمسه ويفيض بخيراته بغير تمييز على الكل أشراراً وصالحين. ومِن ثمَّ فهو يدعونا، كأولاد الله، أن نطلب أولاً ملكوت الله وبره، ولا ننشغل بأمور الجسد، فهذه كلها تُزاد لنا (مت ٦: ٣٣). وليكن ناموس حياتنا كلماته التي قالها بعد معجزة الخبز: **"اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية"** (يو ٦: ٢٧).

الأحد الثالث من شهر أمشير (+)

يسوع المسيح .. خبز الحياة

عشية مز١٧: ٣، ١٥ يو٥: ٣٩-٤٧
باكر مز٨٩: ٥٢، ٤٩ يو١٢: ٤٤-٥٠
البولس: عب ٣: ١-٤: ٢
الكاثوليكون : يه ١: ١٤-٢٥
الإبركسيس : أع ٢٠: ٧-١٦

مز٨٩: ١، ٦

الإنجيل : يو٦: ٢٧ - ٤٦

[٢٧]**اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ، لأَنَّ هذَا اللهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ». [٢٨]فَقَالُوا لَهُ:«مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللهِ؟» [٢٩]أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«هذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ». [٣٠]فَقَالُوا لَهُ:«فَأَيَّةَ آيَةٍ تَصْنَعُ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ؟ مَاذَا تَعْمَلُ؟ [٣١]آبَاؤُنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا».**

[٣٢]**فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ، [٣٣]لأَنَّ خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ». [٣٤]فَقَالُوا لَهُ:«يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ». [٣٥]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا.**

(+) في هذه السنة (٢٠١٤ / ١٧٣٠) كان هذا الأحد هو أحد الرفاع السابق على بدء الصوم الكبير.

٣٦وَلكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي، وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. ٣٧كُلُّ مَا يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ، وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجًا. ٣٨لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٣٩وَهذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. ٤٠لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ».
٤١فَكَانَ الْيَهُودُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ قَالَ:«أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ». ٤٢وَقَالُوا: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ يَسُوعَ بْنَ يُوسُفَ، الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ؟ فَكَيْفَ يَقُولُ هذَا: إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ؟»
٤٣فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«لاَ تَتَذَمَّرُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ. ٤٤لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ.
٤٥إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللهِ. فَكُلُّ مَنْ سَمِعَ مِنَ الآبِ وَتَعَلَّمَ يُقْبِلُ إِلَيَّ. ٤٦لَيْسَ أَنَّ أَحَدًا رَأَى الآبَ إِلاَّ الَّذِي مِنَ اللهِ. هذَا قَدْ رَأَى الآبَ.

هذا الفصل من الإنجيل يتضمن جانباً من حديث الرب في اليوم التالي لمعجزة إشباع الآلاف الخمسة من خمسة أرغفة وسمكتين والذي يبدأ مباشرة بقوله: "**أنا هو خبز الحياة. من يقبل إليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً**" (يو٦: ٣٥)، وختامه "**لا يقدر أحد أن يُقبل إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني وأنا أقيمه في اليوم الأخير. كل من سمع من الآب وتعلم يُقبل إليَّ**" (يو٦: ٤٤، ٤٥).

وقد واصل الرب حديثه – الذي انفرد به إنجيل معلمنا يوحنا – وهو يشرح لنا معنى أنه **خبز الحياة**، فأضاف بعد ما سبق مباشرة "**أنا هو خبز الحياة. أباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا... أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو**

جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦: ٤٨- ٥١). ولما تحيّر اليهود من كلامه ودبّ بينهم الخصام واجههم الرب بالقول الفصل **"إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية... يثبت فيَّ وأنا فيه"** (يو٦: ٥٣، ٥٤، ٥٦)، منبئاً عما سوف يرسمه ليلة آلامه من سر الحياة لمؤمنيه.

من يؤمن بي فله حياة أبدية :

واقع الأمر، فإن الجزء الذي يتضمنه إنجيل اليوم من حديث المسيح، هو الأساس الذي يقوم عليه **سر الإفخارستيا**، الذي هو ليس أكل خبز وشرب خمر، وإنما هو **الإيمان بأننا نأخذ المسيح ونلتحم به روحياً**، بالصورة التي رسمها لنا: **أن جسده مأكل حق ودمه مشرب حق**، وأن الفعل الذي يتم، وإن كانت له عناصره المادية، فهو ليس فعلاً جسدياً بالمرة، وإنما هو فعل روحي بحت يُغير الحياة: فيغسلها من آثامها ويجددها ويطهرها، ولا علاقة له بصحة الجسد أو بالنجاح في الامتحان أو بحل المشاكل الحياتية كما يتوهم البعض ولو بحسن نية.

والرب كشف لنا عن **الهبات الروحية** التي ينعم بها علينا بتناولنا من جسده ودمه، تحت أعراض الخبز والخمر، وهي أن **نثبت فيه وهو فينا** (يو٦: ٥٦)، وأن **ننال الحياة الأبدية** (منذ الآن)، وأن يقيمنا في اليوم الأخير (يو٦: ٥٤). كما أن المؤمنين باعتمادهم بروح واحد (١كو١٢: ٣) لموت الرب وقيامته، وباشتراكهم في الجسد الواحد والدم الواحد يصيرون **جسداً واحداً في المسيح**.

الجسد لا يفيد شيئاً :

كما في سائر الأسرار، **فالروح القدس** هو العامل في **سر الإفخارستيا**، ومجال فعله هو **النفس والروح**[1]، وفي حديث الرب لنيقوديموس **"المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح"** (يو٣: ٦). فالجسد بالمفهوم

---

(١) ولكنه يمكن أن ينعكس أيضاً على صفحة الجسد إشراقاً ونوراً ووداعةً، كما أنه في القيامة سيغير الرب **"شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده"** (في٣: ٢١).

المادي ليس هو العنصر الأبقى "**الروح هو الذي يحيي، أما الجسد** (وحده) **فلا يفيد شيئاً، الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة**" (يو٦: ٦٣).

ونحن عندما نأكل **جسد المسيح** بحسب وصيته "**خذوا كلوا هذا هو جسدي** Soma" (مت٢٦: ٢٦، مر١٤: ٢٢، لو٢٢: ١٩)، فنحن لا نأكل لحماً Sarx وعظاماً تحت أعراض الخبز، وعندما نشرب دم المسيح فنحن لا نشرب دماً بشرياً[٢] تحت أعراض الخمر، فاللحم هو لقوت الجسد (كما كان المن لبني إسرائيل الذين خرجوا من مصر)، أما "**جسد المسيح**" فهو لغذاء الروح، كما أن **الدم** هو تعبير عن الحياة "**لأن نفس الجسد هي في الدم... لأن نفس كل جسد دمه هو بنفسه**" (لا١٧: ١١، ١٤). والكنيسة تصف الإفخارستيا "**الصعيدة المقدسة الناطقة الروحانية غير الدموية**" (صلاة الصلح – القداس الكيرلسي).

الجسد بدون الروح ميت، وكلام الرب لم يكن عن الجسد المادي وأكله وإنما عن الروح والحياة "**من يأكلني فهو يحيا بي**" (يو٦: ٥٧). و"**جسد المسيح**" (بحسب مفهوم كلمة **الجسد** في اللغة الآرامية) يعني كيانه كله أي جسده ونفسه (ناسوته) المتحد بلاهوته[٣]. هو إذاً أكْل المسيح ككل (**من يأكلني**)[٤]، واحتواء

---

(٢) وقد حرم الله أكل اللحم بدمه وشرب الدم: "**لحما بحياته دمه لا تأكلوا**" (تك٩: ٤)، "**لا تأكل نفس منكم دماً... لا تأكلوا دم جسد ما**" (لا١٧: ١٢، ١٤)، "**ولكن احترز أن لا تأكل الدم لأن الدم هو النفس، فلا تأكل النفس مع اللحم**" (تث١٢: ٢٣).

(٣) وهذا ما يتضمنه اعتراف الكاهن في ختام القداس الإلهي، وفي القسمة السريانية "**إذ لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده**".

(٤) فصلوات سر الإفخارستيا تتم على قربانة **واحدة**، صغرت أم كبرت، وكل جزء منها بعد صلاة القسمة هو جسد كامل يأخذه المتقدم للتناول. ولاتصال السر مباشرة بالفداء وغفران الخطايا والحياة الأبدية بيسوع المسيح الحي إلى أبد الآبدين، فتسمى القربانة في بداية القداس "**بالحمل**"، وهي في الطقس الأرثوذكسي تحمل على وجهها سمات المصلوب: فهناك ثقوب خمسة حول جزئها المركزي (الإسباديقون) رمزاً لأثر المسامير الثلاثة، وإكليل الشوك، وطعنة الحربة. كما يحيط به ما يرمز للاثني عشر الذين أحاطوا بالرب ساعة العشاء؛ وفي الإطار الخارجي منقوش باليونانية تسبحة الملائكة حول العرش للمخلص الظافر: **قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحي الذي لا يموت**.

كل دم ذبيحة الصليب. **هذا هو المأكل الحق للجسد والمشرب الحق للدم** (يو٦: ٥٥)، فنشترك في موت الرب وقيامته وحياته الأبدية (١كو ١١: ٢٦)، وهذا أمر سري لا ندري كنهه ولا نستطيع أن نسبر أغواره ولا نعرف كيف يتم.

والانحصار في الظاهر المادي يأخذنا بعيداً عن العمل السري للروح القدس "**لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجل مرشوش على المُنجَّسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي**" (عب٩: ١٣، ١٤)، "**ودم يسوع المسيح ابنه يطهر من كل خطية**" (١يو ١: ٧). تطهير الضمائر والنفوس من الخطية إذاً لا يصنعه أكل وشرب مادي وإنما هو عمل الروح الذي يحتويه جسد المسيح خبز الحياة.

+ الذين يقولون أن جسد المسيح ودمه في التناول يصيران جزءاً من خلايانا وأنسجتنا ودمنا، غاب عنهم أن عمل جسد ابن الإنسان ودمه فينا هو **عمل روحي** وليس مادياً. ونحن إذا قبلنا تفكيرهم المادي، فيُفترض أنه مع تحلل أجسادنا إلى تراب بالموت فإن هذا ينسحب ضمناً على ما أخذناه فينا من جسد المسيح ودمه، وهذا لا يمكن أن يكون، وحاشا لمن يهب الحياة أن يسود عليه الموت! النظرة الروحية لا العقلية تعفينا من التفكير في مصير ما نأكله وما نشربه جسدياً. ما ينبغي أن يشغلنا هو أن نتحد بالمسيح ونمارس حياتنا الأبدية.

+ الذين يقولون أن الخبز والخمر في سر التناول يتحولان مادياً إلى جسد الرب ودمه بعيدون عن الفكر الأرثوذكسي، وتعبير **التحول الجوهري** Transubstantiation لم تعرفها الكنيسة لمدة الألف عام الأولى(٥)، وكنيستنا تقول

---

(٥) بعدها نادت الكنيسة الكاثوليكية بالتحول الجوهري في ١٠٥٤م، وفي القرن السادس عشر رفض البروتستانت التحول، وتبنوا وجهة نظر عكسية، وهي أنه ليس هناك غير خبز وخمر يمثلان جسد المسيح ودمه بصورة رمزية Symbolic، وأن الممارسة تهدف إلى تذكر موت الرب وقيامته وانتظار مجيئه.

أن الخبز **"ينتقل"** ليحوي جسد الرب، وأن الخمر **"ينتقل"** ليحوي دم الرب[٦].

+ كما كان المسيح يوم الخميس الكبير هو الذي شكر وبارك وقدس وقسم وأعطى تلاميذه، فهو وإلى أخر الأيام، كرئيس كهنة العهد الجديد، الذي يقدم جسده ودمه على مائدة الكنيسة بيد كاهنه الخديم الذي يقول **"يا من أعطى تلاميذه القديسين ورسله الأطهار في ذلك الزمان، الآن أعطنا يا ضابط الكل الرب إلهنا"** (القداس الغريغوري).

وبحسب كلام الرب، فالكنيسة فيما هي تمارس **سر الإفخارستيا**، فإنها تبشر في كل مرة بموت الرب وتعترف بقيامته وتجدد ذكره[٧] إلى أن يجئ حين تشرب كأسه جديداً في ملكوت أبيه في العرس السمائي الدائم إلى الأبد (مت٢٦: ٢٩).

فلنستعد :

عندما نقترب من المائدة المقدسة فنحن أمام **"جسد ودم عمانوئيل إلهنا"** أي أمام شخص المسيح نفسه **"كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح"** (١كو ١٠: ١٦)[٨]. والكنيسة تنبهنا إلى رهبة هذه اللحظة **"فلنقف حسناً. لنقف بتقوى. لنقف باتصال. لنقف بسلام. لنقف بخوف الله ورعدة وخشوع"**، وحول الرب تقف الملائكة ورؤساء الملائكة. والسارافيم والشاروبيم يسترون وجوههم من بهاء مجد الرب غير المنظور.

---

(٦) في **"سر حلول الروح القدس"** يقول الكاهن سراً **"ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك"** (القداس الباسيلي)، **"ليحل روح قدسك على هذا الخبز وهذه الكأس لكي يتطهرا وينتقلا.."** (القداس الكيرلسي).

(٧) **"لذكري"** لا تعني مجرد التذكر أو إحياء ذِكر حدثٍ مضى، ولكنها تقصد استحضاراً حياً لعشاء الرب ليلة آلامه لأن **"يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"** (عب١٣: ٨).

(٨) وهناك التعبير الطقسي الكنسي عن سر التناول أنه فيه نأخذ جسد الرب ودمه **"تحت أعراض الخبز والخمر"**.

والكتاب يوصينا **"ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس"** (١كو١١: ٢٨). فبركات الإفخارستيا لا ننالها آلياً، وإنما يلزم أن نؤمن بالمسيح مخلصاً لأنه **"بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه"** (عب١٠: ٦)، والوقوف أمام جسده ودمه بالخشوع الواجب والشعور الكامل بحضور الرب وانحصار الذهن فيه، وأن نصدق أنه بتناول جسد الرب ودمه نثبت فيه ويثبت فينا، وتُغفر خطايانا في دم الصليب، وننال الحياة الأبدية، وأن نستعيد فكرياً وقلبياً عمله الفدائي بصلبه وموته وقيامته، ونحيا في انتظار مجيئه لكي يختم على خلاصنا بدخولنا إلى الملكوت؛ كما يتطلب الأمر صدق **التوبة** واستقامة القلب وأمانته، وأن تكون قراءة الكلمة والصلاة والصوم والخدمة، ومصالحة الجميع والغفران للمسيئين هي مبادئ الحياة.

ومن الطبيعي أن يمتد هذا الحرص والإلتزام بعد التناول أيضاً، فلا تَحلُل من الوقار ولا تسيّب في الكلام ولا عودة من جديد لأخطاء الماضي أو للخصام والمقاطعة. ولا شك أن النعمة الغامرة التي نأخذها في التناول تظل حافظة لسلوك المؤمن إن ظل على خضوعه لها. ومع هذا فالرب مستعد أن يغفر لكل من أخطأ فرجع إليه تائباً.

والذين يتهيبون التناول لأنهم يرون أنفسهم خطاة، ويمتنعون عن التناول لأنه في نظرهم **"نور ونار"**، وينتظرون أن يصيروا أفضل لكي يتقدموا إلى المائدة، هم مخطئون في حق أنفسهم لأنهم بذلك يحرمونها من المسيح وربما يفقدون فرصة الحياة. والمسيح لم يأتِ ليدعو **"أبراراً بل خطاة إلى التوبة"** (مت٩: ١٣، مر٢: ١٧، لو٥: ٣٢). فالخطاة هم المقصودون أولاً بالكرازة، وتصرفهم الإيجابي كبنين، على مثال الابن الضال، بالتوبة والرجاء في محبة المسيح، والتقدم الخاشع للتناول، هو ما ينبغي أن يفعلوه، وشركتهم الدائمة بالمسيح فيما بعد هي التي ستضمن مسيرتهم في طريق الحياة الأبدية.

أما أولئك المستهترون الذين يتقدمون بغير إدراك لما هم أمامه، ودون استعداد بالتوبة، ويتجاسرون على دخول الأقداس بغير مخافة، فالكتاب يدينهم

"إذاً أي من أكل من هذا الخبز (حسب الظاهر) **وشرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه.... لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون"** (١كو١١: ٢٧، ٢٩، ٣٠). فالخاطئ غير التائب لن يغيره التناول المتواتر، بل هو **"يأكل ويشرب دينونة لنفسه"**.

إلى من نذهب ؟

عندما قدم الرب نفسه للعالم أنه **"خبز الحياة الذي نزل من السماء"**، الذي من يأكله هو فإنه يحيا إلى الأبد، على خلاف المنّ الذي أكله الآباء في البرية وماتوا، تذمر اليهود عليه وخاصموا بعضهم بعضاً، بل أن كثيرين من تلاميذه (غير الاثنى عشر) لما سمعوه يتكلم عن أكل جسده وشرب دمه قالوا **"أن هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه؟"**، وانسحبوا من رفقته. فسأل الرب الاثنى عشر إن كانوا هم أيضاً يريدون أن يمضوا، فأجابه بطرس عنهم **"يارب. إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي"** (يو٦: ٦٠، ٦٧-٦٩).

وحتى اليوم هناك من لا يرون في كلمات الرب غير معناها المجازي، ويرفضون شهادة الكتاب وممارسات الكنيسة[٩] منذ القرن الأول فيجردون الممارسة من قوتها الفريدة.

وقد سبق أن استصعب التلاميذ وصية الرب عندما طلب من الشاب الغني إن أراد أن يكون كاملاً، أن يذهب ويبيع أملاكه ويعطيها للفقراء ويأتي ليتبعه، وقالوا للرب **"إذاً من يستطيع أن يخلص؟"** فقال لهم **"غير المستطاع عند الناس**

---

(٩) فمنذ عصر الرسل صارت الإفخارستيا تقليداً منتظماً (أع٢٠: ٧)، ويقول **القديس يوستين** Justin (١٥٠م) "لقد قبلت الكنيسة الأرثوذكسية دائماً كلمات الرب على أنها حقيقة، وأن التقدمة التي تتقدس بكلمة الصلاة هي الجسد والدم ليسوع المتجسد".

مستطاع عند الله" (مت١٩: ٢٥، ٢٦، مر١٠: ٢٦، ٢٧، لو١٨: ٢٦، ٢٧).

وبالفعل فنحن لا نستطيع أن نفهم سر الجسد والدم، أو نبلغ حياة القداسة، إلا بمعونة الثالوث القدوس، وإخضاع العقل للإيمان وعمل الروح **"قارنين الروحيات بالروحيات"** (١كو٢: ١٣): **"لا يقدر أحد أن يقبل إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني"** (يو٦: ٤٤)؛ **"بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"** (يو١٥: ٥)؛ **"ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس"** (١كو١٢: ٣).

المسيح "خبز الحياة" ينادي "الجياع والعطاش إلى البر" لكي يشبعوا؛ وجسده ودمه "يُعطى لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه"؛ "ومَن يُقبل إليه لا يخرجه خارجاً".

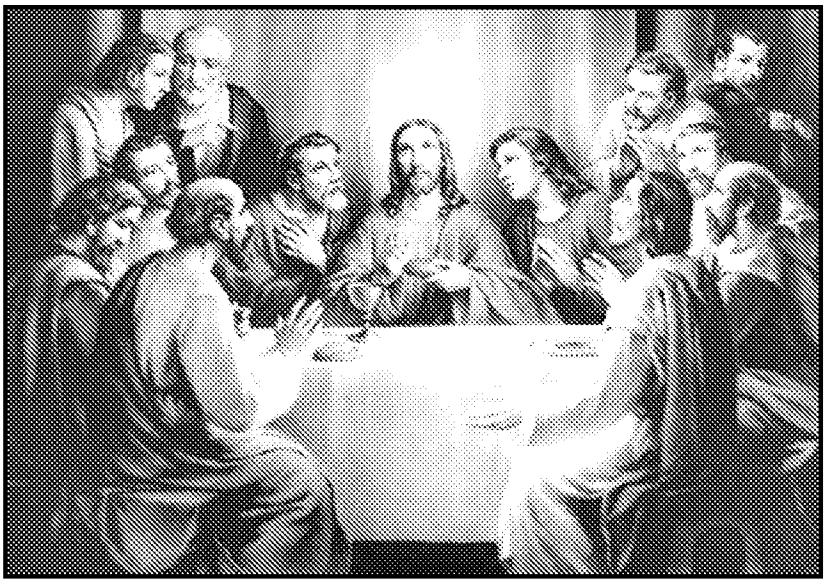

"أنا هو خبز الحياة. من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدا"
(يو٦: ٣٥)

الأحد الرابع من شهر أمشير (*)

توبة زكا

عشية مز٩١: ٢، ٣ لو١٧: ١-١٠
باكر مز٨٨: ٩، ١٠ لو١٧: ١١-١٩
البولس : ١كو ١: ١-١٦
الكاثوليكون : يع ١: ١٣-٢١
الإبركسيس : أع ٨: ٥-١٣

مز٢٣: ١، ٢

الإنجيل : لو١٩: ١- ١٠

(هو أيضاً إنجيل الأحد الثالث من شهر توت)

(*) هذا **الأحد، الرابع من أمشير**، يكون عادة ضمن الآحاد الأولى من الصوم الكبير [وكان هذه السنة (١٧٣٠/٢٠١٤) **الأحد الأول** من الصوم الكبير، كما كان **الأحد الخامس من أمشير الأحد الثاني من الصوم الكبير**]؛ ولا يكون خارج نطاق هذا الصوم إلا على فترات متباعدة عندما تتأخر بداية الصوم ويأتي عيد القيامة بالتالي في الأسبوع الأول من شهر مايو (كما كان الحال في السنوات ١٩٨٣، ١٩٨٦، ٢٠٠٢، ٢٠١٣ - وكما سيكون في السنوات ٢٠٢٤، ٢٠٤٠، ٢٠٥٤ حتى منتصف القرن).

أناجيل قداس آحاد الصوم الكبير(*)

+ الأحد الأول : "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره"- أحد الكنوز

+ الأحد الثاني : التجربة على الجبل- أحد التجربة

+ الأحد الثالث : محبة الله للخطاة - أحد الابن الضال

+ الأحد الرابع : الماء الحي - أحد السامرية

+ الأحد الخامس : "أتريد أن تبرأ؟"- أحد المخلع

+ الأحد السادس : المسيح نور العالم - أحد المولود أعمى

+ الأحد السابع : المسيح يدخل أورشليم- أحد السعف أو الشعانين

(*) قراءات أحد الرفاع: **عشية** مز٤٦: ١٠، مر١١: ٢٢-٢٦، **باكر** مز١٠٠: ٢، ٣، لو١٧: ٣-١٠، **البولس** ٢كو ١١: ١٦-٢٨، **الكاثوليكون** ٢بط١: ١-١١، **الإبركسيس** أع٢١: ١٥-٢٦، **القداس** مز٢: ١١، ١٠، **الإنجيل**: مت٦: ١-١٨

راجع مقال "**الصوم المسيحي**" في الكتاب السادس من "**نور الحياة**" ص ١١٤، ومقال "**قراءة في أناجيل الصوم الكبير**" في الكتاب الثالث من "**نور الحياة**" ص ٥٨.

الأحد الأول من الصوم الكبير

"اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره"

(أحد الكنوز)

عشية مز١٧: ١، ٢ مت ٦: ٣٤-٧: ١٢
باكر مز١٨: ١، ٢ مت ٧: ٢٢-٢٩
البولس : رو ١٣: ١-١٤
الكاثوليكون : يع ١: ١٣-٢١
الإبركسيس : أع ٢١: ٤٠-٢٢: ١٦

مز ٢٥ : ١، ٢، ٤

الإنجيل : مت ٦ : ١٩- ٣٣

[19] «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. [20] بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ، [21] لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا. [22] سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّرًا، [23] وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا، فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَمًا فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ!

[24] «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ. [25] «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ،

وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ ٢٦انْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ ٢٧وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟ ٢٨وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. ٢٩وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. ٣٠فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ ٣١فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ ٣٢فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا. ٣٣لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ. ٣٤فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ

إنجيل **قدَّاس الأحد الأول من الصوم الكبير** (أي الأحد الذي يختم **أسبوع الاستعداد**[1] السابق على الأربعين المقدسة)، هو امتدادٌ لإنجيل الأحد السابق له (والذي يُعرَف **بأحد الرفاع**[2] تجاوزاً) (مت ٦: ١-١٨).

وفصلا الإنجيل هما الجزء الثاني من **موعظة المسيح على الجبل، التي استوعبت الأصحاحات من الخامس إلى السابع من إنجيل مُعلِّمنا متى**. وقد بدأ الرب موعظته فتوجَّه بفيض تحنُّنه على الطبقات المسحوقة في المجتمع، مطوباً الذين تواضَع نصيبهم في الحياة بغير تذمر بأن لهم ملكوت السموات، واعداً الحزانى والمتألِّمين والباكين والمضطهَدين من أجل الإيمان بأنهم سيتعزَّون

---

(١) للتعرف على الآراء المتعلقة بهذا الأسبوع، راجع كتاب "**أصوامنا القبطية**" للمتنيح **القس كيرلس كيرلس** (ص ١٢٦-١٣٩).

(٢) ويُقصَد به رَفع ما لا يؤكل في فترة الصوم من قائمة الطعام، تهيُّئاً لأيام تُركِّز النفس فيها على العبادة، ولا تنشغل بألوان الطعام الدسمة والاكتفاء بالبقول والخُضر سهلة الطبخ والتي لا تستهلك الوقت.

ويفرحون في الملكوت، ومطوِّباً الودعاء وأنقياء القلب وصانعي السلام بوراثة الملكوت ومُعاينة الله، مؤكِّداً على دور المؤمنين به في الكرازة باسمه باعتبارهم ملح الأرض ونور العالم. وطالَب الكل بطاعة الوصية التي أُكملت في شريعة العهد الجديد، والارتفاع إلى آفاقها بمعونة النعمة.

وأدان الرب رياء العبادة والتظاهُر بالبرِّ الذاتي الذي أشاعه الفرِّيسيون من أجل اكتساب مديح الناس ورضاهم. فالصلاة والصوم والصدقة هي ممارسات روحية تُقدَّم في الخفاء إلى الآب السماوي الذي يرى في الخفاء، وهو الذي يُجازي كل واحد كما يكون عمله.

وإنجيل قدَّاس الأحد الأول من الصوم الكبير، والذي يُعرف **بأحد الكنوز**، يستكمل الصورة عمَّا ينبغي أن يكون عليه السلوك الموازي في الحياة العملية اليومية ليعكس التوجُّه الروحي، فلا نسمح بازدواج الحياة.

"حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً" :

اهتمامات الناس تتبع نهج حياتها. والذين يلتصقون بالأرض ويتمسَّكون بالتراب، لا تتجاوز اهتماماتهم حياتهم الجسدية الأرضية ولا علاقة لهم بالسماء والمصير الأبدي. والرب يقول لهؤلاء مُشفِقاً ومُنبِّهاً: أنَّ تعبهم على الأرض هو تعبٌ باطل؛ وأنَّ حبهم وتكديسهم للمال يُسقطهم **"في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومُضرَّة تُغرِّق الناس في العَطَب والهلاك"** (١تي ٦: ٩)؛ وأنَّ ما يكنزونه هنا، إنْ كان حنطة أو بقولاً، فالسوس في انتظاره ومصيره الفساد، وإنْ كان أموالاً أو حُليّاً فلن تنجو من الصدأ، وما يتبقَّى من كنوزهم سيتولَّى اللصوص مهمة سرقته.

والرب يدعوهم – ونحن معهم – إلى طريق أفضل: **"لا تكتروا... على الأرض"**. وحتى لو استطعتم أن تُحسنوا الاختزان، وأن تضعوا أموالكم وثرواتكم في المصارف والخزائن، وأن تُؤمِّنوا عليها ضد الحريق والسرقة وغيرها،

فأنتم لن تأخذوها معكم إلى القبر، بل ستتركونها لغيركم، وقبل هذا وبعده **"ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه"** (مت١٦: ٢٦، لو٩: ٢٥).

تستطيعون أن تحموا كنوزكم من الضياع بأن تُشركوا الفقراء، إخوة المسيح، معكم في خيراتكم[٣]. خصِّصوا جانباً من أموالكم لبحوث الدواء وبناء المستشفيات وعلاج المرضى وتخفيف الآلام. اشتركوا بها في إقامة المدارس وتعليم الأُميين والجُهَّال وتربية الصغار، وإقامة الملاجئ لليتامى. بهذه الصورة تنتقل كنوزكم من الأرض إلى السماء، وطنكم الأبدي، حيث تبقى آمنة بعيدة عن اللصوص والفساد والدمار.

وحتى الذين لا يملكون هنا، يستطيعون هم أيضاً أن يكتروا فوق. فألوان عبادتكم الأمينة، وحِفظكم للوصية، ورفضكم أباطيل العالم، وخدمتكم للرب قدر طاقتكم **"كفقراء ولكن نغني كثيرين"** (٢كو٦: ١٠)؛ هذه كلها تظل محفوظة في سِفْر تذْكِرَة، ولا يمكن أن تُنسَى قدَّام الله، وتُضاف إلى مخازن كنوزكم فوق.

ويوم الحساب للجميع، ستشهد كنوزكم المحفوظة لكم، وتسمعون صوت الرب يقول: **"تعالوا إليَّ يا مُباركي أبي، رثوا الملكوت المُعدَّ لكم منذ تأسيس العالم"** (مت ٢٥: ٣٤).

"سرَاج الجسد هو العين" :

العين هي جهازنا البصري، وهي نافذتنا التي نُطِلُّ منها على العالم وتستقبل ما نلتقطه منه. والعين، كسائر الحواس، تكتسب طبيعتنا. فالمؤمن الذي

---

(٣) في الأخبار أن **مارك زوكربيرج** (٢٩ سنة) مؤسس شبكة التواصل الاجتماعي Facebook تصدّر قائمة المتبرعين للأعمال الخيرية في الولايات المتحدة للعام ٢٠١٣ بما يقترب من المليار دولار، هي ثلث ما تم التبرع به لعمل الخير في الولايات المتحدة في هذه السنة؛ كما قام بخفض راتبه إلى دولار واحد في السنة!.

وُلِد من الله ويثبت فيه، تصير طبيعته روحية، وكذلك تصير كل حواسه.

والعين البسيطة؛ هي العين الروحية التي لا تقف عند ظاهر الأشياء، وإنما هي تدخل إلى العمق؛ وهي عينٌ عفيفة لا تجرؤ أن تتجاوز حدودها؛ وهي عينٌ حكيمة لا تنبهر بخداع العالم، وقادرة أن تكتشف زيفه؛ وهي عينٌ مكتفية لا يأسرها غِنَى الآخرين، وإنما تشكر الله لها ولهم. من هنا يسطع نور العين البسيطة، وينشأ مُقابلها في الإنسان الباطن بصيرة روحية تعرف الحق (١يو ٥: ٢)، وتنحاز له، وتنفر من الكذب والمراوغة، ويصير الكيان كله، جسداً وروحاً، مُنيراً بهيّاً.

على العكس من ذلك، تكون **العين الشريرة** المتطلعة إلى أمجاد هذا العالم، التي يسهل خداعها وتُغريها شهوات الجسد[٤]، وتجترئ وتتلصَّص ولا تتعفَّف[٥]، وتحسد وتطمع[٦]، وتتفاخر وتُريد كل شيء لنفسها، وبدلَ أن تكون مصدراً للنور تصبح مدخلاً للشرِّ وتُغرق الجسد والنفس في ظلمة الموت. وهو ذات الخطر الذي يتهدَّد المؤمن إذا لم يتمسَّك بنعمة الله وانجذب وانخدع من شهوته، فيترلق إلى التجربة صانعاً تدبيراً للجسد (رو ١٣: ١٤). ولا خروج له من هذه الضيقة إلاَّ بالتوبة والتوسُّل للنعمة ألاَّ تتخلَّى عنه، فتستعيد العين دورها كسرَاج للجسد بعد أن تخلع أعمال الظلمة وتلبس أسلحة النور (رو ١٣: ١٢ – من البولس).

---

(٤) "**فرأت المرأة أنَّ الشجرة جيدةٌ للأكل، وأنها بهجةٌ للعيون، وأنَّ الشجرة شهيةٌ للنظر؛ فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل**" (تك ٣: ٦).

(٥) "**وكان في وقت المساء أنَّ داود قام عن سريره وتمشَّى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة جداً. فأرسل داود رُسلاً وأخذها**" (٢صم ١١: ٢-٤).

(٦) "**اذكروا امرأة لوط**" (لو ١٧: ٣٢)، "**ونظرت امرأته من ورائه، فصارت عمود ملح**" (تك ١٩: ٢٦).

"لا يقدر أحدٌ أن يخدم سيِّدَيْن" :

يواصل المسيح إنارة أذهان سامعيه، مُنبِّهاً الذين يمسكون العصا من المنتصف في محاولة لإرضاء الله ببعض الممارسات الشكلية، وفي نفس الوقت يُمارسون حياتهم الجسدية كما يشتهون، ويحسبون أنهم بذلك أفلحوا في حلِّ هذه المعادلة. والرب يؤكِّد على فشل هذه المحاولة، لأنها على المستوى العملي هي المستحيل بعينه، مُقدِّماً مبدأً قاطعاً من العقل السير على هُداه:

فمِن ناحية عامة: **"لا يقدر أحدٌ أن يخدم سيِّدَيْن"**، لأن هذا يستحيل عملياً، **"لأنه إما أن يُبغِض الواحد ويُحِبَّ الآخر، أو يُلازم الواحد ويَحتَقِر الآخر"**. فالولاء المزدوج لسيِّدَيْن كل منهما ضد الآخر هو خيانة لكليهما، ولا يمكن للأضداد أن تجتمع معاً: فالظلمة والنور لا يوجدان معاً، مثَلهما مثَل النار والماء.

وبصورة مُحدَّدة، عند التطبيق: "لا تقدرون أن تَخدِموا الله والمال"، أو كما يقول القديس بولس: **"أية خِلطة للبرِّ والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأيُّ اتفاق للمسيح مع بليعال؟... وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟"** (٢كو ٦: ١٤-١٦). فأية محاولة للجمع بين الله والمال هي مرفوضة من جانب الله، فضلاً عن أنها غير مُجدية ومحكوم عليها بالإخفاق، **"فالله لا يُشْمَخ عليه"** (غل ٦: ٧)، والاستمرار في التظاهُر الكاذب بإرضاء الله هو طريق ينحدر نحو الهلاك. وقديماً أدان الله إسرائيل وقال فيهم: **"لأن هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه، وأما قلبه فأَبعده عني"** (إش ٢٩: ١٣). وقد ذكَّرهم الرب أيام تجسُّده بهذا القول (مت ١٥: ٨؛ مر ٧: ٦). فالرياء وازدواج الحياة مُدمرٌ للحياة والعبادة والمصير.

"لا تهتموا"[٧]:

الرب يُوجِّه كلامه للذين يعيشون حسب الجسد، الذين هبطت اهتماماتهم لأمور الطعام والشراب واللباس: "**لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون... تأمَّلوا زنابق الحقل كيف تنمو**". وهو يرفع أنظارهم إلى الله الذي يَهب **الحياة**، وهي أعظم بما لا يُقاس من الطعام الذي نقتات عليه؛ والذي خلق **الجسد**، وهو أهم من اللباس الذي يكسوه. والرب استخدم أمثلة مِمَّا يراه الإنسان حوله: فهذه **طيور السماء** لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن والآب السماوي يرعاها ويَقُوتها. كما أنَّ **زنابق الحقل** الصغيرة لا تغزل ولا تصبغ أرديتها ولكن ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها، "**فإنْ كان عُشبُ الحقل... يُلبسه الله هكذا، أفليس بالحري جداً يُلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟**".

والرب لا يقصد بالطبع أن لا يعمل الإنسان وينتظر أن يأتي الطعام إلى فمه، وهو الذي قال له الله: "**بعرق وجهك تأكل خبزاً**" (تك ٣: ١٩)، فمِن الأمانة أن يؤدِّي كل إنسان ما عليه؛ ولكن الله قَصَدَ أنه لا يليق أن يسأل الإنسان الله من أجل الطعام والشراب واللباس، فهذه مطالب الأُمم، أهل العالم، الجسديين؛ والآب السماوي يَعلم احتياجاتنا كلها. وإذا كان الله يهتم بالزنابق والعُشب والطيور[٨]، فكم نحن بالحري أفضل منها. وهو اعتبر القلق[٩] على أمور الجسد، وسؤال الله من أجلها، إعلاناً عن ضعف الإيمان[١٠]. فهو يريد أن

---

(٧) الاهتمام to care for أمرٌ طبيعي ومطلوب، أما الهَمُّ والقلق to worry about فهو يعني غياب الثقة في الله، ومعه انحسار السلام في القلب وما يحمله من اضطراب وجزع يتنافى مع الإيمان.

(٨) "**أليست خمسة عصافير تُباع بفلسين، وواحدٌ منها ليس منسيّاً أمام الله؟ بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعها مُحصاةٌ! فلا تخافوا، أنتم أفضل من عصافير كثيرة!**" (لو ١٢: ٦،٧).

(٩) "**فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون، ولا تقلقوا، فإنَّ هذه كلها تطلبها أُمم العالم**" (لو ١٢: ٢٩،٣٠).

(١٠) ولقد يُقال: ألا يتناقض هذا مع تعليم الرب، في نفس الموعظة على الجبل، والمتضمَّن في=

تتجرَّد حياتنا من الهَمِّ والانشغال بالأعمال الميتة: "**لأن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام... فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله**" (رو ٨: ٧،٨).

ومِن هنا فهو يحثُّنا أن "**لا تهتموا للغد** (فيما يتعلَّق بمطالب الجسد)، **لأن الغد يهتمُّ بما لنفسه** (أي أنه سيأتي ومعه عطايا الله التي يفيض بها على كل مخلوقاته)"، وأنَّ هناك في حياتنا كمؤمنين أموراً تستحق اهتماماتنا وطلب معونة الله من أجلها: مثل جهادنا اليومي لإرضاء الله، ومساندتنا ضد مكائد إبليس، كما علَّمنا الرب قائلاً: "**ولا تُدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير**".

ويقول: "**يكفي اليوم شرُّه** its own trouble "، ويقصد أعباءه وأتعابه ومطالبه، فلا تُضيفوا إليه التفكير الزائد في قضايا الغد التي لم تأتِ بعد، وهذه عندما تجيء ستُرافقها معونة الرب التي يفيض بها دوماً علينا.

"اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه" :

خلُص الرب في النهاية إلى هذه الوصية التي تُشكِّل منهج حياة المؤمن. وهو يُخاطب كل مِنَّا كمخلوق سماوي يبدأ حياته على الأرض، ولكنه إذ يُولَد من الماء والروح يصير ابناً لله ينتسب مباشرة لمملكة السماء. وهو في الجسد يعيش في هذا العالم، ولكن العالم لا يعيش فيه ولا يملكه. وهو يحيا حسب

=الصلاة الربانية: "**خبزنا كفافنا أعْطِنا اليوم**" (مت ٦: ١١)؟ ولكن الآباء المُفسِّرين الأوائل قالوا بأنَّ الكلمة التي تصف "**الخبز**" في الأصل اليوناني هي "epi-ousios" متعددة المعاني: فهي قد تعني "ما يكفي اليوم أو اليومي "daily"، وأيضاً "ما فوق الطبيعة" أو "الجوهري" أو "الذي للغد" أو "**الآتي**". وهم رجَّحوا المعنى الروحي لأنه يتوافق مع تعليم الرب: "**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله**" (مت ٤: ٤؛ لو ٤: ٤)، "**اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يُعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا** (أي ابن الإنسان) **الله الآب قد ختمه**" (يو ٦: ٢٧). والمقصود هو المسيح نفسه "**خبز الحياة**" (يو ٦: ٣٥)، والخبز الإفخارستي. وهو ما تتفق معه الترجمة القبطية التي تقول: "**خبزنا الذي للغد** (البعيد)" أو "**خبزنا الآتي**" "Our bread of the morrow".

الروح، لأن في ذلك حياته (رو ٨: ٥)، ويقتات بكلمة الله. وهو يكرز للعالم بالخلاص، مُنادياً بحياته المنتصرة. وهو في كل الأحوال في يد الله، وموضع رعايته كواحد من خرافه الخاصة التي يعرفها بأسمائها والتي يقول عنها: "**وأنا أُعطيها حياةً أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحدٌ من يدي**" (يو ١٠: ٣، ٢٨).

بعد هذا كله، فماذا ينبغي أن نطلب **أولاً**؟..

الرب كشف لنا أن مطالب الأمور الجسدية هي أدنى من أن نُضيِّع فيها وقت الصلاة. إنها مطالب أهل العالم الذين يعيشون حسب الجسد، وتخلو حياتهم من اليقين، ويملأهم الهَمُّ والخوف ألا تدوم هذه العطايا. والرب يقول إنه كفيلٌ بحاجاتنا الجسدية التي يعرفها كلها أكثر مما نعرف. ولكي يؤكِّد ثقتنا فيه، يدعونا أن ننظر إلى زنابق وعُشب الحقل وفراخ الغربان والعصافير التي هي موضع رعايته، مُشيراً إلى أننا عنده أفضل منها، ومكتوب أنَّ: "**الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا معه كل شيء!**" (رو ٨: ٣٢).

على هذا فإنَّ ما ينبغي أن نطلبه **أولاً** هو "**ملكوت الله**"، والطريق إليه هو أن نحيا بحسب "**بر الله**": **أن نؤمن به ونثق في محبته، وأن نحبه بالتالي من كل القلب والفكر والنفس والقدرة، وأن تمتدَّ محبتنا له تلقائياً إلى القريب، أي كل مَن حولنا، وأن تظل علاقتنا بالله على استقامتها دون أن تنحرف إلى الرياء، وأن تبقى العين والحواس على نقاوتها، وأن نتوقف عن اهتمام الجسد، وأن تظل التوبة باباً مفتوحاً للعودة إنْ ضعفت محبتنا أو ضِقنا بتحمُّل الآلام من أجل المسيح.**

ومتى صار هذا نهجنا، فالله يعفينا من أن نطلب أمور الجسد، فهذه كلها "**تُزاد لنا**"، وهي "**لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا**" في آخر الأيام (رو ٨: ١٨). ويبقى ألاَّ نرتبك بأمور الحياة، ونُدرك أنَّ قصد وجودنا وحياتنا هو في المقام الأول "**ملكوت الله وبره**".

الأحد الثاني من الصوم الكبير

التجربة على الجبل

(أحد التجربة)

عشية مز٥١: ١، ٩ مر١: ١٢-١٥
باكر مز٥٧: ١ لو٤: ١-١٣
البـــولـــس : رو ١٤: ١٩-١٥: ٧
الكاثوليكون : يع ٢: ١-١٣
الإبركسيس : أع ٢٣: ١-١١

مز٢٧: ٨، ٩

الإنجيـل: مت٤: ١ - ١١

[1]ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. [2]فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا. [3]فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ:«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا». [4]فَأَجَابَ وَقَالَ:«مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ». [5]ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، [6]وَقَالَ لَهُ:«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». [7]قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ». [8]ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، [9]وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». [10]حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ

إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». [11]ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ.

بعد أن اعتمد الرب من يوحنا، يعرِّفنا الكتاب أنه رجع من الأردن "**ممتلئاً من الروح القدس**" (لو٤: ١) "**ثم أُصعد يسوع إلى البرية من الروح ليُجرَّب من إبليس. فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة**[1] **جاع أخيراً**" (مت ٤: ١، ٢).

فالأمر لم يكن بيد إبليس ولكنه كان تدبيراً إلهياً. فالمسيح أُقتيد إلى البرية "**من الروح القدس**" وليس من قِبَل الشيطان، وكان الهدف هو إظهار مجد المسيح واستدراج إبليس لغلبته، مقدِّماً مثالاً للإنسان لكي يتبع خطواته (١بط ٢: ٢١). وهو لما دخل التجربة بعد **الصوم الطويل** بيّن لنا كيف ننال الغلبة فيما يأتي علينا من تجارب العدو "**وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم**" (مت١٧: ٢١). والكتاب يسجل لنا كثيراً كيف كان الرب يخرج إلى الخلاء **ليصلي**، وكيف جاهد في **الصلاة** من أجلنا في بستان جثسيماني وهو يقترب من الصليب، وهو يوصينا "**اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة**" (مت٢٦: ٤١، مر١٤: ٣٨).

بالطبع لم يكن المسيح محتاجاً أن **يصوم** طويلاً استعداداً لبدء خدمته أو ليأخذ قوة من فوق، أو لينعش روحه ويضبط حواسه، كما لم يكن الرب محتاجاً أن يجاهد في **الصلاة**، وهو الله الظاهر في الجسد، لكي يسأل معونة أو يقدم توبة، فهو كامل الصفات ولا يمكن للخطية أن تجد صداها في داخله "**الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر**" (١بط ٢: ٢٢)، بل هو قد جاء ليقهر الخطية والموت لحساب الإنسان الذي أذلّه السقوط.

---

(١) صوم الرب يستعيد لنا صوم **موسى** لنفس المدة على جبل حوريب (سيناء) (خر٣٤: ٢٨) حيث أعاد كتابة الوصايا العشر من جديد على لوحين من حجر عوضاً عن اللذيْن كسرهما في غضبه على الشعب لعبادته العجل الذهبي (خر٣٢: ١٩)، وأيضاً صوم **إيليا** قبل بدء خدمته (١مل ١٩: ٨).

ولكن المسيح صام لأنه بتجسده صار إنساناً كاملاً أو هو "**الإنسان**" (يو١٩: ٥) "**آدم الأخير**" (١كو١٥: ٤٥) في الصورة التي كان عليها آدم قبل أن يخطئ. فهو قد صار مثلنا في كل شئ ماعدا الخطية[٢] لكي نكون مثله، وهو لكي يخلّص الإنسان، فقد "**أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس... وأطاع حتى الموت، موت الصليب**" (في٢: ٧). وخلال حياته على الأرض جاع مثلنا وعطش وتعب ونام وحزن وبكى وتألم.

"مجرَّب من إبليس"[٣] :

التجربة temptation في ذاتها ليست خطية، وإنما يُقصد بها **الاختبار والامتحان** test، وهذا يمكن اجتيازه بالانتصار إذا قابل صدوداً ورفضاً من الإنسان الباطن وطاعة لصوت الروح القدس، كما قد ينتهي بالانصياع والاستسلام للإغراء والخديعة إذا لقى تجاوباً من الميول الخاطئة والشهوات الجسدية، وهنا تقترن التجربة بالخطية "**ولكن كل واحد يُجرَّب** (أي يسقط في التجربة) **إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تلد موتاً**" (يع١: ١٤، ١٥)[٤].

ونحن عندما نطلب من الله "**ولا تدخلنا في تجربة**" (مت٦: ١٣، لو١١: ٤)، فنحن نعني ألا يسمح أن ندخل في امتحان يتجاوز قدراتنا. فإن سمح أن ندخل التجربة فنقول "**ولكن نجنا من الشرير**" أي نجنا من أن نضعف فيسقطنا الشرير. والله إذ يسمح بأن نُجرَّب فذلك لتزكية إيماننا ودعمه كي نظل ساهرين دوماً كالجندي الحارس "**فلا ننم إذاً كالباقين بل لنسهر ونصح**" (١تس٥: ٩).

---

(٢) فهو بولادته تحت الناموس من عذراء بالروح القدس لم يرث الخطية على عكس كل البشر (غل٤: ٤).

(٣) فهو "**المشتكي على إخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً**" (رؤ١٢: ١٠).

(٤) مجرد التعرض للتجربة لا يعني السقوط، والشيطان لا يحارب إلا الأقوياء لكي يسقطهم، وهو جرَّب **أيوب** (أي١: ٨) **وإيليا** (١مل ١٩: ٢، ١٠)، فليس أي مؤمن مهما بلغ بعيداً عن التجربة، ولكن النجاة هي في مقاومة إبليس بإيمان واثق، وحتى لو حدث السقوط فالباب مفتوح للنهوض والتوبة.

ولكن كيف يسمح الرب لإبليس أن يجربه؟

ليس غريباً أن إبليس يُجرِّب فهذه مهمته منذ سقوطه، أن يخدع ويُغري ويحارب ويقود إلى الموت، ولكن الغريب هو تجرؤه أن يُجرِّب الرب. ولكن يمكن القول أن إبليس، لأنه لم يكن مدركاً طبيعة المسيح بصورة كاملة، فقد أراد أن يتيقن من حقيقة هويته: "**إن كنت ابن الله**"(٥)، وربما يفلح أيضاً في الإيقاع به. ولقد كانت نفس المسيح الإنسانية خالية من الشر ولكنه كإنسان كامل كان معرضاً للتجارب من الخارج "**مُجرب في كل شئ مثلنا بلا خطية**" (عب٤: ١٥). والرب ارتضى بالتجربة، وقَبِل أن تتعدّد(٦)، لحسابنا نحن كي نتعلم كيف نتعامل مع الشرير فنغلبه ونتركه مدحوراً "**في ما هو قد تألم مُجرباً يقدر أن يعين المجرَّبين**" (عب٢: ١٨).

التجربة الأولى : تجربة الخبز أو "شهوة الجسد"(٧):

بعدما صام الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة "**جاع أخيراً**" فرأى المجرِّب أن الفرصة باتت مواتية للهجوم، متوقعاً أن المسيح في أضعف حالته وسيكون مشتاقاً إلى الخبز. وذلك بحسب خبرته مع البشر أن ساعة جوعهم إلى الطعام أو الشراب أو الجنس تكون هي ساعة ضعفهم، فقال له: "**إن كنت ابن الله فقل أن**

---

(٥) والرب على الصليب واجه تحدياً مماثلاً من كثيرين: "**إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب**"، "**خلَّص آخرين أما نفسه فما يقدر أن يخلصها**"، "**إن كنت أنت المسيح، فخلص نفسك وإيانا**" (مت٢٧: ٤٠، ٤٢، مر١٥: ٣٠-٣٢ ، لو٢٣: ٣٩).

(٦) لم تكن هذه أولى تجارب الرب، فهو قد بدأ التعرض لها منذ ميلاده في مذود للبهائم "**افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره**" (٢كو٨: ٩)، ثم ترصَّده هيرودس فاضطر للهروب إلى مصر. ومكتوب أن إبليس بعد التجارب الثلاث تركه "**إلى حين**" (لو٤: ١٣)، وتوالت التجارب عليه فيما بعد حتى الصليب والموت.

(٧) البعض يقرن التجارب الثلاث بما جاء في الرسالة الأولى لمعلمنا يوحنا (يو٢: ١٦، ١٧). فالتجربة الأولى عن **شهوة الجسد** والثانية عن **شهوة العيون** والثالثة عن **تعظم المعيشة**، وإن لم يكن التطابق كاملاً خاصة بالنسبة للتجربة الثانية.

تصير هذه الحجارة خبزاً"، فهو يسأله أن يستخدم قدرته في تحويل الحجارة من حوله خبزاً لكي يسد جوعه. ولكن الرب أجابه: "**مكتوب: ليس بالخبز**[٨] **وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله**" (مت٤: ٤، لو٤: ٤)[٩].

كان المسيح، ابن الإنسان، بالفعل جائعاً، ولكنه على الفور رفض مشورة الشيطان فكل مشوراته ونصائحه مغرضة ومضمونة الضرر[١٠] "**أمينة هي جروح المحب وغاشة هي قبلات العدو**" (أم٢٧: ٦). ويعرِّفنا الكتاب أن **عيسو** في جوعه لم يبالِ أن يتنازل عن بكوريته لأخيه يعقوب من أجل أكلة عدس (تك٢٥: ٢٩-٣٤، عب١٢: ١٦، ١٧). والبعض يبيعون كرامتهم أو مبادئهم أو جسدهم أو أولادهم أو حتى دينهم من أجل اللقمة "**يُذنب الإنسان لأجل كِسرة خبز**" (أم٢٨: ٢١).

المسيح رفض أن يستخدم قدرته لإرضاء جسده، بل هو لم يعفِ نفسه من التعب والآلام حتى الصليب والموت لأنه لهذا جاء، وهو بعد الصوم الطويل لم يكن متلهفاً على الخبز بأي ثمن، وظل منحازاً لوصية الله التي تكشف عن الجانب الأسمَى والأبقى من الكيان الإنساني وهي الروح التي تغتذي بكلمة الله.

بالصوم الحقيقي نضبط الشراهة واللهفة على الطعام، ونغلب سلطان الخبز فلا نقترب إليه فيما بعد كعبيد بل باعتباره خادماً لقوت الجسد بغير تزيّد أو مغالاة، أي بتعفف ورغبة منضبطة "**فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتفِ بهما**" (١تي ٦: ٧)، "**لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس**" (رو١٤: ١٧). أما الجسديون الذين يصومون غصباً وينتظرون نهاية الصوم بصبر نافد، فهؤلاء يظلون إلى النهاية عبيد لقمة العيش، أذلاء أمام

---

(٨) في بلادنا يسمي الناس الخبز "**العيش**" لأنه العنصر الأساسي للغذاء الضروري للحياة.

(٩) الرب يستخدم هذا النص المكتوب (تث٨: ٣) الذي خاطب به الله شعب إسرائيل مذكّراً إياهم برعايته لهم أربعين سنة في البرية فيحذرهم من الانشغال بالخبز كأنه هو الأهم بل إنما رعاية الله الذي عالهم بالمن والسلوى كما أنه حفظ ثيابهم فلم تبلَ وأرجلهم فلم تتورم (تث٨: ٤).

(١٠) قيل أن الشيطان ظهر **للقديس أنطونيوس** وكان نائماً وطلب إليه أن يستيقظ ليصلي. ولكن القديس رفض طلبه وقال له: أني أصلي حينما أريد ولن أسمع لك (فأنت لا يمكن أن تقصد لي خيراً).

تحارب إبليس. والرب خلال كرازته حذّرنا من الخضوع لحاجات الجسد "**لا تهتموا لأجسادكم بما تأكلون**" (مت٦: ٢٥، لو١٢: ٢٢)، "**اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية**" (يو٦: ٢٧).

عندما تكون **كلمة الله** هي سيف دفاعنا (أف٦: ١٧) وغذاء كل يوم، لا يجرؤ العدو على أن يقتحم حياتنا. ولأن الكلمة تكون حاضرة في القلب والعقل وعلى اللسان فنحن نرد بها على تجارب العدو، التي يخدع بها البسطاء، فلا تهزمنا التجارب أو السقطات أو الخسائر والضيقات والآلام "**لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي** (بالمسيح)" (٢كو١٢: ١٠).

التجربة الثانية : "شهوة العيون"[١١] :

"**ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة** (أورشليم) **وأوقفه على جناح الهيكل**[١٢]. **وقال له: "إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب: أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك** (مز٩١: ١١، ١٢) قال له يسوع: "**مكتوب أيضاً، لا تجرب الرب إلهك**" (تث٩: ١٦، مت٤: ٥-٧، لو٤: ١٢).

ها هو إبليس المحتال يستخدم الآية هو أيضاً كغطاء لمكيدة يريد أن يوقع الرب فيها، وهو نهجه حينما يريد أن يوقع مؤمناً في حبائله. فعندما يريد مثلاً أن يزين لشاب التعلق بالمخدرات والسقوط في مستنقع الإدمان يقول له "**كل الأشياء طاهرة**" (رو١٤: ٢٠)، "**وليست خليقة غير طاهرة قدامه**"

---

(١١) في **إنجيل معلمنا لوقا** تتبادل التجربتان الثانية والثالثة مواقعهما، فجعل تجربة طرح المسيح نفسه من فوق الهيكل إلى أسفل التجربة الأخيرة، لأنه في أورشليم كانت تجربة المسيح العظمى على الجلجثة حيث رفض أن ينزل من على الصليب.

(١٢) كان الهيكل أعلى بناء في المنطقة، وعلى الأرجح فإن **جناح الهيكل** كان سقف الممشى الجنوبي الناتئ والمشرف على وادي قدرون والذي يرتفع أكثر من ٧٥ متراً. ومن هذه النقطة كان ممكناً رؤية مباني أورشليم وكل الإقليم على امتداد عدة أميال. ويتردد أن من هذه المكان ألقى اليهود **بالقديس يعقوب** أخي الرب فمات شهيداً.

(عب٤: ١٣). فهو يستخدم الآية في غير موضعها ولا هدف له غير أن يُلحق بمن يطيعه أبلغ الضرر.

ونلاحظ أن التجربة تمت في "**المدينة المقدسة**" و"**على جناح الهيكل**" كما جرب إبليس أبوينا في الفردوس، فإبليس لا يتورع عن الإغراء وبث الشر في أي زمان أو مكان مقدس: في الكنيسة والهيكل، في مخدع الصلاة، أو في خلوة في الدير، أو خلال الخدمة، أو أثناء الصوم، أو حتى وقت قراءة الكتاب.

كان يمكن للرب أن يتبع إبليس فتأتي الملائكة لتحمله في الهواء ويترل سالماً، ويصير المشهد مبهراً ومثيراً للإعجاب. ولكن المعجزة عند الرب لم تكن أبداً استدراراً للمديح وإرضاء الذات وإنما كانت دائماً لفعل الخير وإعلان محبته والحث على الإيمان والتمتع بالخلاص.

والرب في ردّه على تجربة إبليس بيّن أنه من الخطأ أن يوقع الإنسان نفسه في الضرر، أو يعرِّض نفسه بإرادته للمرض أو الخطر دون مقتضٍ، ثم يطلب تدخل الله لإخراجه من ورطته "**أيأخذ إنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه؟ أو يمشي إنسان على الجمر ولا تكتوي رجلاه؟**" (أم ٦: ٢٧، ٢٨). فهو هنا يجرِّب الرب إلهه ويختبر صِدقَه، بما يُعد إهانة كاملة لله، وهو الفعل الذي نهى الله عنه (تث٦: ١٦)، وساعتها يتخلى الله عنه ويدعه يذوق مرارة فعله "**حينئذ يدعونني فلا أستجيب. يبكرون إليّ فلا يجدونني**" (أم١: ٢٨).

أما التجربة التي تأتي للمؤمن بحسد إبليس، ظلماً أو اضطهاداً أو تآمراً، دون أن يكون قد سعى هو إليها ودخلها بقدميه، فهنا يتدخل الرب لإنقاذه "**ادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني**" (مز٥٠: ١٥)، "**الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون**" (خر١٤: ١٤). وقد ساند الرب **أيوب** في كل تجاربه لأنه ظل أميناً متمسكاً بإلهه وعوَّضه بالكثير بعد اندحار إبليس، وعندما رفض **الفتية الثلاثة** السجود للتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذنصّر وتم إلقاؤهم موثقين في أتون النار، جاء الرب ورافقهم وسط النار "**وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه**" (دا٣: ٢٨)، وعندما جاهر

دانيال بالصلاة والتضرع لإلهه وليس للملك، أمر داريوس، تحت ضغط وزرائه، بطرحه في جب الأسود، ولكن الله لم يتخلَّ عنه، ولما جاءه الملك وهو واجف القلب يسأله إن كان قد نجا، فقال دانيال "**إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرّني**" (دا ٦: ٢٢).

التجربة الثالثة : "تعظم المعيشة":

"**ثم أخذه إبليس إلى جبل عالٍ جداً، وأراه جميع ممالك العالم**[١٣] **ومجدها** (في لحظة من الزمان)، **وقال له أعطيك هذه جميعها إن خرّرت وسجدت لي. حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد**" (مت٤: ٨-١٠، لو٤: ٥-٨).

ها هو الكذاب وأبو الكذاب (يو٨: ٤٤) يمارس كذبه فيقول "**أعطيك هذه جميعها.. لأنه إليّ قد دُفع وأنا أعطيه لمن يريد**". لأنه حتى لو كان قد دُعي "**رئيس هذا العالم**" (يو١٢: ٣١، ١٦: ١١)، فهذا لا يعني أنه يملك كل الممالك حتى يعطيها لمن يريد لأن "**للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها**" (مز٢٤: ١)، وإنما يعني أنه مسئول بالذات عما في العالم من "**شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة**" (١يو ٢: ١٦) وعن جعله مسرحاً للشرور والحروب والظلم والتعاسة. ولكنه على كل حال "**رئيس مؤقت**"، ومصيره في البحيرة المتقدة بالنار (رؤ٢٠: ١٠).

+ إبليس يُغري الناس بالمال والممتلكات، والسلطة والرئاسة والمكان الأول، والرفاهية والمتع الجسدية والمجد الأرضي، على أن يصيروا له عبيداً طائعين. ولكن إبليس لا يصنع خيراً مهما بدا أنه يحب من يطيعه ويسعى لخدمته. والرب يحثنا ألا نصدقه فهو لا يعطي إلا كل ما هو زائف وباطل وقبض الريح "**والعالم يمضي وشهوته**" (١يو ٢: ١٧)، ولا يأتي من ورائه سوى الخراب والدمار. وهو، على

(١٣) لا يُقصد المعنى حرفياً، وإن كان يمكن أن الرؤية كانت عقلية وليست بالعين الجسدية.

عكس السيد، يجول يصنع شراً، وبهجته هي في إسقاط الناس في شباكه وطرحهم في الظلمة، "**وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرَّة تُغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة**" (١تي ٦: ٩، ١٠).

+ إذا استجاب واحد وصار عبداً لإبليس فهذا يعني أنه يمارس عكس وصية المسيح: أي ينسحب من محبة الله، ويبغض القريب، ويحب نفسه من كل قلبه، ويحب المال، ويتعالى وينتفخ، ويأتنس بالشر، ويستحل كل وسيلة من أجل نفعه: فيشتري الذمم، ويطمع ويغتصب، ويراءي، ويغضب، ويكذب، ويكره وينتقم بقلب بارد. وإذ يتقسى القلب ينتهي الأمر بمفارقة الروح، فينطفئ النور الهادي ويفقد التبكيت، ويهيم الخاطئ كأنه في صحراء وينتظره الدمار في نهاية المطاف. هكذا صار **نبوخذنصّر** (دا ٤: ٣٣)، **ويهوذا** (مت٢٧: ٥)،

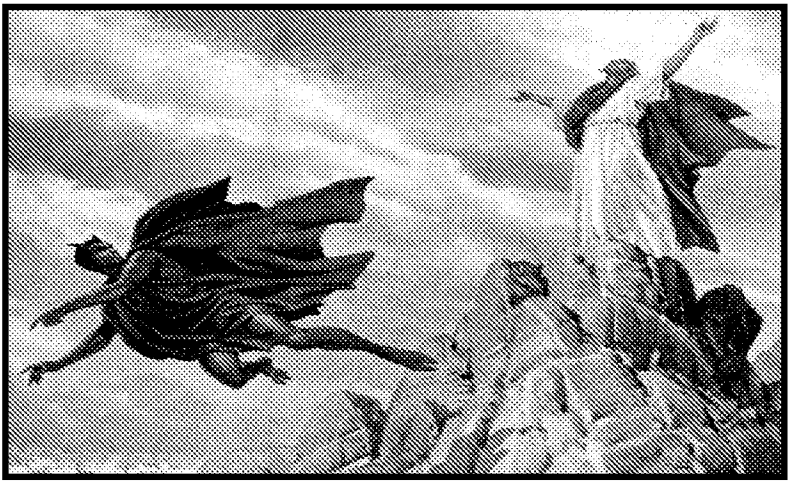

"**اذهب يا شيطان. لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد**"
(مت ٤: ١٠)

وهيرودس (أع ١٢: ٢٣) الذين باعوا أنفسهم للشيطان "**لأن نهاية تلك الأمور هي الموت**" (رو٦: ٢١).

❁ ❁ ❁

مواجهة إبليس والتعامل مع تجاربه كان ترتيباً إلهياً ولهذا فالانتصار كان محتماً "**خرج غالباً ولكي يغلب**" (رؤ٥: ٢)، وهكذا استخدم الرب سلطانه الإلهي ليطرد إبليس في النهاية بعد هزيمته قائلاً له "**اذهب يا شيطان**". وهو أيضاً ما ينبغي أن يكون عليه موقفنا عندما يواجهنا العدو المُجرِّب، فلا ننصت لصوته ولا نحسب له قدراً فوق ما يستحق. فهو قوي عندما نتخلى عن أسلحتنا ولكنه ضعيف عندما يكون لنا آلهة أخرى غير الله الذي نسجد له ونعبده. هكذا نستند على ذراع الله القوية ونواجهه غير هيّابين ونقول مع الرب "**اذهب يا شيطان.. لينتهرك الرب يا شيطان**" (زك٣: ٢). والرب يقولها عنا إذا تجاوزت التجربة حدودها "**ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا**" (١كو١٠: ١٣).

+ "ثم تركه إبليس (إلى حين) وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه" (مت٤: ١١، لو٤: ١٣). المسيح حارب وحده إبليس فهو لم يكن محتاجاً لمعونة أحد. وهو الذي جعل ملائكته بعيدين خلال تجاربه مع إبليس لكي يُظهر له مجده ويصرعه بكلمته القاضية، طارداً إياه من حضرته، فكان ذلك إيذاناً بمجيء الملائكة لخدمته.

ولكن إبليس لن يهدأ ولن يكف عن إزعاجنا بتجاربه إلا "**إلى حين**" ليعود من جديد. **عندما تمتد فترات السلام والفرح في حياتنا تكون بتدخل الله الذي يحمينا من عثرات إبليس، لكن علينا أن نظل ساهرين مستعدين لهجماته حاملين سلاح الله الكامل لكي نقدر أن نقاوم في اليوم الشرير** (أف٦: ١٣).

الأحد الثالث من الصوم الكبير

محبة الله للخطاة

(أحد الابن الضال)

عشية مز ٨٨: ١، ٢ مت١٥: ١٠-٢٠
باكر مز٥٥: ١، ٢، ١٦ مت٢٠: ١-١٦
البولس : ٢كو٦: ٢-١٣
الكاثوليكون : يع ٣: ١-١٢
الإبركسيس : أع ٢٤: ١-٢٣

مز٧٩: ٨، ٩

الإنجيل : لو١٥: ١١ - ٣٢

[11]وَقَالَ:«إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. [12]فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. [13]وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ. [14]فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. [15]فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ. [16]وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. [17]فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا! [18]أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، [19]وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. [20]فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ،

فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. [٢١]فَقَالَ لَهُ الابْنُ:يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. [٢٢]فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، [٢٣]وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، [٢٤]لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ. [٢٥]وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا. [٢٦]فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ [٢٧]فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا. [٢٨]فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. [٢٩]فَأَجَابَ وَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. [٣٠]وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ! [٣١]فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. [٣٢]وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ».

كان المسيح جالساً يُعلِّم، و"كان جميع العشَّارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه"، ولكن كان هناك أيضاً جمع مع الفرِّيسيين والكتبة يتذمَّرون قائلين: "هذا (!) يقبل خطاة ويأكل معهم" (لو ١٥: ١،٢)[(١)]. هذا دفع

---

(١) هذا المشهد تكرر خلال الوليمة التي أقامها **متَّى العشَّار** بعد أن تبع الرب، وفيها ردَّ الرب على الكتبة والفرِّيسيين قائلاً: **"لا يحتاج الأصحَّاء إلى طبيب بل المرضى... لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة"** (مت ٩: ١١-١٣؛ مر ٢: ١٦، ١٧؛ لو ٥: ٣٠-٣٢). وأيضاً في الحفل الذي أقامه **زكَّا العشَّار** بعد خلاصه حيث قال الرب للمتذمِّرين: **"لأن ابن الإنسان قد جاء ليطلب ويُخلِّص ما قد هلك"** (مت ١٨: ١١؛ لو ١٦: ١٠). ويكتب القديس بولس إلى تلميذه تيموثاوس: **"أن المسيح قد جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا"** (١تي ١: ١٥). ويُسجِّل الكتاب القول الإلهي: **"هل مسرَّة أُسَر بموت الشرير... إلاَّ برجوعه عن طريقه، فيحيا"** (حز ١٨: ٢٣؛ ٣٣: ١١).

الرب كي يؤكِّد لهم أن رفقته للعشَّارين والخطاة بل ومحبته لهم (مت ١١: ١٩؛ لو ١١: ٣٤) هي الأمر الطبيعي، لأنه لهذا جاء. واستخدم الرب في إيضاح رسالته المَثَل الشهير، مَثَل **الابن الضال**، الذي يُعتبر دُرَّة أمثال المسيح وأكثرها إفصاحاً عن محبة الله للخاطئ وسعيه وراءه كي يرجع ويحيا.

وقد مهَّد الرب لهذا المَثَل **بمثلين** من واقع حال السامعين، مبتدئاً بالقول: "**أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحداً منها...**" (انظر أيضاً مت ١٨: ١٢-١٤)، "**أو أية امرأة لها عشرة دراهم إن أضاعت درهماً واحداً...**". وفي الحالين، **فالراعي** لن يهدأ باحثاً عن خروفه الشارد، وعندما يجده يدعو الأصدقاء والجيران كي يُشاركوه فرحته بعودة **خروفه الضال**؛ كما أنَّ **المرأة** ستوقد سراجاً وتكنس البيت وتفتش باجتهاد إلى أن تجد **الدرهم المفقود**، وهي أيضاً ستدعو صديقاتها وجاراتها كي يفرحن معها باستعادة الدرهم الضائع.

وإذا كان هذا موقف الراعي إزاء خروف ضال من مئة، أو تصرُّف المرأة تجاه درهم مفقود من دراهمها العشرة؛ فالله بالأَوْلَى إزاء الخطاة الشاردين. فهو **الراعي الصالح** (لو ١٠: ١١،١٤) الذي يجدُّ في أثر الضال، الذي قد يستصغر الناس شأنه ولكنه ليس منسياً قدَّام الله (لو ١٢: ٩)، وهو الذي تحمَّل مسئولية خلاص كل واحد من خليقته الأثيرة (عب ٢: ٩) واستعادته من أَسْر إبليس "**لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو ٣: ١٦). والله يغفر ويفرح بالخاطئ العائد، بل إن الفرح يمتد إلى ملائكة السماء "**بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة**" (أعضاء الكنيسة الملتزمين المتمتعين برعاية النعمة)" (لو ١٥: ٧).

ثم نأتي إلى **المَثَل الثالث**، الذي يقود إليه المثلان السابقان، والذي يكشف بجلاء عن محبة الله المذهلة للخطاة. وأبطال المَثَل، كي تتم المطابقة، ثلاثة: **أب** غني مُحب (الله)، **وابن أصغر** طائش (الخاطئ الشارد الذي يندم ويرجع تائباً)، **وابن أكبر** يرى نفسه أبر من أخيه ويحتقره (الأبرار في أعين أنفسهم أصحاب العبادة الشكلية).

عن الابن الأصغر :

أول ما نلتقي به في هذا المثل عن **الابن الأصغر** قوله لأبيه: "**يا أبي أعطني القِسْم الذي يُصيبني من المال**". فالابن كان يعيش هانئاً في بيت أبيه متمتعاً برعايته، فأي شيطان زيّن له أن يصدم أباه بهذا الطلب غير اللائق عن نصيبه في ميراث أبيه وهو بعد حيّ. ويبدو أنه ملّ رتابة الحياة، أو أراد أن يمارس حريته بعيداً عن إشراف أبيه وسلطانه.

كان موقف الأب كريماً، رغم أنه طُعن في قلبه بطلب ابنه، لكنه اجتهد أن يخفي صدمته وخيبة أمله في ابنه، وأن يتجاهل ما في تصرفه من عقوق وجموح وتجاوز. ربما اعتبره طيشاً ولم يشأ أن يقف في طريقه أو يعبّر عن ضيقه وعدم رضاه. ولعلَّه ترجَّى أنه ربما اشتدَّ عوده واعتمد على نفسه وتدعَّمت شخصيته وأكسبته التجربة إمكانيات التصرُّف الملائم في مجالات العمل بعيداً عن الأب، أو ربما تركه يُجابه بنفسه عواقب رعونته واختياره الرديء فلعله يتعلَّم الدرس. وموقف الأب يعكس النهج الذي يتعامل به الله مع البشر، فهو لا يُجبر أحداً على تبعيته: "**إن أراد أحد أن يأتي ورائي...**" (مت ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ لو ٩: ٢٣)، وهو **وهب الإنسان حرية الاختيار**، وجَعَل مقابلها المجازاة في آخر الأيام.

اتَّخذ الأب قراره، فأعطى كلاً من ابنيه النصيب الذي يخصُّه، وكان للأكبر نصيب اثنين. والابن الأصغر حصر ما آل إليه وباع ما يمكن بيعه. وبعد أيام حمل معه ماله "**وسافر إلى كورة بعيدة**"(٢)، وهو ينشد الاستقلال والتمتُّع بالخصوصية مستثمراً حريته في الاتجاه الخطأ(٣)، وبدل أن يتاجر ويربح ويُمارس

---

(٢) المثل هنا يُجسِّد محاولة الخاطئ الهروب من الله، وصوت الضمير كان فيه حل مشكلته، والكتاب يكشف أن الخاطئ لا يستطيع، فإلى أين يهرب من وجه الله (مز ١٣٩: ٧،٨)!

(٣) كما بدا فيما بعد أنَّ الحرية التي كان ينشدها هي حرية الجسد ضد وصية الكتاب: "**لا تُصيِّروا الحرية فرصة للجسد**" (غل ٥: ١٣)، "**كأحرار، وليس كالذين الحرية عندهم سُترة للشر، بل كعبيد الله**" (١بط ٢: ١٩).

مسئوليته، اجتهد فقط أن يستمتع جسدياً بكل طاقته. وبالطبع فإن ماله الكثير سرعان ما اجتذب إليه أصدقاء السوء ونهازي الفرص. استغرقته الشهوات وإشباع الجسد، فبذَّر أمواله، وأسرف في الإنفاق.

ومضت الأيام سِراعاً، وأفاق في آخرها ليجد نفسه صفر اليدين وقد انفضَّ عنه المنتفعون. وضاعف من تدهور الأحوال أن مجاعة شديدة حاقت بالكورة "**فابتدأ يحتاج**"، ووجد نفسه مضطراً للبحث عن أي عمل يسد رمقه "**فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة، فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير**"!. ها هو ينحدر للتعامُل مع الطبقات الدُّنيا، وتبلغ به المذلة إلى رفقة الخنازير "النجسة" (لا ١١: ٧)، وبعد أن كان ابن الأشراف، صار الآن عبداً وخادماً، ويعيش لا في بيت مُكرَّماً، وإنما مع الخنازير في الحقل. ويبدو أنَّ الأجرة كانت شحيحة حتى أنه "**كان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله**". ولكن حتى هذا استعصى عليه و لم يُسمَح له به.

والمَثَل يُبيِّن الحضيض الذي يصير إليه الإنسان عندما ينأى بنفسه عن الله. كما أنه يكشف أيضاً عن تدخُّل الله من أجل عودة مَن يحب، بالضغط عليه بالظروف المضادة (الاحتياج، المجاعة، المهانة والذُّل والمعاناة، الوحدة، الخواء الداخلي)، ودفعه دفعاً لتذوُّق إهانات الخطية، كي يُدرك انحطاطه والدرك السحيق الذي ينتهي إليه. وهكذا تُحرِّضه النعمة كي يهبَّ مُحطِّماً قيوده، ساعياً لاستعادة كرامته الإنسانية كابن لله، ومنفلتاً من تعاسته إلى أحضان أبيه السماوي.

وبالفعل فإنَّ سوء الأحوال جعل الابن يفيق من غيبوبته ويثوب إلى رُشده، فيرجع إلى نفسه ويُراجعها مقارناً بين ما هو فيه وما كان عليه؛ وكيف أن "الأجير" عند أبيه أفضل منه حالاً، إذ يفيض الخبز عن حاجته بينما هو في فاقته يكاد يهلك جوعاً. **وهكذا يأتي إلى نقطة التحوُّل المضيئة والعظمى في حياته،**

والتعبير عن الاحترام الواجب للنفس كما ينبغي أن يكون، أي صون كرامتها والغيرة عليها (رؤ ٢: ١٦) وانتشالها من مهاوي الفساد وتمتُّعها "**بحرية مجد أولاد الله**" (رو ٨: ٢١)، وهي الخطوة التي يبذل عدو الخير كل ما يستطيع لإجهاضها بآمال كاذبة في تحسُّن الأحوال، أو تأجيلها كل الحياة!

هكذا استجمع الابن إرادته وقال: "**أقوم وأذهب إلى أبي**"، وعندما أقف أمامه أُعبِّر له عن أسفي نادماً على ما بَدَرَ مني في حماقتي وأقول له: "**أخطأتُ إلى السماء** (فكل خطية في أساسها هي موجَّهة إلى الله) **وقدَّامك، ولستُ مستحقاً أن أُدعَى لك ابناً** (فقد لوَّثت اسمك و لم أحافظ على كرامة انتسابي إليك)، **اجعلني** (إذاً) **كأحد أَجْراك**" الذين أغبطهم على تمتُّعهم بكرمك وشرف خدمتك. وهكذا "**قام وجاء إلى أبيه**"(٤).

عن الأب :

أما عن **الأب** ، فهو منذ أن فارقه ابنه المحبوب وهو يُمنِّي النفس أن يعود يوماً، و لم يفقد أبداً هذا الأمل. وهو كان يجلس كل يوم على ربوة عالية تسمح له أن يرى القادم على البعد. هكذا التقطت عيناه الابن المُفتَقَد وهو "**لم يَزَل بعيداً**"، فتدفقت مشاعره المحتبسة وفاض حنانه(٥)، و لم يستطع أن يبقى في مكانه، ودفعه الفرح أن يركض متَّجهاً نحو العائد الذي عفَّره التراب وأجهده المسير.

لم يُفكِّر وقتها الأب في فعلة ابنه الحمقاء، وإنما ما غلبه هو حبه وشوقه لرجوع الغائب، فما أن صار أمامه حتى "**وقع على عنقه وقبَّله**" بغير تحفُّظ أو تردُّد. الابن من ناحيته رغم ارتباكه، وقد فاجأته مشاعر أبيه، اجتهد أن يقول

---

(٤) الابن الأصغر يمكن أن يُمثِّل **الأمم** الذين بدَّدوا عطايا الله لهم، وانغمسوا في الشهوات وعبادة الأوثان، ولكنهم مع هذا سبقوا **اليهود** (الابن الأكبر) في قبولهم الخلاص، ليصير الآخِرون أوَّلين، والأوَّلون آخِرين (مت ١٩: ٣٠؛ ٢٠: ١٦؛ مر ١٠: ٣١؛ لو ١٣: ٣٠).

(٥) يُسجِّل الوحي في أكثر من موضع تحنُّن الرب على الجموع الهائمة (مر ٦: ٣٤؛ لو ٩: ٣٦؛ ١٤: ١٤)، أو مَن أذلَّهم العجز أو المرض (مت ٢٠: ٣٤؛ مر ١: ٤١،٤٢)، أو من سحقهم حزن الموت (لو ٧: ١٣،١٤).

ما أعدَّه من قبل: "**يا أبي أخطأتُ إلى السماء وقدَّامك، ولستُ مستحقاً أن أُدعى لك ابناً**"؛ والأب من ناحيته لم يَدَعه يُكمل ما بدأه وردَّ عليه بما كان هو أيضاً قد أعدَّه من قبل في حال عودته. وهذا لم يكن فيه اللوم والعتاب (أو ربما أيضاً العقاب الذي يستحقه جزاء إساءته وتمرُّده - بل وفشله وقد عاد خالي الوفاض بعد أن بدَّد نصيبه هباء - أو حتى لتأديبه كي لا يكرر سقطته هذه)، وإنما - ويا للعجب - كان فيه البهجة والفرح والاحتفال بل والتكريم للخاطئ العائد والاحتفاء بالتوبة ذاتها، وهكذا قال لعبيده:

(١) "**أخرجوا الحُلَّة الأولى وألبسوه**": حُلَّة المناسبات الكبرى، وهي روحياً رمز ثوب البر (زك ٣: ٣،٥) الذي فيه يصير الخاطئ التائب باراً ببرِّ المسيح الذي يُغطيه "**البسوا الرب يسوع**" (رو ١٣: ١٤) وكأنه لم يُخطئ يوماً؛

(٢) "**واجعلوا خاتماً في يده**": رمز الانتساب للعائلة، والسلطان الموروث، والبنوَّة الدائمة؛

(٣) "**وحذاءً في رجليه**": فهو قد تعرَّى، عندما انحدر إلى هاوية البؤس بالبُعد عن أبيه وعاد إليه حافياً ذليلاً. فالحفاء رمز العبودية (العبد كان حافياً). والحذاء يرمز إلى النعمة الحافظة، والحماية من سهام العدو، وعدم التعثُّر، والتأهُّب الدائم للخدمة واستعداد إنجيل السلام (أف ٦: ١٥)، ونقاوة الحياة الجديدة؛

(٤) "**وقدِّموا العِجْل المُسمَّن واذبحوه فنأكل ونفرح**": فليس أسعد منها مناسبة لذبح العجل المُسمَّن[٦]. والأب يرى عودة الابن ذروة الفرح. فغيابه كان نوعاً من الموت، ومجيئه عودة إلى الحياة. من هنا قال الأب: "**لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوُجِد**".

---

(٦) كما أنَّ "**فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبحَ لأجلنا**" (١كو ٥: ٧) يوم خلاصنا البهيج، وبه نلنا كلنا الحياة الأبدية. وجسد الرب ودمه هما وليمة فرح دائمة على مذبح الكنيسة.

عن الابن الأكبر :

أما **الابن** الأكبر فكان غائباً عن الأحداث المثيرة في البيت وهو يُشرف على العمل في الحقل. ولما انصرم النهار أقفل راجعاً. وإذ اقترب أكثر "**من البيت، سمع صوت آلات طَرَب ورقصاً**". فاستفسر من أحد الغلمان مُندهشاً مِمَّا يجري، فسمع منه ما صدمه "**فغضب ولم يُردْ أن يدخل**". واضح أنه لم يكن راضياً عن تصرُّف أخيه، وربما لم يكن على وفاق معه أصلاً في البيت، فكيف بعد هذا كله يقبله أبوه، وأكثر من ذلك أن يحتفل بعودته هذا الاحتفال الصاخب، ويذبح له العجل المُسمَّن الذي كان يرى ذبحه في مناسبة تستحق (ربما حفل زواجه هو). من هنا رَفَضَ دخول البيت في وجود أخيه أو التعامُل مع فاسد مثله.

ولكن الأب كشف عن رزانته وحكمته وطول أناته في التعامُل مع أولاده (**مترفقاً كما تربى المرضعة أولادها**- ١تس٢: ٧)، وأيضاً عن محبته واتضاعه. فهو يخرج إلى ابنه الكبير الغاضب مُراضياً، فيواجَه باحتجاجه ولومه وهو يُقارن بين جدّيته والتزامه وسلوك أخيه المتسيِّب. وكأنه يُداين أباه يقول له مقرِّعاً: "**ها أنا أخدمك سنين هذا عددها، وقطُّ لم أتجاوز وصيَّتك، وجدياً** (وليس عِجْلاً) **لم تُعطِني قطُّ لأفرح مع أصدقائي**"، (وبعد الإحساس بالبر والتفاخُر، يأتي الغضب مختلطاً مع الكبرياء، ويتوارى التوقير للأب المُحب)، فيقول: "**ولكن لَّما جاء ابنك هذا** (ولم يَقُل: "**أخي**"، ترفُّعاً وتحقيراً) **الذي أكل معيشتك مع الزواني** (اتهامٌ يكشف سوء ظنه في أخيه)، **ذبحت له العِجْل المُسمَّن** (بغير ما يستحق)".

ودون أن ينفعل على ابنه الكبير الذي يتهمه، ودون أن يواجهه بحقِّه في التصرُّف فيما يملكه، قال له الأب: "**يا بُنَيَّ** (مؤكِّداً على موقفه الثابت عنده) **أنت معي في كل حين، وكل ما لي فهو لك** (لماذا تتكلَّم كأجير فقير يسأل أن يأخذ شيئاً، لا كابن يملك كل شيء؟) **ولكن كان ينبغي أن نفرح ونُسَرَّ، لأن أخاك**

هذا (مُذكِّراً إيَّاه بما أنكره) **كان ميتاً فعاش**[٧]، **وكان ضالاً فوُجد**". فالأمر إذاً يستحق، وعودة الغائب تجعل الاحتفال مُحتَّماً (ينبغي)، ولو كان الابن الأكبر باراً لفرح بعودة أخيه تائباً بعد التيه **فالمحبة "تفرح بالحق"** (١كو ١٣: ٦).

والمَثَل ينتهي **والابن الأكبر خارج البيت**. فهل اعتدل مسار تفكيره وطابت نفسه، وانفتح قلبه من جديد لأخيه، وانضمَّ إلى جماعة الفرحين بعودة الخاطئ مُبتهجاً؟ أم باعتباره يُمثِّل الكتبة والفرِّيسيين (ووجوده في المَثَل كان مقصوداً، رغم أن المثل كان يمكن أن يكتمل بدونه، كي يكشف الرب انحرافهم وقد كانوا في صدارة المشهد) سيكون مثلهم **ويظل قلبه بعيداً** (إش ٢٩: ١٣؛ مت ١٥: ٨؛ مر ٧: ٦)[٨].

* * *

نحن كلنا مقصودون بهذا المثل. فنحن عندما نُخطئ نكون كمَن يشرد بعيداً عن الله. والنبي إشعياء وهو يُشير إلى آلام الرب من أجل الخطاة يقول: "**كلنا كغنم ضللنا. مِلْنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا**" (إش ٥٣: ٦). ولكن الرب فيما عرضه من أمثال، يُسعد قلبنا أن عينه تتبعنا وينتظر عودة التائبين ليُحرِّرهم من أَسْرهم. والخطاة بكل أنواعهم مدعوون لحفل التوبة البهيج الذي يرأسه المُخلِّص، سواء منهم المستبيحون غير المبالين، أو المتستِّرون بعبادة التدين الشكلي، أو المُكبَّلون بأغلال العالم، أو المراوغون والمهزومون الهاربون من وجه الله، أو السطحيون العاطفيون خادمو السيِّدين، أو مَن لهم صورة التقوى العابدون بالشفاه، أو الأبرار في أعين أنفسهم، وغيرهم وغيرهم.

---

(٧) فالخطية موت (أف ٢: ١،٥؛ كو ٢: ١٣)، والسقوط في الخطية من جديد عودة إلى الموت، والتوبة والغفران انتقال من الموت إلى الحياة (يو ٥: ٢٥؛ رو ١١: ١٥؛ أف ٥: ١٤) (أو موت عن الخطية – رو ٦: ١).

(٨) أم إنه يُمثِّل الشعب اليهودي الذي كان ابناً بكراً في الإيمان وأول مَن عرف الله، والذي قَبِلَ المواعيد والناموس والنبوَّات، ومع هذا لم يقبل المُخلِّص، ولكن الأُمم سبقوه إلى الخلاص (إش ٢: ٣؛ مت ١٢: ٢١؛ رو ٩: ٢٥؛ أف ٢: ١١-٢٠؛ ٣: ٦)، وسيظل خارج الباب إلى نهاية الأيام عندما **تخلص البقية** حسب وعد الله (إش ١٠: ٢٠-٢٢؛ رو ٩: ٢٧؛ ١١: ٢٥،٢٦).

هؤلاء جميعاً هم محبوبو الرب الذين بذل نفسه من أجلهم، عينه تتبعهم وينتظر عودتهم، ووعده الصريح: "**مَن يُقبل إليَّ لا أُخرجه خارجاً**" (يو ٦: ٣٧)، والرب كشف عن **محبته للخطاة** باعتبار حاجة المرضى وليس الأصحاء إلى الطبيب. ونحن عندما نقبل خاطئاً يتوب فنغفر له فهذا خاطئ يقبل خاطئاً، أما قبول الله كلي القداسة لعودة الخاطئ المدنّس فهو عمل من أعمال **النعمة** لا يقدر عليه إلا الله.

فمن العار إذاً أن يفقد خاطئ رجاءه في الله، بل ليتقدَّم إليه الآن وليس غداً منسكباً تائباً. ومَن يعجز عن التوبة فليصرخ إلى مُحب البشر متوسِّلاً: "**توِّبني فأتوب لأنك أنت الرب إلهي**" (إر ٣١: ١٨). وقد يكون الخاطئ المُغرق في خطيته، أو حتى غير المؤمن أصلاً، أقرب إلى قبول الخلاص من المؤمن الشكلي أو المسيحي بالاسم. والرب أيام تجسُّده رفضه مُعلِّمو الناموس الكتبة والفرِّيسيون، بينما آمن به العشَّارون والزواني (مت ٢١: ٣٢؛ لو ٧: ٢٩) فسبقوهم إلى ملكوت الله (مت ٢١: ٣).

و"**هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص**" (إش ٤٩: ٨؛ ٢كو ٦: ٢).

"**ابني هذا كان ميتا فعاش، وكان ضالا فوجد**"
(لو١٥: ٢٤)

الأحد الرابع من الصوم الكبير

المـــاء الحـــي

(أحد السامريـــة)

عشية مز٢٧: ١٤، ١٣ لو١٢: ٢٢-٣١
باكر مز ٣١: ٢٤، ٢٣ مت٢٢: ١-١٤
البـــولـــس : أف ٦: ١٠-٢٤
الكاثوليكون : يع ٤: ٧-١٧
الإبركسيس : أع ٢٥-١٣: ٢٦: ١

مز١٠٥: ٣- ٥

الإنجيـل : يو٤: ١- ٤٢

[1]فَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ سَمِعُوا أَنَّ يَسُوعَ يُصَيِّرُ وَيُعَمِّدُ تَلاَمِيذَ أَكْثَرَ مِنْ يُوحَنَّا، [2]مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تَلاَمِيذُهُ، [3]تَـــرَكَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى أَيْضًا إِلَى الْجَلِيلِ. [4]وَكَانَ لاَ بُدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّـــامِرَةَ. [5]فَأَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ يُقَالُ لَهَا سُوخَارُ، بِقُرْبِ الضَّـــيْعَةِ الَّتِـــي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ ابْنِهِ. [6]وَكَانَتْ هُنَاكَ بِئْرُ يَعْقُوبَ. فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هكَذَا عَلَى الْبِئْرِ، وَكَـــانَ نَحْـــوَ السَّـــاعَةِ السَّادِسَةِ. [7]فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّـــامِرَةِ لِتَسْـــتَقِيَ مَـــاءً، فَقَـــالَ لَهَـــا يَسُوعُ:«أَعْطِينِي لأَشْرَبَ» [8]لأَنَّ تَلاَمِيذَهُ كَانُوا قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِينَـــةِ لِيَبْتَاعُوا طَعَامًا. [9]فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ:«كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟» لأَنَّ الْيَهُودَ لاَ يُعَامِلُونَ السَّـــامِرِيِّينَ. [10]أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا:«لَوْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللهِ، وَمَنْ هُوَ الَّـــذِي

يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لأَشْرَبَ، لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا». [١١]قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ:«يَا سَيِّدُ، لاَ دَلْوَ لَكَ وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ. فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟ [١٢]أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ، الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ، وَشَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟» [١٣]أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا:«كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا. [١٤]وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ». [١٥]قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ:«يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ». [١٦]قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى ههُنَا» [١٧]أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ:«لَيْسَ لِي زَوْجٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ، [١٨]لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ. هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ». [١٩]قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ:«يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! [٢٠]آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ». [٢١]قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. [٢٢]أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ . لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. [٢٣]وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. [٢٤]اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا». [٢٥]قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ:«أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ». [٢٦]قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ».

[٢٧]وَعِنْدَ ذلِكَ جَاءَ تَلاَمِيذُهُ، وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَةٍ. وَلكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ: «مَاذَا تَطْلُبُ؟» أَوْ «لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مَعَهَا؟» [٢٨]فَتَرَكَتِ الْمَرْأَةُ جَرَّتَهَا وَمَضَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَتْ لِلنَّاسِ: [٢٩]«هَلُمُّوا انْظُرُوا

إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟». ٣٠فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا إِلَيْهِ.
٣١وَفِي أَثْنَاءِ ذلِكَ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَامُعَلِّمُ، كُلْ» ٣٢فَقَالَ لَهُمْ:«أَنَا لِي طَعَامٌ لآكُلَ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ». ٣٣فَقَالَ التَّلاَمِيذُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:«أَلَعَلَّ أَحَدًا أَتَاهُ بِشَيْءٍ لِيَأْكُلَ؟» ٣٤قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ. ٣٥أَمَا تَقُولُونَ: إِنَّهُ يَكُونُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ يَأْتِي الْحَصَادُ؟ هَا أَنَا أَقُولُ لَكُمُ: ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَانْظُرُوا الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ. ٣٦وَالْحَاصِدُ يَأْخُذُ أُجْرَةً وَيَجْمَعُ ثَمَرًا لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ مَعًا. ٣٧لأَنَّهُ فِي هذَا يَصْدُقُ الْقَوْلُ: إِنَّ وَاحِدًا يَزْرَعُ وَآخَرَ يَحْصُدُ. ٣٨أَنَا أَرْسَلْتُكُمْ لِتَحْصُدُوا مَا لَمْ تَتْعَبُوا فِيهِ. آخَرُونَ تَعِبُوا وَأَنْتُمْ قَدْ دَخَلْتُمْ عَلَى تَعَبِهِمْ».
٣٩فَآمَنَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَثِيرُونَ مِنَ السَّامِرِيِّينَ بِسَبَبِ كَلاَمِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ تَشْهَدُ أَنَّهُ:«قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ». ٤٠فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ السَّامِرِيُّونَ سَأَلُوهُ أَنْ يَمْكُثَ عِنْدَهُمْ، فَمَكَثَ هُنَاكَ يَوْمَيْنِ. ٤١فَآمَنَ بِهِ أَكْثَرُ جِدًّا بِسَبَبِ كَلاَمِهِ. ٤٢وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ:«إِنَّنَا لَسْنَا بَعْدُ بِسَبَبِ كَلاَمِكِ نُؤْمِنُ، لأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ».

لقاء مع امرأة سامرية :

مع بوادر صدام مع الفرِّيسيين، بعد تزايُد أعداد المؤمنين به، يترك الرب اليهودية ليعود شمالاً إلى الجليل، "**وكان لابد له أن يجتاز السامرة**[1]" (يو ٤: ٤)، ليس فقط بحسب موقعها بين اليهودية والجليل، وإنما لأنه في الحقيقة كان على موعد فيها مع خلاص نفس بل وبلدة

(١) عن "**السامرة والسامريين**" راجع ملحق رقم ٣ في نهاية الكتاب.

بأكملها. وها هو يأتي إلى سوخار **"بقُرب الضيعة[٢] التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه"**(يو ٤: ٥).

وإذ تعب يسوع من المسير الطويل، جلس عند حافة **بئر يعقوب** المعروفة في السامرة في انتظار اللقاء. وكان الموعد عند الظهيرة (الساعة السادسة) أي وقت شدة القيظ[٣]. وبالفعل جاءت امرأة لتستقى ماءً، والتلاميذ قد مضوا ليشتروا طعاماً من المدينة (ربما ما عدا **يوحنا** الذي بَقِيَ مع السيِّد وشهد اللقاء). والرب المُبادر دوماً بالاقتراب والتدخُّل للإنقاذ يبدأ الحوار بقوله: **"أعطيني لأشرب"**، وهو بالطبع لم يكن يريد الماء، ولكن كان يسعى إلى خلاص المرأة، وأراد أن يستحثها للكلام عن حياتها حتى تكتشف حاجتها إلى المخلِّص الذي يُنادي: **"أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه"** (إش ٥٥: ١)، **"أنا أُعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً... مَن يعطش فليأتِ"** (رؤ ٧: ١٧؛ ٢٢: ١).

وفي حديث الرب للمرأة السامرية نراه قد أزال حاجزَيْن: حاجز **النظرة الدُّونيَّة للمرأة** عند اليهود [حتى أن التلاميذ عند عودتهم **"كانوا يتعجَّبون أنه يتكلَّم مع امرأة!"** (يو ٤: ٢٧)]؛ وحاجز **العداء بين البشر**، ذلك "لأن اليهود لا يُعاملون السامريين" (يو ٤: ١٩). وبالفعل كان ردُّ المرأة: **"كيف تطلب مني لتشرب، وأنت يهوديٌّ وأنا امرأة سامرية؟"** (يو ٤: ٩). كان مُدهشاً أن المرأة تسوق العقبات أمام دعوة الرب الثمينة التي لم تكن قد أدركتها، وبدأت باستنكارها جرأته كرجل في الحديث معها وهي امرأة، وكيهودي وهي سامرية. هي شاءت أن تُغلق الباب وتمضي، والرب فتحه على مصراعيه وسدَّ أمامها أبواب الهرب.

---

(٢) هي المذكورة في (تك ٣٣: ١٧-٢٠).

(٣) كما التقى الرب بإبراهيم عند بلوطات ممرا "وقت حر النهار" (تك ١٨: ١) رمزاً لحضور الرب ساعة الشدَّة.

الماء الحي :

الرب يُحوِّل ذهنها من الانحصار في الماء، الذي أتت لتملأ به جرَّتها، إلى **"الماء الحي"**، لتملأ حياتها من **"ينبوع المياه الحيَّة"** (إر ٢: ١٣؛ ١٧: ١٣). ومُشفقاً يقول للمرأة التي لا تدري: آه **"لو كنتِ تعلمين عطية الله، ومَن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لطلبتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيّاً"** (يو ٤: ١٠).

والكلام أثارها ولكنها لم تستوعب. المهم أنها تكلَّمت لكي تفهم، وهناك بادرة توقير لهذا الغريب، إذ دعته **"يا سيِّد"**، وإن كان ذهنها لا يزال أسير ماء البئر: **"مِن أين لك الماء الحي؟"** (ربما كانت تقصد الماء الجاري المُتجدِّد، وليس هذا الماء الراكد في مثل هذه البئر)، ولا دلو لك للتعامُل مع البئر العميقة؟ **"ألعلَّك أعظم من أبينا يعقوب، الذي أعطانا هذه البئر؟"**، ماذا عندك لتُعطينا أكثر؟ ربما كانت تُجادِل وتدخل في حوارات كلامية لتبتعد عن أمور التوبة.

الرب لم يَقُل لها مباشرة: نعم أنا أعظم! وهو القائل إنه **"قبل إبراهيم"** (يو ٨: ٥٨)، وإنه **"أعظم من يونان"**، و**"أعظم من سليمان"** (مت ١٢: ٤١،٤٢)؛ ولكنه واصل حديثه عن **الماء الحي**: **"كل مَن يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن مَن يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياةٍ أبدية"** (يو ٤: ١٣،١٤)[٤]. والمرأة تردُّ: **"يا سيِّد أَعْطِني من هذا الماء، لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي"** (يو ٤: ١٥). لا يزال المنظور مادياً وينشد راحة الجسد (سيكون عندي ماء سحري يروي

---

(٤) فيما بعد، في اليوم الأخير (الثامن) من **عيد المظال** (حيث يشعلون الشعبة الأخيرة من المنارة)، وقف يسوع منادياً **"إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي"** قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون مزمعين أن يقبلوه (يو٧: ٣٧-٣٩).

عطشي ويعفيني من هذا التعب اليومي المُمل). والرب لا يشرح أكثر، وإنما يتَّجه مباشرة إلى هدفه الذي قصده منذ البداية.

المواجهة :

فجأة يطلب منها الرب أن **"اذهبي وادْعِي زوجكِ وتعالي إلى ههنا"** (يو ٤: ١٦). هذا باب يفتحه الرب مواجهاً أعماق حياة المرأة. والرب هنا يَستعلن أنه كلِّي المعرفة والعلم Omniscient والمرأة، وقد تفاجأت بالسؤال، تردُّ على الفور بالنفي: **"ليس لي زوج"**،وكأنها وجدت مخرجاً. والرب يردُّ بلطف مُشجِّعاً كي تواصل حوارها معه: **"حسناً قلتِ ليس لي زوج، لأنه كان لكِ خمسة أزواج، والذي لكِ الآن ليس هو زوجكِ. هذا قلتِ بالصدق"** (يو ٤: ١٧،١٨).

الرب في رقته وحبه للخطاة لم يشأ أن يجرحها ويصف مَن معها بكلمة غير "زوجكِ". وهي رغم مراوغتها، يحثُّها على التواصُل معه، ويصفها بالصدق في إنكار أنَّ لها زوج. ولكنها بنفيها سمحت له أن يكشف ماضيها وحاضرها، وأنها امرأة تعسة تزوَّجت خمس مرات، وهي الآن تعيش مع رجل ليس زوجها الشرعي. ما أبأس هذه الحياة الخاطئة! امرأة تتنقَّل بين الرجال، ولكنها لم تَذُق السعادة. وعند هذه النقطة فطنت إلى أنه ليس شخصاً عادياً، هذا الذي عيناه تخترقان أستار ظلمة حياتها، وهو لم يلتق بها من قبل. فتهتف مبهوتة: **"يا سيِّد، أرى أنك نبيٌّ!"** (يو ٤: ١٩).

ها هي عيون قلبها تنفتح لترى في مَن هو أمامها، لا المحتاج لجرعة ماء، وإنما الذي يقدر أن يُطفئ عطش الخطاة إلى البرِّ؛ ولكن أي طريق تسلك؟ وأي إله تتبع: إله إسرائيل أم إله السامريين؟ وأين تسجد: في جبل صهيون أم جبل جرِّزيم؟

والرب يُصحِّح المفاهيم وينقل السجود والعبادة من الانحصار في المكان (أين؟) والشكل (الطقس) إلى أن تكون بالروح والحق (كيف؟): "**تأتي ساعة، لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب**" (يو ٤: ٢١). فذبيحة المسيح الفريدة تُلغي الذبائح الحيوانية، وتُسقِط الهياكل الحجرية، فننسلخ من الأنساب البشرية وننتمي جميعاً إلى "**إله وآب واحد للكل**" (أف ٤: ٦)، ويسقط العداء الموروث بين اليهود والسامريين: "**ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع**" (غل ٣: ٢٨).

على أنَّ هذا لا يُغيِّر من الحقائق الثابتة، وهي أنَّ الحقَّ كاملاً قد استُعلِن لليهود، وها هو المسيَّا يأتي منهم: "**لأن الخلاص هو من اليهود**" (يو ٤: ٢٢). وبالنسبة للجميع فلا قيمة لعبادة بالحرف والشكل والشفاه؛ فالآن، بمجيء الابن، يختبر المؤمنون العبادة الحقيقية: "**تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق**" (يو ٤: ٢٣) بميلادهم الجديد بالروح القدس، واتحادهم بالابن، وانعقاد المصالحة بين السماء والأرض، واتساع شعب الله ليضمَّ الجميع: يهوداً وأُمماً: "**لأن الآب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له**" بالروح والحق، لأن "**الله روح**" (يو ٤: ٢٤).

فالجسد يسجد وينحني، والأيدي ترتفع، والفم يتكلَّم؛ ولكن بغير الروح لا يُعتبر السجودُ سجوداً، ولا العبادةُ عبادةً: "**لأن الجسد لا يفيد شيئاً**" (يو ٦: ٦٣)، و"**إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستَحْيَوْن**" (رو ٨: ١٣).

لقاء مع مسيَّا :

ها هى السامرية تقترب من خلاصها، ويبدو أنها أحسَّت بروحها أن هذا الغريب الذي تُكلِّمه له علاقة بما جاء في التوراة (تث ١٨: ١٨)[٥] عن **"مسيَّا"** الذي يأتي ويُخبرهم بكل شيء (يو ٤: ٢٥). هنا يَستعلن الرب نفسه لهذه المرأة المتغرِّبة عن الله وعن شعب إسرائيل، ويقول لها **"أنا هو** Ego eimi **الذي أُكلِّمك"** (يو ٤: ٢٦).

يا للمفاجأة العظمى التي أنْستْها حتى لماذا أتت في هذه الساعة إلى هذا المكان. اجتاحتها الفرحة فتركت جرَّتها! كانت دون أن تدري تنتظر هذه اللحظة. كان في أعماقها توقٌ للتخلُّص مِمَّا يُثقل الضمير، لكن ظلمة الحياة كانت تطوي هذه الرغبة.

هكذا مضت إلى المدينة مُسرعة، وقالت للناس مُبشِّرة، وقد حرَّرها الرب، فلم يَعُد هناك ما تُخفيه، فقد سقط التستُّر مع ماضيها كله: **"هَلُمُّوا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هو المسيح؟"** (يو ٤: ٢٩). الماء الحى الذي شربته صار منه ينبوع فائض يدعو كل العطاش أن يرتووا مثلها. وقد رأى الناس الصدق في كلماتها، **"فخرجوا من المدينة وأتوا إليه"** (يو ٤: ٣٠)، فهم أيضاً كانوا على موعد مع مخلِّص الجميع.

حوار مع التلاميذ :

في هذه الأثناء عاد التلاميذ ومعهم الطعام، ودعوه ليأكل. وهنا تحدَّث المسيح عن طعام يأكله لا يعرفونه. فظنُّوا أن أحداً أتاه بشيء ليأكل. فعاد الرب ليتكلَّم بصورة أوضح: **"طعامى أن أعمل مشيئة الذي أرسلني** (أبي) **وأُتمِّم عمله"** (يو ٤: ٣١-٣٤). فطعامه وشبعه الحقيقى أن يُكمل رسالته ويُخلِّص مَن قد هلك، أن يبذل نفسه عن حياة العالم،

---

(٥) **"أُقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيُكلِّمهم بكل ما أُوصيه به"** (تث ١٨: ١٨).

وتكون لمطالب لاهوته الأولوية على مطالب جسده الذي سيُقدِّمه ذبيحة يغتسل في دمها كل الخطاة. وهو قدَّم نفسه **كخبز الحياة** (النازل من السماء) الذي مَن يُقبل إليه فلا يجوع، ومَن يؤمن به فلا يعطش أبداً (يو ٦: ٣٣،٣٥)، "**مَن يأكلني فهو يحيا بي**" (يو ٦: ٥٧)، وهو "**لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت ٢٠: ٢٨).

وهو يُوجِّه أنظار تلاميذه إلى العمل الذي عمله فترة غيابهم، وأهل السامرة في ملابسهم البيضاء قادمون إليه راكضين وقد بشَّرهم السامرية "**ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابْيَضَّتْ للحصاد**" (يو ٤: ٣٥). إنه الحصاد الحقيقى الذي أتى مُبكِّراً قبل حصاد الزرع بأربعة شهور، هؤلاء هم موضع اهتمام رب الحصاد (مت ٩: ٣٨) في كل مكان. وهو إذ يراهم هائمين **يتحنَّن عليهم** "**كغنم (كخراف) لا راعي لها**" (مت ٩: ٣٦؛ مر ٦: ٣٤)، و"**الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون**" (مت ٩: ٣٧).

والزارع هو الله بالمسيح (مت ١٣: ٣٧) وفي الروح القدس وفي كل مَن يُقدِّم كلمة الله. الله هو الذي يُغيِّر الحياة ويُحوِّل مسارها ويختمها بالحياة الأبدية. **والحاصد** هنا هو الخادم الأمين تلميذ المسيح، ومن محبة الله أنه يُشرك الحاصد في الجزاء واختبار الفرح: "**والحاصد يأخذ أُجرة ويجمع ثمراً للحياة الأبدية، لكى يفرح الزارع والحاصد معاً**" (يو ٤: ٣٦).

والرب يلفت نظر خدَّامه الذين يحصدون الثمر إلى عدم الاعتداد والتفاخُر بخدمتهم، وأن يذكروا دوماً الذين تعبوا من قبلهم في الخدمة وهم دخلوا على تعبهم (يو ٤: ٣٨). وبالنسبة لتلاميذ الرب فهم مدينون للآباء والأنبياء والكارزين القدامى "**الذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ**"، فهؤلاء يظلون "**كالكواكب إلى أبد الدهور**" (دا ١٢: ٣)، كما أن كل خدَّام اليوم مدينون لكل الأنبياء والآباء والخدَّام الذين خدموا على مدى القرون، ويحصدون تعبهم، وسترزع ونمضي لكي يحصد آخرون.

الخاتمة السعيدة :

على عكس البداية غير المشرقة، حيث قيظ الظهيرة والرب مُتعَب من السفر، وحوار الغرباء بين الرب والسامرية لا يبدو سلساً، والمرأة لا تتجاوب وتضع العقبات "كامرأة" و"سامرية" وتراوغ في ردودها، إلاَّ أنَّ كلام الرب عن **الماء الحي** وعن أسرار حياتها، ورَفْع ذهنها عن الأرض والجبل والعشيرة إلى العبادة بالروح والحق، فانفتاح عيونها على مرأى المسيَّا؛ نقل الأحداث سريعاً إلى الخاتمة السعيدة. فالمرأة التي تغيَّرت حياتها بمعجزة[٦] لم تكن على البال، أَنْستْها الجرَّة والبئر والقيظ؛ عادت راكضة تُخبر أهلها الذين انفتحت قلوبهم على البشارة السارة وجاءوا للقاء السيِّد.

وبعد اللقاء كان الإيمان، وكانت الدعوة لدخول أرض الغرباء. ولم يكن مروراً سريعاً وإنما **"مكث هناك يومين"** مع المنبوذين. ويا لغبطة أهل السامرة الذين بعد **الانفصال والتغرُّب يُتاح لهم العودة** إلى شعب الله، ووسطهم المسيَّا المنتظر يُكلِّمهم عن ملكوت السموات.

وكالأرض العطشى التي كانت تنتظر الماء **"آمن به أكثر جداً بسبب كلامه"** (يو ٤: ٣٩-٤١). والإيمان الذي بدأ بالسماع يصير الآن إيماناً باللقاء المباشر مع المخلِّص الذي اتَّسع قلبه للكل. ومن هنا هتفوا: **"أنَّ هذا هو بالحقيقة المسيح مُخلِّص العالم"** (يو ٤: ٤٢). فها هو الرب يأتي بالذين في الطرق وخارج السياجات ليحضروا حفل عشائه (لو ١٤: ٢٣)، مقابل خاصته الذين استعفوا من دعوته (يو ١: ١١)، بل وساقوه إلى الموت.

❋ ❋ ❋

---

(٦) دخلت السامرية تاريخ الكنيسة كقديسة باسم "فوتينا" Photina (فُتنة) أو المضيئة أو المنيرة. وتُعيِّد لها الكنيسة الغربية في ٢٠ مارس.

+ المسيح ينتظر لقاءنا: على حافة طريق، أو في شخص محتاج، أو لقاء مع صديق أو غريب، أو في عظة في كنيسة أو في خبر في صحيفة، أو في صفحة كتاب. لا تتهرب أو تراوغ، فهى فرصة حياة وخدمة وبركة، وربما نقطة تحوُّل.

+ المسيح لا يسكن في هياكل حجرية، ولكنه يسكن في القلوب. وعبادة الشفاه لا تفيد وإن أرضت الذات. وهو كشف أن العبادات المقدمة للناس هي بلا طائل. فالسجود ينبغي أن يكون بالروح والحق، والصلاة والصوم والصدقة تقدم للآب الذي يرى في الخفاء (مت٦: ٤، ٦، ١٨) وهو لا يهتم بكم العبادة ووفرتها وإنما بروحها وكيفها.

+ امرأة واحدة لم تكن تعرف المسيح، وعندما تحرَّرت بلقائه ركضت تُبشِّر المدينة، فآمن بالرب كثيرون. وفي عنق كل منَّا دَيْن أن نُقدِّم المسيح للكل خاصة المتغربين عنه حتى اليوم. والرب يُنادي: "**اذهب إلى بيتك وإلى أهلك، وأخبرهم كَم صنع الربُّ بك ورحمك**" (مر ٥: ١٩).

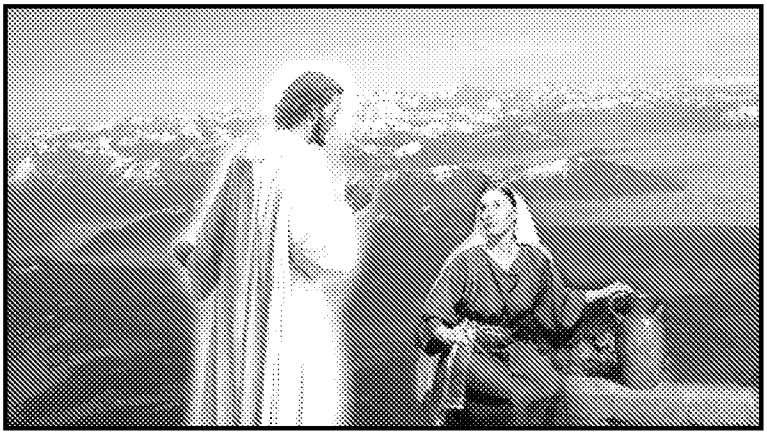

" **كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد**" (يو٤: ١٣، ١٤)

الأحد الخامس من الصوم الكبير

" أتريد أن تبرأ؟ "

(أحد المخلع)

عشية مز ٣٩: ١٢	لو ١٨: ١-٨
باكر مز ١٠٢: ١، ٢، ١٣	مت٢١: ٣٣-٤٦
البولس : ٢تي ٢: ١-١٧	
الكاثوليكون : ٢بط ٣: ١-١٨	
الإبركسيس : أع ٢٦: ١٩-٢٧: ٨	

مز٣٣: ٥، ٦

الإنجيل : يو٥: ١- ١٨

[1]وَبَعْدَ هذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. [2]وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ. [3]فِي هذِهِ كَانَ مُضْطَجِعًا جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ، يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ. [4]لأَنَّ مَلاَكًا كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَانًا فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ. [5]وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. [6]هذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعًا، وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَانًا كَثِيرًا، فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» [7]أَجَابَهُ الْمَرِيضُ:«يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ، يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ». [8]قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». [9]فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ

سَرِيرَهُ وَمَشَى. وَكَانَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ سَبْتٌ.
١٠فَقَالَ الْيَهُودُ لِلَّذِي شُفِيَ:«إِنَّهُ سَبْتٌ! لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ». ١١أَجَابَهُمْ:«إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي: احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». ١٢فَسَأَلُوهُ:«مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي قَالَ لَكَ: احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟». ١٣أَمَّا الَّذِي شُفِيَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ، لأَنَّ يَسُوعَ اعْتَزَلَ، إِذْ كَانَ فِي الْمَوْضِعِ جَمْعٌ. ١٤بَعْدَ ذلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ:«هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضًا، لِئَلاَّ يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ». ١٥فَمَضَى الإِنْسَانُ وَأَخْبَرَ الْيَهُودَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ. ١٦وَلِهذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ عَمِلَ هذَا فِي سَبْتٍ. ١٧فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ:«أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». ١٨فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ.

تواصِل أناجيل قداس آحاد الصوم الكبير دعوتها **للتوبة**. فبعد توبة **الابن الضال** (الأحد الثالث)؛ **والسامرية** (الأحد الرابع)؛ نلتقي اليوم بالمريض الذي أقعدته الخطية ثمانية وثلاثين عاماً – وهو **مريض برْكة بيت حِسْدا** – حتى جاءه طبيب الأجساد والأرواح، فأنهضه من رقاده الطويل، وحثَّه أن لا يُخطئ فيما بعد لئلا يكون له أشرٌّ.

+ **الزمان** هو "عيد لليهود"؛ **والمكان** هو أورشليم، وبالتحديد برْكة "يُقال لها بالعبرانية (الأرامية) بيت حِسْدا". وأعياد اليهود الكبيرة التي يُحتَفَل بها في أورشليم ثلاثة: **الفصح، والخمسين، والمظال**. ولو كان العيد هنا هو الفصح، لكان البشير ذَكَرَه باعتباره أهم الأعياد اليهودية. وأكثر

الآباء، وبينهم القدِّيسان كيرلس الإسكندري ويوحنا ذهبي الفم، يُرجِّحون أنه كان **عيد الخمسين**[1].

أما عن **بِرْكة بيت حِسْدا** (أو بيت الرحمة، باعتبار مياهها الشافية)، فهي كانت تقع عند **باب الضأن**[2] (نح ٣: ١)، وتتكون من قسمين، وحولهما خمسة أروقة يضطجع فيها طالبو الشفاء "**من مرضى وعُمْي وعُرْج وعُسْم**" (مُصابين بالشلل)، **يتوقَّعون تحريك الماء. لأن ملاكاً**[3] **كان ينزل أحياناً في البِرْكة ويُحرِّك الماء. فمَن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ**" (يو ٥: ٣،٤).

+ والماء هو العامل المشترك في إنجيل الأحد السابق وإنجيل اليوم وإنجيل الأحد التالي. وارتباط الماء بالروح والحياة والشفاء يشيع في الكتاب كلمةً وأحداثاً: فمع بدء الخليقة كان "**روح الله يرفُّ على وجه المياه**" (تك ١: ٢)؛ وفي سيناء نلتقى بالصخرة التي ضربها موسى بعصاه فتفجَّر منها الماء لحياة الشعب (خر ١٧: ٥،٦)، ويستعيد القديس بولس هذا الحدث فيقول إنهم "**كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح**" (١كو ١٠: ٤)؛ و**نعمان السرياني** رئيس جيش آرام يُشفَى من برصه بالاغتسال في الأردن سبع مرات،كما قال له النبي أليشع، ويتحوَّل إلى عبادة الرب (٢مل ٥: ١-١٩)؛ والمسيح يدعو **المرأة السامرية** أن تشرب من الماء الحي الذي يُعطيه ليصير فيها ينبوع ماء ينبع

---

(١) يُحتَفَل **بعيد الخمسين** تذكاراً لاستلام **موسى** الناموس على جبل سيناء بعد الفصح بخمسين يوماً. وما يُرجِّح أنه هذا العيد هو إشارة الرب في حواره مع اليهود في ختام الأصحاح (يو٥: ٤٥-٤٧) إلى **موسى** الذي كتب عنه وهم لا يُصدِّقون. كما يرجِّح ذلك أيضاً التوافق مع الأعياد المذكورة تالياً في إنجيل القديس يوحنا: **عيد المظال** (الأصحاح السابع)، و**عيد التجديد** (الأصحاح العاشر)، والفصح الأخير (**الأصحاحان** ١١،١٢).

(٢) **باب الضأن** هو أحد مداخل سور أورشليم من ناحية الشرق الذي يؤدِّي إلى الهيكل. وكانت تدخل منه الخراف المُعدَّة للذبح.

(٣) القديس يوحنا يُشير في رؤياه أيضاً إلى "**ملاك المياه**" (رؤ ١٦: ٥).

إلى حياة أبدية (يو ٤: ١٠-١٤)، فتحوَّلت إلى الكرازة باسم المسيح؛ **والمولود أعمى**[٤] يَطلى الربُّ عينيه بالطين، وإذ يغتسل في برْكة سلوام، يعود بصيراً ويستنير قلبه فيؤمن ويسجد؛ والرب يقول **لنيقوديموس** وللكل: "**إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله**" (يو ٣: ٥). وكما أنَّ الماء والروح هما عنصرا الولادة الجديدة في المعمودية، فإنَّ تحريك الماء في برْكة بيت حِسدا كان رمزاً لفعل الروح القدس الذي يهب الحياة الجديدة (كو ٢: ١٢؛ تي ٣: ٥).

+ "**وكان هناك إنسانٌ به مرضٌ منذ ثمانٍ وثلاثين سنة**" (يو ٥: ٥). هذا الإنسان هو حالة من الحالات المستعصية التي ظلَّت في انتظار الرب كل هذا الزمان. وهو لم يكن مرضاً عادياً، بل إصابة مباشرة للجهاز العصبي مزَّقت أوصال الرجل وأسقطته قعيداً غير قادر على الحركة لأربعة عقود. إنه يُمثِّل إسرائيل الذي ظل تائهاً في البرية ثماني وثلاثين سنة (تث ٢: ١٤)، بل كل البشرية التي ظلَّت قبل مجيء المسيح ثمانية وثلاثين قرناً وقد شلَّتها الخطية، والناموس والأنبياء عاجزون عن إنقاذها حتى جاءها مخلِّص العالم.

+ "**هذا رآه يسوع مُضطجعاً، وعَلِمَ أن له زماناً كثيراً**" (يو ٥: ٦). ها هي أيام الشقاء تبلغ نهايتها، فقد رآه مُحب البشر الذي جاء هو أيضاً للعيد يكرز ببشارة الملكوت وليجول يصنع خيراً (أع ١٠: ٣٨). وها هو يقترب من المريض لكي يختم عليه سنوات مرضه. وكما يُلبِّي الرب نداء المحتاج بحسب وعده: "**دْعُني في يوم الضيق، أُنقذك فتُمجِّدني**" (مز ٥٠: ١٥)، "**اسألوا تُعْطَوْا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم**" (مت ٧: ٧)؛ فهو أيضاً يأتي للمحتاج فاقد الهمة الذي لا يطلب أو الذي

---

(٤) إنجيل الأحد السادس (التناصير) من الصوم الكبير (يو ٩).

لا يعرف، ويسعى وراء الخروف الضال. ومكتوب عنه أيضاً قوله: "**هأنذا واقفٌ على الباب وأقرع. إنْ سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي**" (رؤ ٣: ٢٠). فهو الذي اقترب من **السامرية** كمحتاج وبدأ الحديث معها وجدَّد حياتها، وهو الذي اقترب من **المولود أعمى** وجعله يُبصر ويؤمن، وهو الذي التقط مشاعر **زكَّا** ودعا نفسه إلى بيته فصار خلاص للكل، وهو الذي تحنَّن على **الأرملة** وأقام وحيدها من الموت. "**الرب قريب لكل الذين يدعونه**" (مز ١٤٥: ١٨). هو مستعدٌّ أن يجيب قبلما يدعونه (إش ٦٥: ٢٤).

هو ربما يتأنَّى، ولكنه لا يتباطأ عن وعده (من **الكاثوليكون**: ٢بط ٣: ١-٨). ولكل مَن هو في ضيقة: لا تكتفى أن ترثى لنفسك، وإنما انهض واطلب معونته. كان **بولس** مع الأسرى في مركب عتيق في رحلته إلى روما لمحاكمته، وهاج البحر وكادت المركب أن تغرق حتى "**انْتُزع أخيراً كل رجاء في نجاتهم**" (أع ٢٧: ٢٠)، ولكنهم لما ألقوا رجاءهم على الرب، يقول سفر أعمال الرسل: "**سلَّمنا فصرنا نُحمَل**" (من **الإبركسيس**: أع ٢٦: ١٩-٢٧: ٨). لنتعلَّم أن نُسلِّم أنفسنا إلى يديه مطمئنين كما يُسلِّم الطفل قياده في يد أبيه الذي يثق في محبته وقدرته.

+ "**فقال له: أتريد أن تبرأ؟**" (يو ٥: ٦). السؤال مُدهش! فهل هناك احتمال أن تكون الإجابة بالنفى. ربما يكون الردُّ: "أنا فاقد الأمل"! وربما يكون المريض قد تعوَّد على ما هو فيه ولا يطمح أو يفكِّر في تغييره. فالمرض الطويل قد يُحطِّم نفسية الإنسان ويُميت فيه الإرادة ويقوده إلى سجن اليأس.

ولكن الحياة مع الله لن تكون بغير الإرادة الحُرَّة التي تسمح بالإيمان. فالله لا يُقْسِر أحداً على الإيمان به. الله بالطبع "**يريد أن جميع الناس**

يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون" (١تي ٢: ٤). فإنْ أردنا الحياة، فالنتيجة مضمونة. يسوع المسيح هو رجاؤنا (١تي ١: ١)، وحياتنا (كو ٣: ٤)، وبغيره يُحاصرنا اليأس والموت. فلا نفقد رجاءنا مهما ضاقت بنا السُّبُل، فوعوده صادقة وأمينة.

تقدَّم من الرب والدٌ ومعه ابنه الذي كان الروح النجس يصرعه بقوة منذ صباه، **"فقال له يسوع: إن كنتَ تستطيع أن تؤمن، كلُّ شيء مُستطاع للمؤمن.** فللوقت صرخ أبو الولد بدموع **:أُومِن يا سيد، فأَعِن عدم إيماني"** (مت ١٧: ١٥؛ مر ٩: ٢٣،٢٤؛ لو ٩: ٣٨). فالله مستعدٌّ وقادر أن يشعل فتيلة الإيمان المدخِّنة.

وفي مَثَل الابنين (مت ٢١: ٢٨-٣١)، بيَّن الرب أن مَن يرفض أولاً ولكن يؤمن فيما بعد خيرٌ مِمَّن يُبدي استعداداً للتبعية في البداية ولكنه فيما بعد يتراجع ويمضى. فإرادة وإيمان الكلام مثل محبة الكلام واللسان التي لا تفيد شيئاً (١يو ٣: ١٨). والكتاب يعرض لنا نماذج مِمَّن خذلتهم إرادتهم وفقدوا فرصة الحياة كالشاب الغني والتلميذ الخائن يهوذا وأكثر الكَتَبة والفرِّيسيين. والمسيح في طريقه إلى الصليب، حزيناً على جماعة اليهود الذين رفضوا دعوته، نظر إلى أورشليم وبكى عليها فتنبَّأ عن مصيرها الأليم، ففى رفضها كان خرابها (مت ٢٣: ٣٧،٣٨؛ لو ١٣: ٣٤،٣٥؛ ١٩: ٤١-٤٤).

+ **"يا سيد، ليس لي إنسانٌ يُلقيني في البرْكة متى تحرَّك الماء. بل بينما أنا آتٍ، ينزل قدَّامي آخر"** (يو ٥: ٧). يبدو أن الشلل لم يُقعد هذا المريض تماماً عن الحركة، بل ربما كان يستطيع أن يزحف ببطء متحاملاً على نفسه، ولكن هذا لم يكن يُسعفه للوصول إلى البرْكة عند تحرُّك الماء. فهو كان في حاجة لَمن يحمله حملاً ويُلقي به سريعاً في الماء ساعة نزول

الملاك. ربما كان هناك من الأقارب والأصدقاء مَن قدَّم له يد المساعدة في السنوات الأولى، ولكن توالي السنين حمل معه سأمهم وفقدان رجائهم، فلم يستطيعوا مواصلة هذه المهمة الثقيلة.

وفي كلمات المريض: "**ليس لي إنسانٌ**"، إدانة للأنانية والانحصار في الذات وعدم الاهتمام بالغير، إدانة للقسوة والجمود وعدم الرحمة؛ إدانة للأقوياء الذين يسحقون الضعفاء، وإدانة للظلم والمحاباة والتمييز (يع ٢: ١،١٣؛ ٥: ١-٥). وهو يقولها باسم الملايين في كل زمان ومكان، الذين في ظروف الضعف والمرض وتقدُّم السن يفتقدون رفقة الأهل والأصدقاء. في الماضي عندما كانت العائلة الكبيرة تسكن بيتاً واحداً يضمُّ كل أجيالها، كان هذا يوفِّر المساعدة والمعونة لكبار السن وفاءً وردّاً للجميل. أما اليوم، وقد تباعدت المسافات بين الأقارب بتغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية، فقد زادت معاناة كبار السن بتحالُف الوحدة مع الشيخوخة والأمراض. وعند الكثيرين قصص مُحزنة وصادقة عن جفاء الأبناء(٥)، وتحوَّلت المسئولية عن المسنين في عالمنا إلى الحكومات والمؤسسات الاجتماعية والدينية.

قد تكون الوحدة مفيدة أحياناً للاختلاء والتأمُّل والصلاة والإبداع، ولكن الإنسان بطبعه كائن اجتماعي، والتعاون والتضافر يُطوِّر المجتمعات إلى الأفضل. والله عندما خلق حواء لآدم قال: "**ليس جيداً أن يكون آدم وحده**" (تك ٢: ١٨). ووصية المحبة تعني ألاَّ ينطوي أحدٌ على ذاته، بل أن ينفتح على الآخرين بالعطاء والاهتمام واقتسام الأفراح والدموع. هناك كثيرون يحتاجون خدمتنا، فلنمدَّ لهم يد المساعدة. والقديس بولس في

---

(٥) أحياناً تكون الكلاب أكثر حباً ووفاء من الأهل، حتى أن البعض في الغرب يعبّرون عن امتنانهم لكلابهم في لوحات يضعونها على مقابر كلابهم. ولا يُنسى ما قاله الرب عن لعازر المضروب بالقروح من أن الكلاب كانت تأتي وتلحس قروحه (لو١٦: ٢١). فالكلاب تدين البشر.

سجنه خفَّف عنه أصدقاؤه كثيراً بشهادته[٦].

+ **"قال له يسوع: قُمْ، احمِل سريرك وامش. فحالاً برئ الإنسان وحَمَلَ سريره ومَشى"** (يو ٥: ٨،٩). الرب يتحنَّن عليه ويرى اكتمال كأس عذابه حتى أنه لم يسأله إن كان يؤمن (كما فعل مع الأعميان – مت ٩: ٢٨؛ ومع المولود أعمى – يو ٩: ٣٥)، فيُقيمه من مذلَّته ويُعوِّضه عن غربته ووحدته السنين الطوال، ويُحرِّره من الحاجة إلى البرْكة أو الناس.

بكلمة واحدة تشدَّدت السيقان الذابلة، وانتصب العود الذي هدَّه المرض، وعاد إلى الرجل شبابه وقوته وحَمَلَ فراشه الذي كان يحمله. وهو لم يُجادل أو يتساءل، وواضح أنه صدَّق كلام الرب وأطاع، وإلاَّ لَما شَرَعَ في القيام والنهوض وحَمْل فراشه. ها هي بذرة إيمان تقع في الأرض وتُنبت.

اجتاحه الفرح، وهو يقف على قدميه من جديد، فركض ولم ينتظر ليسأل الرب مَن هو، بل ونَسيَ أن يشكر. لَمَّا شفى المسيح البُرص العشرة، انطلقوا من فورهم إلى الكهنة، ولم يَعُد منهم إلاَّ واحد وكان سامرياً وخرَّ عند رجلَي الرب شاكراً. فقال الرب عاتباً: **"أليس العشرة قد طَهَرُوا؟ فأين التسعة؟ ألم يوجد مَن يرجع ليُعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس"** (لو ١٧: ١٨). الله لا يحتاج شكرنا، ولكننا عندما نشكر نُعلن أننا أولاد الله الذين يُقدِّرون نعمته ويعطون المجد لاسمه.

---

(٦) ففي سجنه الأول في روما ذكر القديس بولس في رسائله **لوقا وديماس وتيموثاوس ومرقس** ضمن عشرة من إخوته الخدام **"الذين صاروا لي تسلية"** (كو٤: ١١) أي الذين كانوا يسرّون عنه وساعدوه أن يجتاز محنة سجنه. وفي سجنه الثاني يذكر **أونيسيفورس "لأنه مراراً كثيرة أراحني ولم يخجل بسلسلتي بل لما كان في رومية طلبني بأوفر اجتهاد فوجدني"** (٢تي١: ١٦، ١٧). وهو عبّر عن مرارته تجاه الذين تخلوا عنه **"ديماس تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسبس إلى غلاطية وتيطس إلى دلماطية. لوقا وحده معي"** (٢تي٤: ٩-١١). والقديس بولس يوصينا **"اذكروا المقيّدين كأنكم مقيدون معهم والمذلّين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد"** (عب١٣: ٣).

+ "**فقال اليهود للذي شُفِيَ: إنه سبتٌ! لا يحلُّ لك أن تحمل سريرك. أجابهم: إنَّ الذي أبرأني هو قال لي: احْمِلْ سريرك وامش**" (يو ٥: ١٠، ١١). بالفعل الحقد يعمى القلوب عن رؤية الحقيقة ويلجم اللسان عن الاعتراف بالحق. فالناموسيون المُكبَّلون بالحرف غفلوا عن قوة الله الشافية، وهى أسطع من الشمس، خاصة مع هذا القعيد المعروف الواقف أمامهم في ملء الصحة حاملاً سريره، وانحصروا في الحفاظ على السبت حتى من فعل الخير. والمريض السابق يُقرُّ بأنه أطاع "**الذي أبرأه**" الذي "**لم يكن يعرف مَن هو**" (يو ٥: ١٣).

كان المكان مزدحماً فآثر الرب بعد المعجزة أن يعتزل، وربما لأنه يُدرك ردود أفعال ذوي القلوب العمياء. والمريض الذي شُفِيَ ذهب إلى الهيكل للشكر مما يُنبئ عن تقواه. والرب يذهب إليه هناك ليُكمل شفاءه روحياً بعد أن شفاه جسدياً، وها هو يُحذِّره من الارتداد: "**ها أنت قد بَرئتَ، فلا تُخطئ أيضاً، لئلا يكون لك أشرُّ**" (يو ٥: ١٤)، مُبيِّناً أن الخطية هى سر الضعف الجسدي والتعاسة والهزائم، وفي النهاية الهلاك الأبدي. فالله "**لا يُجرِّب أحداً، ولكن كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته**" (يع ١: ١٤)، ولكنه قد يسمح بالتأديب لأحبائه من أجل رجوعهم: "**إني كل مَن أُحبه أوبِّخه وأؤدِّبه. فكُن غيوراً وتُبْ**" (رؤ ٣: ١٩)، "**نؤدَّب من الرب كي لا نُدان مع العالم**" (١كو ١١: ٣٢).

والرجل يكشف عن إيمانه وتحوُّل حياته، ويمضي من فوره إلى اليهود ليُصحِّح موقفه ويُخبرهم "**أنَّ يسوع هو الذي أبرأه**" (يو ٥: ١٥) دون أن يُبالي بما قد يُصيبه هو من جراء شهادته كمؤمن أمام أعداء الحق.

+ "**لهذا كان اليهود يطردون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه**" (يو ٥: ١٦). هكذا يختتم فصل الإنجيل. فبعد المعجزة وتمجيد الله، انزعج الشيطان وأثار أتباعه للتصدِّي، فهاجوا. وهذا هو نهج المتعصبين الذين

يعميهم الحقد عن رؤية الحق. وقائمة الاتهام بدأت بنقض السبت (في نظرهم) وانتهت بالتجديف استناداً إلى ردِّ المسيح عليهم: "**أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل**" (يو ٥: ١٧) والتي فهموا منها بوضوح أن في قوله: "**إنَّ الله أبوه**"، فهو يُعادِل نفسه بالله[٧] (يو ٥: ١٨). فالله عندما استراح في اليوم السابع (تك ٢: ٢) لم يكفَّ بعد الخلق عن العمل ورعاية خليقته، وإلاَّ لتوقَّفت الحياة وحركة الكون؛ والابن المتجسِّد على الأرض يعمل كل أعمال الآب، وهو واهب الحياة، والذي سيدين الكل بالعدل في اليوم الأخير (يو ٥: ١٩-٢٢، ٢٧، ٣٠).

المسيح هو ملاك العهد الجديد الذي أتى للكل بالشفاء والحياة. وهو يجول بين البشر الذين شَلَّت الخطية إرادتهم ودمَّرت حياتهم وأقعدتهم أذلاَّء بغير رجاء، مُنادياً: "**تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم**" (مت ١١: ٢٨)، وسائلاً كل واحد: "**أتريد أن تبرأ**"؟ فإذا صرخ أنه بلا حَول ولا قوة وليس له أحد يمدُّ له يد المساعدة، يقول له الرب: "**لا تخف... أنا تُرْسٌ لك**" (تك ١٥: ١)، "**محبة أبدية أحببتك، من أجل ذلك أدمت لك الرحمة**" (إر ٣١: ٣). فإن آمن وقام وتبعه، ينتهي العجز: "**يُعطي المُعيي قدرة، ولعديم القوة يُكثِّر شدة**" (إش ٤٠: ٢٩).

وفي رفقة النعمة تُشرق الحياة من جديد، وقانونها طاعة الكلمة والعبادة بالروح والتوبة الدائمة، وفي الذهن يرنُّ التحذير: "**لا تُخطئ... لئلا يكون لك أشرُّ!**".

---

(٧) المسيح كان يقصد ذلك بالفعل وهو لم ينكر يوماً لاهوته كما يدّعي غير المؤمنين. والمسيحيون لم يؤلِّهوا المسيح كنوع من إعلاء شأنه، ولكنهم آمنوا به كما عرّفهم هو عن ذاته. واليهود لما سمعوه يقول "**أنا والآب واحد**" (يو١٠: ٣٠) شرعوا أن يرجموه قائلين "**فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً**" (يو١٠: ٣٣). كما أن اليهود عندما ساقوا المسيح إلى بيلاطس قالوا له "**حسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله**" (يو١٩: ٦، ٧)، وهذا ما فهمه قيافا رئيس الكهنة أثناء محاكمته حتى أنه مزق ثيابه "**قائلاً قد جدّف. ما حاجتنا بعد إلى شهود. ها قد سمعتم تجديفه**" (مت٢٦: ٦٣-٦٥).

الأحد السادس من الصوم الكبير [1]

الخليقة الجديدة ورؤية النور

(أحد المولود أعمى)

عشية مز١٧: ٣، ٥ لو١٣: ٢٢-٢٥
باكر مز٢٦: ٢، ٣ مت ٢٣: ١-٣٩
البـــولـــس : كو ٣: ٥-١٧
الكاثوليكون : ١يو ٥: ١٣-٢١
الإبركسيس : أع ٢٧: ٢٧-٣٧

مز١٤٣: ١، ٧

الإنجيـل : يو٩: ١- ٤١

(هو أيضاً إنجيل الأحد الرابع من شهر طوبة) [2]

بدا الأمر كأنه مصادفة.. ففيما كان الرب مجتازاً رأى إنساناً أعمـــى منذ ولادته. ولكن مجرى الأحداث يكشف أن هناك تدبيراً إلهياً، وأن الرب أراد أن يخاطبنا من خلال لقائه المعجزى بالمولود أعمى المغبوط. وألقـــت الحوارات المختلفة بين الرب وتلاميذه، وبين الأعمى البصير وجيرانه، وبينه وبين الفريسيين، وبين الرب وبينه، قبل وبعد المعجزة، وملابساتها، كـــثيراً من النور على أعمال الله معنا، وعلى التوجّه الصحيح فى معاملاتنا مع الله.

---

(١) هو أحد التنصير أو التناصير.

(٢) انظر ص ٥٣.

(١) **"فسأله تلاميذه قائلين يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى . أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه"** (يو ٩:٢، ٣).

فالله يسمح للمتاعب والمشاكل والآلام أن تقتحم حياتنا، ليس كعقاب لأننا أخطأنا، وإنما هى فى جوهرها جزء من طبيعة الحياة التى شوهتها الخطية وسيماؤها النقص والضعف، ومع هذا فالله يستخدمها كمجال **كى تظهر أعمال الله فينا**، أى ليكشف الله المحب لنا عن رعايته وأبوته.

والله يتمجد فينا **إذا رضينا شاكرين** بما **يسمح لنا به** كمؤمنين يثقون دوما فى **محبة الله** "**الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين**" (رو٨: ٣٢) **وأن كل الأشياء بالتالى "تعمل معا للخير للذين يحبون الله"** (رو٨: ٢٨).

(٢) **"قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطلى بالطين عينى الأعمى. وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام (الذى تفسيره مرسل). فمضى واغتسل وأتى بصيراً"** (يو٩: ٦، ٧).

من جديد يستخدم الخالق تراب الأرض (تك٢: ٧) ويصنع منه طينا ليمنح الأعمى عينين لم تكونا له من قبل فيرى النور والكون لأول مرة، كما تكمل رؤيته لابن الله الذى جاء لينير قلبه وعقله، وينقله من ظلمة الخطية القاتلة للنفس إلى الحياة فى النور. وهكذا يقدم المسيح نفسه إلها قادرا على كل شىء وعلى تلبية نداء كل محتاج "إلى الآن لم تطلبوا شيئا باسمى. **اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا"** (يو١٦: ٢٤). **"كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه"** (مت٢١: ٢٢).

(٣) **"قال لى أذهب إلى بركة سلوام واغتسل فمضيت واغتسلت فأبصرت"** (يو٩: ١١).

كانت طاعة الأعمى وتصديقه وتنفيذه الأمين لأمر الرب بالذهاب إلى بركة سلوام والاغتسال من مائها، القسط الذى تحّمله الأعمى من تدبير الله الذى انتهى بأن نال الأعمى نعمة البصر التى حُرِمها منذ ولادته.

ولو كان قد ارتاب فى فاعلية الطين المختلط باللعاب فى إعادة البصر لضرير، أو استثفل هذه المسيرة إلى بركة سلوام رغم توافر الماء فى كل مكان، أو لم يرُقه أن الرب لم يشفه فى الحال وحّمله هذا العبء، لما نال شيئا ولواصل مسيرة حياته فى الظلام.

إن خطة الله فى حياة الناس تتطلب مشاركتهم فى العمل synergism بكل إخلاص **"فإننا نحن عاملان مع الله"** (١كو٣: ٩) (**اشترك فى العمل مع عبيدك فى كل عمل صالح**-أوشية المسافرين)، وهو ما عناه طلب المسيح واهب الحياة ممن حوله أن يرفعوا الحجر عن قبر لعازر وبعدها أقامه. فالله يكرم الإنسان ويحترم حريته بأن يشركه معه فى العمل. وبالتالى **فلكى نحصل على التغيير لابد من توفر إرادة التغيير فينا.** وسؤال المسيح لمريض بركة بيت حِسدا **"أتريد أن تبرأ"** (يو٥: ٦) يحمل فى طياته هذه الضرورة التى يظنها البعض أمرا مفروغا منه. ولكن هذا ليس صحيحا. فكثيرا ما طلبنا من الله الحياة الجديدة بينما نحن لا نريد أن نتخلى عن موقعنا فى الظلام. والنتيجة أننا لا ننال شيئا من عند الرب(يع١: ٧). والذين طلب الرب أن يضمهم إلى جماعة المفديين ولم يريدوا، تَرَك لهم بيتهم خرابا (مت٢٣: ٣٧، ٣٨)..

هل يوجد حل لهؤلاء؟ نعم. يوجد. **فالذين يفتقدون الإرادة وإن كانوا يرغبون فى تغيير الحياة فليطلبوها من الله "أما من تعوزه.. فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيُعطى له"** (يع١: ٥)**"أؤمن يا سيد فأعن ضعف إيمانى"**. (مر٩: ٢٤).

لا تكفى إذن النوايا الطيبة، بل لابد من الجهاد المستند للنعمة وممارسة الإيمان بالعمل لتأكيد الحاجة إلى الله كل الحياة.

(٤) **"فمضى واغتسل وأتى بصيرا" (يو٩:٧)**. فى اغتسال الأعمى وعودته بصيرا إشارة سرّية إلى المعمودية كولادة جديدة وإعادة خلق بالروح القدس. وكما أن عينى الأعمى عندما اغتسلت استنارت، فإن ميلادنا الجديد بالروح يجعلنا أولادا لله. والإيمان يضرم عمل الروح هذا فيتجدد القلب والذهن والسلوك وتستنير الحياة برمتها.

من هنا فإن الكنيسة تسمى المعمودية **"سر الاستنارة"**. كما اختارت هذا الأحد من الصوم الكبير[٣] ليكون يوما لتعميد (تنصير) المؤمنين الجدد وانتقالهم من جماعة الموعوظين (ثم للأطفال فيما بعد) لكى يشتركوا مع سائر الكنيسة فى الاحتفال بعيد القيامة الذى يلى الصوم الكبير.

العلاقة إذاً وثيقة بين المعمودية والحياة فى النور وقداسة القلب والحواس والتطلع إلى النور الأبدى. **ويصير السلوك فى الظلمة – من ثم – استهتارا** بنعمة المعمودية وإنكارا للإيمان **"إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق"** (١يو١: ٦)، ولكن تبقى التوبة دائما باباً مفتوحاً للعودة إلى النور.

(**٥**) تقدم لنا أحاديث الأعمى الذى أبصر نموذجا فى تدرج المعرفة بالرب حتى تكتمل فى الإيمان به:

+ **"إنسان يُقال له يسوع** صنع طينا وطلى عينى.." (يو٩: ١١)؛
+ **"إنه نبى"** (يو٩: ١٧)؛

---

(٣) بعض الكنائس تمارس التعميد من عشية أحد التناصير، أى من عصر السبت (فقد أجرى الرب معجزة شفاء الأعمى يوم سبت – يو٩: ١٤)، بعد أن كان تعميد الموعوظين فى القرون المسيحية الأولى يتم يوم سبت النور.

+ **"إنما أعلم شيئاً واحداً: أني كنت أعمى والآن ابصر"** (يو٩: ٢٥)؛

+ "لو لم يكن **هذا من الله** لم يقدر أن يفعل شيئا" (يو٩: ٣٣)؛

+ أتؤمن **بابن الله**.. من هو يا سيد لأومن به. فقال له يسوع قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو. **فقال أؤمن يا سيد وسجد له"** (يو٩: ٣٨).

فاكتشافنا لله كمخلص قد يحتاج وقتا (أو ربما عمرا)، واجتياز مراحل تتصاعد حتى يأتى الاختبار الحقيقى وإعلان الإيمان وممارسته بالعمل **وأولى الخطوات هى التوبة الشاملة وتغيير اتجاه الحياة نحو المخلص وملكوته.**

وعلينا ألا نكتفى بأن يكون المسيح **رفيق طريق** لبعض الوقت ثم نفترق أو أن يكون بالنسبة لنا **معلماً عظيماً** تثير كلماته الإعجاب دون أن نستطيع تنفيذ وصاياه، أو **أحد رجال الله** الذين يصنعون المعجزات بقوة الله، أو حتى أن يكون **نبياً** تحدث عن المستقبل وصدقت كلماته.. فالمسيح أعظم بما لا يقاس. إنه **ابن الله** الذى صالحنا مع الآب بموته (رو٥: ١٠، ٢كو٥: ١٩) إذ أحبنا حتى المنتهى، **والنور الحقيقى** الذى ينير كل إنسان (يو١: ٩)، **ومخلص العالم الوحيد** (أع٤: ١٢)، والقادر أن يهبنا هنا **الحياة الجديدة** المنتصرة (٢كو٢: ١٤) وفى الدهر الآتى **الحياة الأبدية** (مر١٠: ٣٠، لو١٨: ٣٠): وعلينا ألا نرضى بأقل من ذلك.

الخطية عمى :

يصح القول إن **الخاطئ** – المتمسك بخطيئته – هو أيضاً **أعمى "لأنهم مبصرين لا يبصرون"** (مت١٣: ١٣، لو٨: ١٠): فهو أعمى روحياً وإن كان مبصرا جسديا، فالخطية (الظلمة) أعمت عينيه الروحيتين (١يو٢: ١١) وصار خاضعاً لسيطرتها، عاجزا عن رؤية الحق وإدراك انحرافه عن الوصية وتغربه عن الله وعصيانه، ومستعبداً تحت أركان العالم،

وغافلاً عما ينتظره من مصير: "**لأن الذي ليس عنده هذه** (الإيمان والمحبة وسائر الفضائل الموهوبة لنا بالنعمة) **هو أعمى قصير النظر قد نسي تطهير خطاياه السالفة**" (٢بط ١: ٩).

عن الخطية والظلمة :

وعلاقة الخطية بالظلمة في كلمات الكتاب واضحة:

"إن كانت عينك **شريرة** فجسدك كله يكون **مظلماً**" (مت٦: ٢٣، لو١١: ٣٤).

"من يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة، وأما من يبغض أخاه **فهو في الظلمة، وفي الظلمة يسلك**، ولا يعلم أين يمضي **لأن الظلمة أعمت عينيه**"(١يو٢: ١٠، ١١).

"فسيروا مادام **لكم النور** لئلا يدرككم **الظلام**. والذي يسير في **الظلام** لا يعلم إلى أين يذهب"(يو١٢: ٣٥).

"كنتم قبلا ظلمة وأما الآن **فنور** في **الرب**"(اف٥: ٨).

كيف نبصر؟

ولن يتخلص الخاطئ من ضلاله وينجو من الهلاك الذي يترصده إلا:

+ باكتشاف عماه وانحرافه وحاجته وإحزانه لروح الله الذي ناله بالمعمودية، ورفض الحياة البائسة التي يمكن أن تستمر إلى النهاية. هكذا كان صوت الله لملاك كنيسة اللاودكيين يكشف له عن ضلاله "لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنك **أنت الشقي والبئس وفقير وأعمى وعريان**" (رؤ٣: ١٧).

+ بالالتجاء **بالتوبة** إلى الإله المحب القادر على منح الرؤية والبصيرة الروحية والتحرر من قيود الظلام: "**روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشر المساكين** أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق **وللعمى بالبصر** وأرسل المنسحقين في الحرية"(إش٤٢: ٧، ٦١: ١، لو٤: ١٨)؛

"أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة"(يو٨: ١٢)؛

"أنا قد جئت نورا إلى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة" (يو١٢: ٤٦)؛

"أشير عليك أن تشترى منى ذهبا مصفى بالنار لكى تستغنى وثيابا بيضا لكى تلبس فلا يظهر خزى عريتك وكحّل عينيك بكحل لكى تبصر. إنى كل من أحبه أوبخه وأؤدبه فكن غيورا وتب"(رؤ٣: ١٨، ١٩).

+ بالاحتماء فى قوة الله ووسائط نعمته: صلاةً وكلمةً وشركةً فى الجسد والدم ليظل الروح الذى ولدنا فى المعمودية مُضرماً هادياً، والتوبة متأججة، والتغيير إلى الأفضل متواصلاً، متذكرا قول الرب لمريض بيت حسدا بعد شفائه"ها أنت قد برئت. فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر"(يو٥: ١٤)؛ **"وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة"** (يو٣: ١٩).

❋ ❋ ❋

بعد إعلان الأعمى عن إيمانه وسجوده للرب، أى بعد أن أكتمل له نور العينين ونور القلب، قال الرب فى أعقاب هذه المعجزة الكبيرة **"لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون"**(يو٩: ٣٩). فإذا كان الرب هو نور الحياة ونبع الحب الذى يفيض قلبه إشفاقا ورحمة على الخطاة الذين يلجأون إليه وإذ يلتقونه ينالون نعمة التغيير وينتقلون من الموت إلى الحياة، فإنه للخطاة الآخرين الرافضين دعوة الخلاص: الجبّار الآتى يوما للدينونة، كما ذكر الرب قبلا فى حديثه

إلى نيقوديموس **"الذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد"**(يو٣: ١٨)، أو كما قال المعمدان لتلاميذه **"الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله"** (يو٣: ٣٦).

أمام عيوننا **الآن – وحتى النفس الأخير** – يطالعنا وجه المسيح المخلص بكل حنانه المتدفق.. **ولكنه فى اليوم الأخير** سيأتى فى مجده **لإعلان الخلاص الأخير وتمجيد قديسيه** (عب٩: ٢٨، ١بط١: ٥) من ناحية، **"ولدينونة الخطاة** الذين داسوا ابن الله وحسبوا دم العهد الذى قُدْس به دنسا وازدروا بروح النعمة"(عب١٠: ٢٩) من ناحية أخرى.

فهل يبقى بعد مجال للاختيار بين النور والظلمة؟!

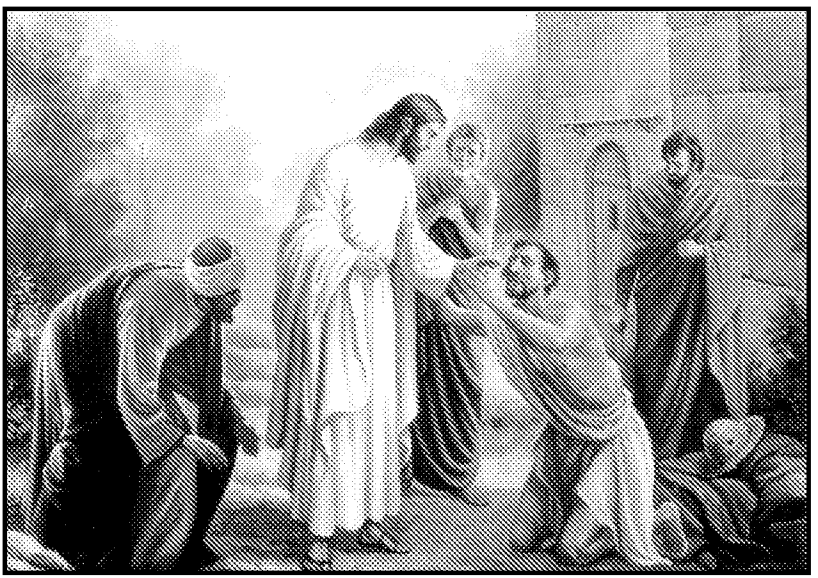

" اذهب اغتسل في بركة سلوام... فمضى واغتسل وأتى بصيرا " (يو ٩: ٧)

الأحد السابع من الصوم الكبير

المسيح يدخل أورشليم

(أحد السعف أو الشعانين) [1]

عشية مز١١٧: ٢٥، ٢٦ يو١٢: ١-١١
باكر مز٦٧: ١٩، ٣٣ لو١٩: ١-١٠
البـــولـــس : عب ٩: ١١-٢٨
الكاثوليكون : ١بط٤: ١-١١
الإبركسيس : أع ٢٨: ١١-٣١

مز٨٠: ٣، ١، ٢

الإنجيـل : مت٢١: ١- ١٧

[1]**وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، حِينَئِذٍ أَرْسَلَ يَسُوعُ تِلْمِيذَيْنِ [2]قَائِلاً لَهُمَا:«اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ تَجِدَانِ أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا، فَحُلَّاهُمَا وَأْتِيَانِي بِهِمَا. [3]وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا، فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا». [4]فَكَانَ هذَا كُلُّهُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: [5]«قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا، رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ». [6]فَذَهَبَ التِّلْمِيذَانِ وَفَعَلاَ كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ، [7]وَأَتَيَا بِالأَتَانِ وَالْجَحْشِ، وَوَضَعَا عَلَيْهِمَا ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِمَا. [8]وَالْجَمْعُ الأَكْثَرُ**

---

(١) **أحد الشعانين أو أحد السعف**: هو الأحد الوحيد الذي يقرأ فيه فصل إنجيل القداس من البشائر الأربعة تأكيداً على محورية هذا الحدث في بلوغ حياة المسيح وإرساليته غايتها العظمى بالصليب والموت والقيامة، ومن هنا سجله الإنجيليون الأربعة.

فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا
فِي الطَّرِيقِ. ٩وَالْجُمُوعُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرَخُونَ
قَائِلِينَ:«أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي
الأَعَالِي!». ١٠وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً:«مَنْ
هذَا؟» ١١فَقَالَتِ الْجُمُوعُ:«هذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ».
١٢وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللهِ وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ
وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ
١٣وَقَالَ لَهُمْ:«مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ
لُصُوصٍ!» ١٤وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُمْيٌ وَعُرْجٌ فِي الْهَيْكَلِ فَشَفَاهُمْ. ١٥فَلَمَّا رَأَى
رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ الْعَجَائِبَ الَّتِي صَنَعَ، وَالأَوْلاَدَ يَصْرَخُونَ فِي
الْهَيْكَلِ وَيَقُولُونَ:«أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ!»، غَضِبُوا ١٦وَقَالُوا لَهُ:«أَتَسْمَعُ مَا
يَقُولُ هؤُلاَءِ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ
وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا؟». ١٧ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَخَرَجَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ
عَنْيَا وَبَاتَ هُنَاكَ.

الإنجيل : مر ١١: ١- ١١

١وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا، عِنْدَ جَبَلِ
الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، ٢وَقَالَ لَهُمَا:«اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي
أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ وَأَنْتُمَا دَاخِلاَنِ إِلَيْهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ
عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. ٣وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَفْعَلاَنِ
هذَا؟ فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُ إِلَى هُنَا». ٤فَمَضَيَا
وَوَجَدَا الْجَحْشَ مَرْبُوطًا عِنْدَ الْبَابِ خَارِجًا عَلَى الطَّرِيقِ، فَحَلاَّهُ. ٥فَقَالَ
لَهُمَا قَوْمٌ مِنَ الْقِيَامِ هُنَاكَ:«مَاذَا تَفْعَلاَنِ، تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟» ٦فَقَالاَ لَهُمْ
كَمَا أَوْصَى يَسُوعُ. فَتَرَكُوهُمَا. ٧فَأَتَيَا بِالْجَحْشِ إِلَى يَسُوعَ، وَأَلْقَيَا عَلَيْهِ

ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِ. [٨]وَكَثِيرُونَ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. [٩]وَالَّذِينَ تَقَدَّمُوا، وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ:«أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! [١٠]مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!».

[١١]فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى، خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ.

الإنجيل : لو١٩: ٢٩- ٤٨

[٢٩]وَإِذْ قَرُبَ مِنْ بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا، عِنْدَ الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ [٣٠]قَائِلاً:«اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، وَحِينَ تَدْخُلاَنِهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَطُّ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. [٣١]وَإِنْ سَأَلَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَحُلاَّنِهِ؟ فَقُولاَ لَهُ هكَذَا: إِنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ». [٣٢]فَمَضَى الْمُرْسَلاَنِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. [٣٣]وَفِيمَا هُمَا يَحُلاَّنِ الْجَحْشَ قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ:«لِمَاذَا تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟» [٣٤]فَقَالاَ:«الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ». [٣٥]وَأَتَيَا بِهِ إِلَى يَسُوعَ، وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَى الْجَحْشِ، وَأَرْكَبَا يَسُوعَ. [٣٦]وَفِيمَا هُوَ سَائِرٌ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. [٣٧]وَلَمَّا قَرُبَ عِنْدَ مُنْحَدَرِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلاَمِيذِ يَفْرَحُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا، [٣٨]قَائِلِينَ:«مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي!». [٣٩]وَأَمَّا بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ مِنَ الْجَمْعِ فَقَالُوا لَهُ:«يَا مُعَلِّمُ، انْتَهِرْ تَلاَمِيذَكَ!». [٤٠]فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ:«أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!». [٤١]وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا [٤٢]قَائِلاً:«إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكِ

هذَا، مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ! وَلكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ. ٤٣فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ، وَيُحْدِقُونَ بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، ٤٤وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ، وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ».

٤٥وَلَمَّا دَخَلَ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِيهِ ٤٦قَائِلاً لَهُمْ:«مَكْتُوبٌ: إِنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلاَةِ. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!». ٤٧وَكَانَ يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ وُجُوهِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ، ٤٨وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَفْعَلُونَ، لأَنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِهِ يَسْمَعُ مِنْهُ.

الإنجيل : يو١٢: ١٢- ١٩

١٢وَفِي الْغَدِ سَمِعَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعِيدِ أَنَّ يَسُوعَ آتٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ، ١٣فَأَخَذُوا سُعُوفَ النَّخْلِ وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: «أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» ١٤وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَجَلَسَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: ١٥«لاَ تَخَافِي يَا ابْنَةَ صَهْيَوْنَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي جَالِسًا عَلَى جَحْشِ أَتَانٍ». ١٦وَهذِهِ الأُمُورُ لَمْ يَفْهَمْهَا تَلاَمِيذُهُ أَوَّلاً، وَلكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ، حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هذِهِ لَهُ. ١٧وَكَانَ الْجَمْعُ الَّذِي مَعَهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ دَعَا لِعَازَرَ مِنَ الْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. ١٨لِهذَا أَيْضًا لاَقَاهُ الْجَمْعُ، لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ هذِهِ الآيَةَ. ١٩فَقَالَ الْفَرِّيسِيُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «انْظُرُوا! إِنَّكُمْ لاَ تَنْفَعُونَ شَيْئًا! هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ!».

أكثر من ثلاث سنوات مضت منذ استعلان المسيح المتفرّد على ضفاف الأردن بعد أن أعتمد من يوحنا (مت٣: ١٦، ١٧). وخلال سنوات خدمته هذه كان الرب – من ناحيته – يتفادى التصعيد مع السلطات الرومانية والدينية، بغير تنازل عن قول الحق، كي لا يتعجّل يوم الصليب قبل الوقت المعين.

كما كان يكبح مشاعر الجموع الذين كانوا يريدونه زعيماً قادراً على تحريرهم (يو٦: ١٥)، بل إنه كان يوصي من يصنع معهم آية ألا يذيعوا ما جرى (مت١٥: ١٦، مر٣: ١٢، ٥: ٤٣، لو٨: ٥٦)، كما أوصى تلاميذه ألا يخبروا أحداً بما رأوه يوم التجلي (مت١٧: ٩، مر٩: ٩، لو٩: ٣٦).

كان الرب يعرف كل ما سوف يأتي عليه بحسب التدبير، وهكذا أفصح لتلاميذه مراراً عن صلبه وموته وقيامته قبل زمان (مت١٦: ٢١، ١٧: ٢٣، مر٨: ٣١، ٩: ٣١، لو٩: ٢٢).

على أنه لما جاء ملء الزمان لاجتياز الآلام رأينا الرب يمسك بيده زمام الأحداث، ويتحول من الكرازة الهادئة، والبعد عن أورشليم والهيكل، إلى المجاهرة بغير تحفظ ودخوله أورشليم بموكب احتفالي غير مسبوق، ويقبل عن رضا إعلانه ملكاً، وهو ما رفضه قبلاً، وذلك قبل أيام خمسة من الاحتفال بالفصح، حيث تمتلئ أورشليم باليهود الآتين من الداخل والخارج (يو١١: ٥٥)، فضلاً عن أن معجزة إقامة لعازر الباهرة لم يكن قد مضى عليها إلا أيام، فهذه بدورها أسهمت في زيادة أعداد من احتفلوا بدخوله أورشليم (يو١٢: ١٨)، وقبل هؤلاء وبعدهم كان حوله محبّوه من الجليليين الذين عرفوه معلماً صادقاً لا يهاب الأقوياء، وكصاحب معجزات خفّف عن الآلاف آلامهم، فمن غيره يكون الملك على كرسي داود أبيه؟!

مسار الأحداث السابقة :

أثارت إقامة الرب للعازر، وإيمان الكثيرين به، مخاوف رؤساء الكهنة والفريسيين وعزمهم على التخلص منه[٢]، حتى أن قيافا رئيس الكهنة قال "**إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها**" (يو١١: ٥٠).

كان الرب وقتها في **بيت عنيا**، ولما علم بنيتهم أن يقتلوه مضى إلى برية الأردن حيث مكث مع تلاميذه في مدينة **أفرايم**، شمال غربي أريحا (يو١١: ٥٣، ٥٤) لعدة أيام، عاد بعدها إلى **بيت عنيا**[٣]، قبل الفصح بستة أيام (السبت) ليحضر مع تلاميذه حفل عشاء أقيم ابتهاجاً بقيامة لعازر (يو١٢: ١، ٢)، الذي كان أحد المتكئين، حيث احتشد كثير من اليهود "**جاءوا ليس لأجل يسوع فقط، بل ينظروا أيضاً لعازر الذي أقامه من الأموات**" (يو١٢: ٩). وخلال الحفل قامت مريم ودهنت قدمي الرب بالطيب ومسحتهما بشعرها، والرب رأى في فعلها هذا أنها سبقت وكفّنته قبل موته القريب (مت٢٦: ١٢).

في الطريق إلى أورشليم :

صباح الأحد بدأ الرب مسيرته من بيت عنيا صاعداً إلى أورشليم، وهو يتقدم تلاميذه الذين كانوا متحيرين، بل وخائفين (مر١٠: ٣٢)، وهم يرون معلمهم صامتاً، واجتاحهم شعور غامض أنهم مقبلون على أيام صعبة. والرب يشفق عليهم ويأخذهم على انفراد (فقد كان حولهم

---

(٢) بل أنهم تشاوروا ليقتلوا لعازر أيضاً (يو١٢: ١٠).

(٣) في الطريق من **أفرايم** إلى **بيت عنيا** مروا **بأريحا** أولاً (التي تبعد حوالي ٢٠ ميلاً شرقي أورشليم) حيث شفى الرب أعميين تبعاه فيما بعد (مت٢٠: ٢٩-٣٤)، وإن كان البشيران مرقس ولوقا يذكران واحداً فقط منهما اسمه **بارتيماوس ابن تيماوس** (مر١٠: ٤٦). ويبدو أنه كان معروفاً في المكان (مر١٠: ٤٦-٥٢، لو١٨: ٣٥-٤٣)، ثم كان لقاء الرب بزكّا (لو١٩: ١-١٠)، وحديثه عن مثل العبيد العشرة (لو١٩: ١١-٢٧).

كثيرون من الصاعدين إلى الهيكل) ويصارحهم بما ينتظره وينتظرهم، قائلاً لهم من جديد "**ها نحن صاعدون إلى أورشليم (وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان) وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به (ويُشتم) (ويتفلون عليه) ويجلدوه ويصلبوه (ويقتلونه) وفي اليوم الثالث يقوم**" (مت٢٠: ١٧-١٩، مر١٠: ٣٣، ٣٤، لو١٨: ٣١-٣٣)، ورغم أن الكلام كان جدًّا هذه المرة، ولكن التلاميذ لم يدركوا مغزاه، ومكتوب "**وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً، وكان هذا الأمر مُخفًى عنهم ولم يعلموا ما قيل**" (لو١٨: ٣٤)، فالرب كان يتقدم نحو الصليب ويحمل عبئه وحده، وإن لم يكن أبداً وحده (يو١٦: ٣٢).

ولما صاروا أمام قرية **بيت فاجي**[٤] القريبة "أرسل الرب اثنين من تلاميذه وقال لهما: **اذهبا إلى القرية التي أمامكما. فللوقت وأنتما داخلان تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس (قط)، فحُلاه وأتيا به، وإن قال لكما أحد لماذا تفعلان هذا فقولا الرب محتاج إليه. فللوقت يرسله إلى هنا**" (مر١١: ١-٣، لو١٩: ٢٩-٣١)[٥]. وكلمات الرب

---

(٤) أو "بيت التين" الذي تشتهر بزراعته.

(٥) ولكن **إنجيل متى** يشير إلى "**أتان مربوطة وجحش معها**" تحقيقاً لنبوة **زكريا** قبل حوالي خمسة قرون "**قولوا لابنة صهيون: هوذا ملكك يأتيك وديعاً، راكباً على أتان وجحش ابن أتان**" (مت٢١: ٢، ٥)، والتي يذكرها **القديس يوحنا** "**لا تخافي يا ابنة صهيون. هوذا ملكك يأتيك جالساً على جحش أتان**" (يو١٢: ١٥)، والنص كما جاء في نبوة زكريا "**ابتهجي جداً يا ابنة صهيون. اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان**" (زك٩: ٩). وهذه النبوة تستدعي نبوة أقدم قالها يعقوب وهو يعطي البركات لأولاده وكان الكلام عن **يهوذا** (الذي من سبطه جاء المسيح) ونصّه "**رابطاً بالكرمة جحشه وبالجَفنة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه**" (تك٤٩: ١١). والكلمات تكشف عن ارتباط دَخول الرب أورشليم على الجحش ابن الأتان والدم النازف بالصليب يوم الفصح. والبعض يرى أن الاختلاف بين النصوص قد يرجع لقصور في الترجمة السبعينية من العبرية إلى اليونانية. ولكن للتوفيق بين النصوص فهناك من يقول أن الرب جلس على الجحش الصغير وحده ولكن أمه الأتان كانت معه لارتباطه بها. والبعض يقبل أن الرب تنقل بين الجحش والأتان (مت٢١: ٧) فالمسافة لم تكن قصيرة حتى بلغ أورشليم.

تكشف أنه **كلي المعرفة**، ويتكلم بسلطان مؤكداً أن ما يطلبه سيتم. وفي نفس الوقت فهو لم يتخلّ عن اتضاعه، ولم يترفع **"الرب"** أن يتقدم إلى البشر كأنه **"محتاج"**. ونعرف أن التلميذين **"وجدا كما قال لهما"** (لو١٩: ٣٢)، وأتيا بالجحش وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه (مر١١: ٧).

والرب في جلوسه على الجحش[٦] يقدم نفسه كملك مختلف: فهو **"وديع ومتواضع القلب"** (مت١١: ٢٩)، ولا يركب فرساً مطهماً ويمسك سيفاً وحوله جنود، كالملوك الفاتحين، وإنما حوله تلاميذه البسطاء وجمع صغير يهتف له مسبحاً، وهو ملك عادل ومنصور يصنع سلاماً ويستولي على القلوب ببذله حياته عنها حباً وهي تتبعه إيماناً.

يستقبلونه ملكاً :

مع هذا، فقد استقبله الناس ملكاً. هكذا فرش الجموع ثيابهم كي يسير عليها[٧] وآخرون فرشوا الطريق بأغصان الشجر (مت٢١: ٧، ٨، مر١١: ٧، ٨، لو١٩: ٣٥، ٣٦)، والبعض "أخذوا **سعوف النخل** وخرجوا للقائه" (يو١٢: ١٣)[٨]، **"والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا[٩] لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. (مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب). أوصنا في الأعالي"**

---

(٦) في تفسير العلامة **أوريجانوس** والقديس **أغسطينوس** أن **الأتان** يرمز إلى الأمة اليهودية **والجحش** إلى الأمم، وأن ما يذكره الكتاب أن الجحش **"لم يجلس عليه أحد"** يشير إلى جهل الأمم، كما أن رضى الجحش بجلوس الرب عليه يشير إلى قبول الأمم الإيمان.

(٧) مذكور في سفر الملوك عند مسح ياهو ابن يهوشافاط ملكاً على إسرائيل أن كل واحد من عبيده **"أخذ ثوبه ووضعه تحته على الدرج نفسه** وضربوا بالبوق وقالوا: قد ملك ياهو" (٢مل ٩: ١-١٣).

(٨) في سفر الرؤيا نرى من جديد **سعف النخل** في أيدي المفديين المتسربلين بالثياب البيض في موكب مشابه يصرخون أمام العرش وأمام الخروف قائلين: **"الخلاص** (= أوصنا) **لإلهنا الجالس على العرش وللخروف"** (رؤ٧: ٩، ١٠)، كما كانت سعوف النخل تستخدم في عيدي المظال والتجديد.

(٩) **أوصنا** (وأصلها بالآرامية **هوشيعّنا** أي أعن – ٢صم١٤: ٤، وتُشتق منها كلمة الشعانين) معناها **يا رب خلّص أو انقذ** (مز ١١٨: ٢٥).

(مز١١٨: ٢٥، ٢٦، مت٢١: ٩، مر١١: ٩، ١٠)[١٠]، ويتبادلون التسبيح والرد كفريقين ثم يشتركان معاً.

"ولما قرب الموكب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ (أي المؤمنين) يفرحون ويسبحون بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا قائلين: **مبارك الملك الآتي باسم الرب (ملك إسرائيل). سلام في السماء ومجد في الأعالي**" (لو١٩: ٣٧، ٣٨، يو١٢: ١٣).

وفي هتاف الجموع فرح وابتهاج، وتمجيد لملك إسرائيل الآتي باسم الرب، كما أن فيه توسل لطلب المعونة والخلاص واستعادة مملكة داود التي داسها الغرباء.

في الهيكل :

من باب هيرودس في سور المدينة، دخل الرب بموكبه أورشليم "**فارتجّت المدينة كلها**"، والوافدون من الخارج سألوا "**مَن هذا؟**" فجاءهم رد الجموع "**هذا يسوع** النبي الذي من ناصرة الجليل". ولما بلغ الرب الهيكل استمر هتاف الصغار والكبار "**أوصنا لابن داود**" مما أثار رؤساء الكتبة والكهنة والفريسيين وطلبوا من يسوع أن ينتهرهم (ربما خشية إثارة السلطات الرومانية)، فأجاب قائلاً "أما قرأتم قط: **من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً**"[١١] (مز٨: ٢، مت٢١: ١٦)، "**إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ**" (لو١٩: ٤٠).

---

(١٠) الكنيسة تستخدم هذا النص في احتفالها بأحد الشعانين بلحن بهيج كأنه "**سلام الملك**" باللغات اليونانية: **Ειρηνη επι γης** إفلوجيمينوس...: **أي مبارك الآتي باسم الرب**، والقبطية: **ⲱⲥⲁⲛⲛⲁ ϩⲉⲛ ⲛⲓϩⲉⲧⲃⲟⲟⲩ** أوصنا خين ني انتشوسي، أي: **أوصنا في الأعالي. هذا هو ملك إسرائيل**"، كما تستخدمه في مرد الإبركسيس ومرد الإنجيل. وخلال القداس يمسك الشعب بسعوف النخل احتفالاً بالمخلص كما فعلت الجموع في ذلك الزمان.

(١١) بداية المزمور الثامن تفصح عن أن تسبيح الأطفال هو للرب الذي اسمه مُمجد في كل الأرض وجلاله فوق السموات.

على أن الرب فيما هو يقترب من المدينة نظر إليها وبكى عليها قائلاً "**إنك لو علمت أنت أيضاً، حتى يومك هذا، ما هو لسلامك، ولكن قد أُخفي عن عينيك. فأنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة، ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جانب ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك**" (لو١٩: ٤١-٤٤).

والرب هنا لا يبكي على أطلال مدينة وهيكل، وإنما على شعب اختاره منذ القديم، وأحاطه برعايته على امتداد القرون، ليكون نوراً وبشارة لمن حوله، ولما تعثّر جاء لخلاصه وكل العالم معه، ولكنه قابل دعوته بالصدود والكراهية، وهكذا أفلتت منه فرصة النجاة.

وقلب الله لا يزال ينفطر من أجل كل خاطئ "**وهو لا يشاء أن يهلِك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة**" (٢بط ٣: ٩). وعلى كل واحد أن يعرف أن أيام حياته هي زمان افتقاده، وهي لن تدوم.

بيتي بيت صلاة :

في المساء رجع الرب مع الاثنى عشر إلى بيت عنيا، وعاد إلى أورشليم في اليوم التالي (مر١١: ١٢، ١٥) حيث "**كان يعلّم كل يوم في الهيكل**" (لو١٩: ٤٧). "**ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يُخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون... وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، ولم يدع أحداً يجتاز بمتاع**". وقال لهم "**مكتوب.. بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص**" (إش ٥٦: ٧، إر٧: ١١، مت٢١: ١٣، مر١١: ١٧) [١٢].

---

(١٢) هناك بعض الاختلاف في ترتيب الأحداث بين الأناجيل، ففي **بشارتي متى ولوقا** كان طرد الباعة يوم الأحد، ولكنه كان في اليوم التالي في **بشارة مرقس**. كما أن **القديس يوحنا** يسجل طرد الرب للباعة في بداية خدمته (يو٢: ١٣-١٧)، وإن أشار هنا أن الرب صنع سوطاً من حبال، بما يعني أن يكون الرب قد طرد الباعة مرتين.

الرب أخذته الغيرة على بيته (مز٦٩: ٩)، فأخذ في طـــرد المتـــاجرين بالدين (١تي٦: ٥) الذين حولوا بيت الصلاة إلى سوق للبيـــع والشـــراء، وبدل أن يمتلئ رواق الأمم بالمؤمنين ازدحم بالباعة والصيارفة والخـــراف والحمام، وساده الهرج والمرج، وتغرَّب فيه صاحب البيت وأُهـــين اسمـــه، **على أنه ظل في نفس الوقت على عهده مع المساكين وفاض بتحننه على العمي والعرج الذين تقدموا إليه فشفاهم** (مت٢١: ١٤).

وصوت الرب يرن في أذاننا محذراً، إلى اليوم، من أن تتحول كنائســـنا إلى نوادٍ اجتماعية أو أسواق للتجارة، ويكون الرب أخر من نلتفت إليه أو نشعر بحضوره. وهو لن يتأخر عن التدخل والردع.

❀ ❀ ❀

كما رأينا.. فالرب لما دخل أورشليم كان هناك من احتفى به فرحـــاً وهتف له، وهناك من ضاق به وتشاور على التخلص منه، كما كان هناك المتغربون غير المبالين الذين لا يشغلهم سوى ذواتهم وأموالهم.

والرب واقف على الباب يريد أن يدخل إلى حياتنا، فأين نحن مـــن هؤلاء؟!

"**أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي**" (مت٢١: ٩)

أناجيل قداس آحاد الخمسين المقدسة

+ الأحد الأول : ظهور الرب لتلاميذه بعد قيامته (أحد توما)

+ الأحد الثاني : يسوع المسيح .. خبز الحياة

+ الأحد الثالث : الماء الحي (المرأة السامرية)

+ الأحد الرابع : الحياة في النور

+ الأحد الخامس : " أنا هو الطريق والحق والحياة "

+ الأحد السادس : " ثقوا. أنا قد غلبت العالم"

+ الأحد السابع : " قوة من الأعالي " (عيد حلول الروح القدس)

الأحد الأول من الخمسين المقدسة

ظهور الرب لتلاميذه بعد قيامته*

(أحـــد تومـــا)

عشية مز ٣٣: ٣، ٤	لو٥: ١-١١
باكر مز٩٦: ١، ٢	يو٢١: ١-١٤
البـــولـــس : أف ٤: ٢٠-٣٢	
الكاثوليكون : ١يو ٢: ٧-١٧	
الإبركسيس : أع ١٧: ١٦-٣٤	

مز ٩٨: ١، ٤

الإنجيـل : يو٢٠: ١٩ - ٣١

[19] وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذلِكَ الْيَوْمِ، وَهُـوَ أَوَّلُ الأُسْـبُوعِ، وَكَانَـتِ الأَبْوَابُ مُغَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ:«سَلاَمٌ لَكُمْ!» [20] وَلَمَّا قَـالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ. [21] فَقَـالَ لَهُـمْ يَسُوعُ أَيْضًا:«سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا». [22] وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ:«اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. [23] مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَـرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ». [24] أَمَّا تُومَا، أَحَدُ الاثْنَـيْ عَشَـرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ حِينَ جَاءَ يَسُـوعُ. [25] فَقَـالَ لَـهُ التَّلاَمِيذُ الآخَرُونَ:«قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ!». فَقَالَ لَهُمْ:«إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ

(*) عن عيد القيامة (وقراءات أحد القيامة) انظر **الكتاب الخامس عشر** من "**نور الحياة**": **دراسات وتأملات في الأعياد الكنسية** (ص ٩٦-١١٨).

أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبَعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ». [٢٦] وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلاَمِيذُهُ أَيْضًا دَاخِلاً وَتُومَا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغَلَّقَةٌ، وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ:«سَلاَمٌ لَكُمْ!». [٢٧] ثُمَّ قَالَ لِتُومَا:«هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا». [٢٨] أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ:«رَبِّي وَإِلهِي!». [٢٩] قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا».

[٣٠] وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ. [٣١] وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ.

كم اختلفت الأيام من الجمعة إلى الأحد.. بعد معاناة الرب في بستان جثسيماني، والمشاهد الدامية والأليمة في الطريق إلى الجلجثة: القبض عليه ومحاكمته كمذنب، والضرب والإهانة والاستهزاء، وتجريده من ثيابه ووضع إكليل الشوك على رأسه، ثم حمل الصليب الثقيل والتحامه به فوق الجلجثة، واختراق المسامير يديه وقدميه، وطعنه في جنبه بالحربة، ونزف دمه حتى الموت، وفي النهاية يوضع الجسد الهامد في قبر جديد بين الدموع الفائضة والقلوب الكسيرة والحزن الساحق.

ويمضي الجمعة وبعده السبت، وفجر **الأحد** يقوم الرب بحسب وعده وعلمه السابق وخطة الخلاص المرسومة منذ الأزل. فيترك أكفان الموت للقبر ويقوم ببهاء عظيم، وزلزلة عظيمة تهز الكون، ويخترق الحجر الكبير المختوم، ويأتي ميخائيل رئيس الملائكة ليدحرج الحجر عن باب القبر لكي يستطيع محبوه وأعداؤه أن يدخلوه ويكتشفوا أنه فارغ وأن الميت قد داس الموت.

هكذا تغيرت الأحوال بعد الأيام الثلاثة، فصار كل شئ بعدها مختلف عما كان. فالحياة غلبت الموت **"أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية!"** (١كو١٥: ٥٥)، والخلاص قهر الخطية وإبليس والعالم، والفرح المجيد اكتسح الحزن وبدده، والصليب، علامة العقوبة والضعف والموت، صار علامة الخلاص والنصرة وقوة الله وحكمته (١كو١: ١٨، ٢٤).

والرب المنتصر يأتي للقاء تلاميذه ومحبيه يبشرهم بقيامته، ويزيح الحزن الذي خيّم على قلوبهم ليملأهم الفرح الساطع، وليتشدد إيمانهم به كالإله الحق من الإله الحق، وليرسلهم من ثم ليبشروا بقيامته كشهود لها، ويخبروا بخلاصه لليهود والأمم، ويعود هو بعد أن أتم مهمته إلى المجد الذي كان له قبل كون العالم (يو١٧: ٥).

اللقاء الأول :

وقد بدأت لقاءات الرب بالمُخلِصة الأمينة، **مريم المجدلية**، التي أنقذها من موت الخطية، فصارت ضمن خاصته. وهي بكّرت أول الأسبوع - والظلام باق - تبحث عنه ومعها الحنوط. فوجدت الحجر قد دُحرج والقبر فارغاً. فركضت وأخبرت **بطرس ويوحنا**، وجاءت معهما إلى القبر، ووقفت خارجاً حيْرى تبكي. ثم مالت نحو القبر فوجدت ملاكين فسألتهما عن السيد، وبعدها التفتت وراءها فنظرت **يسوع** واقفاً. وظنت في البداية أنه البستاني. ولما ناداها **"يا مريم"** انفتحت عيناها وصدقت أنه الرب القائم، فجاءت وأخبرت التلاميذ (مر١٦: ٩، ١٠، يو٢٠: ١، ١١-١٨).

ثلاثة لقاءات :

في نفس اليوم كان ظهور الرب **للمجدلية ومريم الأخرى** (أم يعقوب) (ويوَانّا ونسوة أخريات) بعد خروجهم من القبر بخوف وفرح عظيم (مت٢٨: ٨-١٠، لو٢٤: ١-١٠)، ثم كان ظهوره **لبطرس** في أورشليم، الذي يشير إليه الكتاب باقتضاب (لو٢٤: ٣٤، ١كو١٥: ٥)، ثم كان لقاؤه **بتلميذي عمواس** (لوقا وكليوباس)، والمساء يزحف على أحد القيامة (مر١٦: ١٢، ١٣، لو٢٤: ١٣-٣٥).

اللقاء الخامس: اللقاء الأول بالتلاميذ :

+ كيف عرف التلاميذ بأمر القيامة؟

رأينا أن **بطرس ويوحنا** بعد أن أخبرتهما المجدلية جاءا إلى القبر، وسبق **يوحنا** ووصل إلى القبر أولاً، ونظر الأكفان ثم دخل بعد بطرس القبر الفارغ **"ورأى فآمن"** (يو٢٠: ٣-١٠)، وصدّق بقيامة الرب مسترجعاً كلمات الرب التي استبقت الأحداث. أما بطرس فمضى متعجباً مما كان (لو٢٤: ١٣). كما عرف التلاميذ معاً بالقيامة عن طريق **المجدلية** (مر١٦: ١٠، يو٢٠: ١٨) [(١)]، ثم من **المريمتين** (وسائر النسوة) (لو٢٤: ٩)[(٢)]، وعن طريق **بطرس** (لو٢٤: ٣٤) ثم من **تلميذي عمواس** قرب المساء (لو٢٤: ٣٣-٣٥).

+ أما عن حالة التلاميذ قبل أن يلتقي بهم الرب في نهاية يوم القيامة، فمشاعرهم تأرجحت بين **الحزن** على ما جاز فيه الرب، فكانوا **"ينوحون**

---

(١) حيث نقلت لهم رسالة الرب **"ولكن اذهبي إلى اخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"** فجاءت مريم وأخبرت التلاميذ (يو٢٠: ١٧، ١٨).

(٢) اللائي نقلن إليهم قول الرب **"اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إل الجليل وهناك يرونني"** (مت٢٨: ١٠).

ويبكون" (مر١٦: ١٠)، وبين **الخوف** من أن تمتد إليهم يد البطش من اليهود، حتى أنهم اختبأوا في أورشليم وراء الأبواب المغلّقة، أي التي بالغوا في إقفالها كي لا يقتحمها العدو (يو٢٠: ١٩).

وهذا عكَس أن إيمانهم لم يرْقَ لمستوى الحدث، وأن كلمات الرب التي سبق وأشار فيها إلى ما سوف يجري عليه وعليهم لم تحفظها ذاكرتهم، ربما إرادياً إذ لم يبلغ إيمانهم بها حد التصديق واليقين.

+ وهكذا لما جاءتهم أنباء القيامة تراوح رد فعلهم بين **التعجب** (لو٢٤: ١٢) و**الشك** (مت٢٦: ٣١، مر١٤: ٢٧) **وعدم التصديق** (مر١٦: ١٣، ١٤، لو٢٤: ٤١)، ورأوا في كلام المريمات المبشّرات **ضرباً من الهذيان** (لو٢٤: ١١). بل حتى لما دخل إليهم الرب، فرغم أنهم سجدوا له خاشعين (مت٢٨: ١٧)، إلا أنه مكتوب أن **"بعضهم شكّوا"** (مت٢٨: ١٧)، وأن بعضهم **جزعوا وخافوا وظنوا أنهم ينظرون روحاً** (لو٢٤: ٣٧). كان الشك والخوف بسبب دخول الرب والأبواب مغلقة **فحسبوه روحاً**.

+ كان لقاء الرب بتلاميذه عشية **أول الأسبوع** - أي أحد القيامة - وهم مجتمعون معاً في عِلّية صهيون، وقد أغلقوا كل أبوابها بإحكام، ولم يجسروا على الذهاب إلى الجليل بحسب رسالة الرب إليهم.

كانوا **عشرة**، إذ لم يكن معهم **توما**[٣]، كما كان معهم تلميذا عمواس (لوقا وكليوباس) والمريمات وعدد من المحبين **"هم والذين معهم"** (لو٢٤: ٣٣). وجاءهم يسوع مخترقاً؛ بجسده المقام الممجَّد، الأبواب

(٣) الذي ربما عاد إلى بيته بعد محنة الصليب والموت، ولما ترامت إليه أخبار القيامة رجع إلى أورشليم وانضم إلى جماعة التلاميذ.

المغلّقة، وبدخوله إليهم انقشع الخوف، ولما قال لهم **"سلام لكم"** (يو٢٠: ٢١) ملأهم **سلامه "الذي يفوق كل عقل"** (في٤: ٧)، واجتاحهم **الفرح** بعد الحزن الثقيل وانكسار القلب.

+ بعد ذلك **"وبّخ الرب عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام"** (مر١٦: ١٤). كما وصف من قبل تلميذي عمواس، اللذين حيّرهم أنباء قيامته، بالغباء وبطء القلوب في الإيمان بالنبوات (لو٢٤: ٢٥).

ولكنه فيما بعد أشفق عليهم وأراد أن يساعدهم أن يؤمنوا، فعاتبهم قائلاً: **"ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم"** (لو٢٤: ٣٨). وهكذا **"أراهم يديه وجنبه"** (لو٢٤: ٤٠، يو٢٠: ٢٠)، وطلب منهم ملاطفاً أن **"انظروا يدي ورجلي** (تحمل آثار الجراح): **إني أنا هو. جسّوني وانظروا. فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي"** (لو٢٤: ٣٨، ٣٩).

+ ساعتها بدأ **الفرح** يتسلل إلى قلوبهم **"ففرح التلاميذ إذ رأوْا الرب"** (يو٢٠: ٢٠) [٤]، ولكن فرحهم مع هذا كان مختلطاً **بعدم التصديق**، حتى أن الرب عمد مرة ثانية للتأكيد على حقيقة قيامته، وأنه قام بنفس الجسد الذي كان له، والذي عانى الألم والجراح واجتاز الموت لثلاثة أيام، ثم تمجد بالقيامة[٥]؛ هكذا طلب من تلاميذه إن كان عندهم طعام **"فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم"** (لو٢٤: ٤١-٤٣).

---

(٤) لم يكن ممكناً أن يرى أحد الله في كامل لاهوته ويعيش (خر٣٣: ٢٠)، ولكن ها هو الرب **يتيح لنا بتجسده** أن نراه ولا نهلك بل نخلص ونمتلئ سلاماً وفرحاً.

(٥) وكما تنازل وأخذ جسدنا القابل للموت، فقد وهبنا في مجيئه الثاني أن **"يغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده (الحي إلى أبد الآبدين)"** (في٣: ٢١، رؤ١: ١٨).

+ وكانت خطوته التالية أن **"فتح ذهنهم ليفهموا الكتب"**، وأن كل ما جرى أشارت إليه النبوات والأقوال المقدسة في ناموس موسى والأنبياء والمزامير (لو٢٤: ٤٤، ٤٥).

+ وبعد هبة **السلام** وعطية **الفرح**، كان **تجديد الإرسالية** التي بدأت قبل ثلاث سنوات **"ها أنا أرسلكم مثل حملان وسط ذئاب"** (لو١٠: ٣) كأنها فترة التدريب تحت قيادة "المعلم" ومتابعته، وهكذا قال لهم في هذا اللقاء **"كما أرسلني الآب أرسلكم أنا"** (يو٢٠: ٢١)، **"اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"** (مر١٦: ١٥)، وهي الإرسالية الرسمية هذه المرة المسنودة **بالروح القدس "اقبلوا الروح القدس"** (يو٢٠: ٢٢)، **"وها أنا أرسل لكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلبَسوا قوة من الأعالي"** (لو٢٤: ٤٩).

+ كما أعطى الرب تلاميذه - بنفخة فمه - **الروح القدس**، بصورة خاصة هذه المرة، قبل أن يحل على الكنيسة يوم الخمسين، لكي يحملوا غفران المسيح للتائبين **"من غفرتم خطاياه تغفر له"** وأن يتصدّوا للمقاومين، وأن يعزلوا الخبيث، ولو مؤقتاً، للتأديب حتى يتوب ويرجع **"وإن أمسكتم خطاياه أُمسكت"** (يو٢٠: ٢٢، ٢٣) **"فيكون عند الباقين خوف"** (١تي٥: ٢٠).

+ خرج الرب كما جاء، وبعدها جاء **توما**[٦] الذي خسر اللقاء الأول. كان التلاميذ العشرة قد استثارهم قيامة الرب ومجيئه إليهم، فما أن كان توما في وسطهم حتى بشّروه بالحقيقة التي كانت قد سقطت من وعيهم ورجائهم **"قد رأينا الرب"!** (يو٢٠: ٢٥).

---

(٦) **توما** باليونانية: **ديديموس** أي التوأم.

ولكن يبدو أن **توما** كان قد استبد به اليأس أكثر من جميعهم، فقدم لنا نموذج العقلاني الذي لا يصدق بغير البرهان الحسي، والذي يريد أن يخضع الروحيات لمقاييس الجسديات. كانت أمامه شهادة عشرة من رفاق الخدمة تلاميذ السيد معه، ولكنه طرح شهادتهم جانباً واضعاً شروطه للإيمان **"إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع اصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه** (الغائر) **لا أؤمن"** أي ليس فقط يبصر أثر المسامير وإنما يلمسها ومعها مكان طعنه بالحربة.

اللقاء السادس: اللقاء الثاني مع التلاميذ :

على أن الرب لم يتوقف كثيراً أمام شكوك **توما**، ولكنه في تحننه احتوى ضعفه وقصوره، واختار أن يأتي من جديد للقاء تلاميذه في نفس المكان ومعهم **توما "بعد ثمانية أيام"** أي يوم الأحد التالي للقاء الأول[٧]. وكما جرى في المرة السابقة، والأبواب مازالت مغلَّقة، بما يعني أن خوف التلاميذ لا يزال سائداً، وإيمانهم لا يزال عليلاً، هكذا جاء الرب وسطهم، وبدأ لقاءه بأعظم عطية **"سلام لكم"** ليزيح من قلوبهم الخوف.

ومباشرة وبغير مقدمات يواجه **توما**، الذي من الواضح أن الرب قد جاء هذه المرة من أجله، ومستجيباً لطلب توما السابق بكل شروطه، قال له: **هات اصبعك إلى هنا وابصر يدي. وهات يدك وضعها في جنبي،**[٨] **ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً"** (يو٢٠: ٢٧).

---

(٧) الذي أسمته الكنيسة **"أحد توما"**.

(٨) استبقى الرب في جسده الحي آثار الجراح علامة محبة أبدية، وشهادة أنه الجسد الذي صُلب وقام، مجرِّداً قيامته – التي هي محور الكرازة – من أية شكوك.

عند هذه النقطة، لم يستطع **توما** أن يتماسك ويضبط مشاعره، وأحس بمدى تجاوزه؛ كما أخجله في المقابل اتساع قلب الله ومحبته ورقته. هكذا رأيناه ينحني ساجداً وهاتفاً "**ربي وإلهي**"، إعلاناً عن عودته من جديد إلى طريق الإيمان الصحيح الذي لا يتطلب براهين مادية أو عقلية، وإنما الذي يستند فقط إلى صدق كلمة الله وأمانته.

بعدها قال له الرب لائماً، ومصوّباً رؤيته: "**لأنك رأيتني يا توما آمنت؟** (فالإيمان هو الإيقان بأمور لا تُرى). **طوبى للذين آمنوا ولم يروا**" (يو٢٠: ٢٩) [٩][١٠].

❁ ❁ ❁

+ كان الرب يدرك المحنة التي أصابت تلاميذه بما عاناه من آلام وصلب وموت. وبعد أن قام منتصراً، أراد أن يضمّد جراح خاصته الذين "**أحبهم إلى المنتهى**" (يو١٣: ١)، فأرسل إليهم من يبشرهم، ويَعِدْهم أن يأتي إليهم. فالرب هو الذي يتخذ الخطوة الأولى، وهو الذي دبّر خلاصنا وأنقذنا من الموت، وهو الذي اقترب من **مريض بركة بيت حسدا**، الذي

---

(٩) أكد القديس بولس على هذا الاتجاه فيما كتبه لمؤمني كورنثوس "**فإذ نحن واثقون كل حين، وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعَيان**" (٢كو٥: ٦، ٧).

(١٠) بعد هذين اللقائين مع التلاميذ، كان لقاء الرب **الثالث** (**السابع** في عدد مرّات الظهور) بسبعة منهم كانوا يصطادون والفشل يحاصرهم في بحيرة طبرية بعد أن نزحوا إلى الجليل، وصنع لهم معجزة صيد كبير (١٥٣ سمكة كبيرة) وأخذ الرب يوزع عليهم الخبز والسمك (يو٢١: ١٠-١٤)؛ (٨) ثم اجتمع بالأحد عشر على الجبل في الجليل وهو لقاء مؤجل منذ البداية بسبب الخوف (مت٢٨: ١٦-٢٠)؛ ومعهم أكثر من خمسمائة أخ (١كو١٥: ٧)؛ (٩) والتقى **يعقوب بن حلفى** أخا الرب ورئيس مجمع أورشليم وكاتب الرسالة (أع١٩: ١٣، ١كو١٥: ٧)؛ (١٠) والذين شهدوا صعوده إلى السماء في أورشليم (لو٢٤: ٤٤-٤٩، أع١: ٣-٨)، (١١) وأخيراً ظهوره - بعد صعوده - **لشاول الطرسوسي** وهو في طريقه إلى دمشق ليضطهد المسيحيين ودعوته للخدمة فصار **بولس رسول الأمم** (أع٩: ٣-٦، ٢٦: ١٢-١٨، ١كو١٥: ٨).

لم يكن له أحد، وشفاه على الفور (يو٥: ٦)، وهو الذي اقترب من **تلميذي عمواس** وبادرهما بالسؤال عما يتكالمان به وهما عابسين وكشف لهما عن شخصه المبارك (لو٢٤: ١٥-١٧)، وهو الذي دخل على **تلاميذه** فحوّل حزنهم فرحاً، وملأ قلبهم بالسلام بعد الخوف. وهو الذي يبحث عنا ويفتقدنا، قارعاً أبواب قلوبنا يطلب الدخول إلينا **"هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي"** (رؤ٣: ٢٠).

فلننتبه إلى حضور الرب، فقد نلتقيه في صورة أحد إخوته الأصاغر المحرومين أو المتألمين والمجروحين الذي يحتاجون إلينا، أو عندما نصلي أو عندما نقرأ كلمته، أو نكون في بيته، أو عندما تحاصرنا التجارب فهو يسمح بها لكي نختبر حضوره عندما نستدعيه تحت وطأة الضيقة.

+ في حضور الله يحل **السلام** فيزول الهم والقلق والخوف (يو٢٠: ١٩، ٢٦)، ويسود **الفرح** ويبقى (يو٢٠: ٢٠) وينقشع حزن العالم[١١]. وهكذا قال الرب لتلاميذه ليلة آلامه **"ولكنني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم"** (يو١٦: ٢٢). **والقديس بولس** يحثنا ألا نستسلم للحزن والاكتئاب بل أن نفرح **"افرحوا في الرب كل حين"** (في٤: ٤). وهكذا كتب **القديس يعقوب** في صدر رسالته **"احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة"** (يع١: ٢). فحضور الله في الضيقة يجردها من أشواكها السامة، فلا تقدر على انتزاع الفرح، ويجعلها مصدراً لتشديد الإيمان ودعمه ليكون مؤهلاً لمجابهة غيرها

---

(١١) أي الحزن المتعلق بأمور الجسد والعالم مثل الحزن بغير رجاء على موت الأحباء، أو الخسائر المادية، أو الفشل وغيره الذي لا يليق أن نستطرد فيه، وهذا غير الحزن **"الذي بحسب مشيئة الله"** الذي **"ينشئ توبة بخلاص بلا ندامة"** (٢كو٧: ١٠).

مما سيأتي في قادم الأيام. كما أن انفراج الضيقة ودحرها يجدد الثقة في مواعيد الله، ويسد كل أبواب الشك في صدق وعوده. ولكن ينبغي أن ننحاز دوماً إلى الله ووصاياه لنكون أهلاً للتمتع بمساندته، وننأى عن العالم مهما ابتسم لنا **"والعالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد"** (١يو٢: ١٧- من الكاثوليكون).

والأمثلة في حياة الكنيسة كثيرة:

● فلما أخرج ملاك الرب **الرسل** من السجن في الليل، ذهبوا من جديد في الصباح إلى الهيكل يبشّرون. فقدموهم إلى المحاكمة وجلدوهم. ولما أطلقوهم "ذهبوا **فرحين** من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه (المسيح)" (أع٥: ٤١)؛

● **والرسولان بولس وسيلا** كانا في سجن فيلبي مستمتعين **بالسلام** حتى أنهما كانا نحو نصف الليل **"يصليان ويسبحان الله** (جهراً) **والمسجونون يسمعونهما"** (أع١٦: ٢٥)؛

● وعندما كان **الرسول بولس** في سجن روما، ظل يمارس كرازته كرسول ومبشّر وليس كسجين مربوط بسلسلة إلى حارس يتناوب عليه كل ست ساعات، حتى أن كثيرين ممن حوله قبلوا الإيمان. بل إنه كان يتابع خدمته في الكنائس التي بشرها عن طريق الرسائل ويكتب فيها **"يسلّم عليكم جميع القديسين ولاسيسما الذين من بيت قيصر** (الذين آمنوا)**!"** (في٤: ٢٢)، فقد كان شعاره **"لست أحتسب لشئ ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله"** (أع٢٠: ٢٤).

● على أن وعد المسيح بالسلام والفرح لم يكن فقط لتلاميذه وإنما هو لكل مؤمنيه أيضاً. ومكتوب أنه في الكنيسة الأولى، كان الجميع **"كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة... وكانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب"** (أع٢: ٤٦).

+ **السلام والفرح** هما هبات **الروح القدس** (غل ٥: ٢٢) الذي أرسله الرب إلينا بعد صعوده، لكي يمكث فينا ويعزينا ويبكتنا ويذكرنا بكل ما قاله لنا. فسكناه فينا ضرورة حياتية لا يُستغنى عنها لكي نحيا مسيحيين. والكتاب يحذّرنا **"ولا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء"** (أف٤: ٣٠- من البولس).

+ الرب لم يجد غضاضة أن يُرى التلاميذ يديه ورجليه وجنبه، وطلب أن يجسّوه ويفحصوه ليروا أنه ليس روحاً أو خيالاً [١٢]. وعلينا نحن أيضاً أن نكف عن معرفة الرب **"من بعيد"**، بل أن تكون علاقتنا به وثيقة نلمس فيها جراحات محبته، نلتحم به، نثبت فيه وهو فينا، ونصير واحداً معه وفيه **"مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ"** (غل٢: ٢٠).

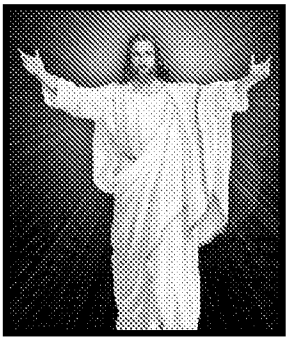

آمين. تعال أيها الرب يسوع.

(١٢) حتى وإن كان جسد قيامته الممجد يمكن أن يكون كثيفاً أو شفّافاً، مرئياً أو غير مرئي، لا يحتاج إلى طعام أو يمكن أن يأكل لكي يؤكد لتلاميذه على حقيقة ناسوته، وأنه هو الذي عاش معهم، وأنه هو الذي صلب ومات ودفن في القبر.

الأحد الثاني من الخمسين المقدسة

يسوع المسيح .. خبز الحياة

عشية مز١١١: ١، ٢ يو٦: ١٦-٢٣
باكر مز ١١١: ٣، ٤ يو٦: ٢٤-٣٣
البـــولـــس : أف٢: ١٩-٣: ٩
الكاثوليكون : ١يو٥: ١٠-٢٠
الإبركسيس : أع ٢٠: ١-١٢

مز١١١: ٩، ١٠

الإنجيـل : يو٦ : ٣٥ - ٤٥

(هو الجزء الأخير من إنجيل الأحد الثالث من شهر أمشير-يو٦ : ٢٧-٤٦)

(انظر ص ٨٣)

الأحد الثالث من الخمسين المقدسة

الماء الحي

المرأة السامرية

عشية مز ١١٦: ١، ٢ يو٨: ١٢-٢٠
باكر مز١١٦: ٤-٦ يو٨: ٢١-٣٠
البولس : كو ٣: ١-١٧
الكاثوليكون : ١يو٣: ١٣-٢٤
الإبركسيس : أع ٣٧:١٠-٤٣

مز ١١٥: ١٢، ١٣

الإنجيل : يو٤: ١- ٤٢

(هو أيضاً إنجيل الأحد الرابع من الصوم الكبير، كما يُقرأ أيضاً ضمن صلوات السجدة الثالثة مساء عيد العنصرة)

(انظر ص ١٢٣)

الأحد الرابع من الخمسين المقدسة

الحياة في النور

عشية مز ١١٨: ١، ٢ يو٦: ٥٧-٦٩
باكر مز١١٨: ٢٨، ٢١ يو٨: ٥١-٥٩
البولس : ٢تس٢: ١٣-٣: ٥
الكاثوليكون : ١يو٤: ٧-١٣
الإبركسيس : أع ١٤: ٨-٢٣

مز١١٨: ١٤- ١٦

الإنجيل : يو١٢: ٣٥- ٥٠

[٣٥]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«النُّورُ مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. [٣٦]مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ». تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ.
[٣٧]وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هذَا عَدَدُهَا، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، [٣٨]لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي قَالَهُ:«يَارَبُّ، مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟ وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟» [٣٩]لِهذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لأَنَّ إِشَعْيَاءَ قَالَ أَيْضًا: [٤٠]«قَدْ أَعْمَى عُيُونَهُمْ، وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ». [٤١]قَالَ إِشَعْيَاءُ هذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ. [٤٢]وَلكِنْ مَعَ ذلِكَ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَيْضًا،

غَيْرَ أَنَّهُمْ لِسَبَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ، لِئَلاَّ يَصِيرُوا خَارِجَ الْمَجْمَعِ، ٤٣لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ.

٤٤فَنَادَى يَسُوعُ وَقَالَ:«الَّذِي يُؤْمِنُ بِي، لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. ٤٥وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٤٦أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ. ٤٧وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. ٤٨مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، ٤٩لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ. ٥٠وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ، فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هكَذَا أَتَكَلَّمُ».

..وظلال الصليب في الأفق، استودع الرب تلاميذه كلماته الأخيرة، منبهاً إلى الآلام الدامية الآتية وحاثًّا إياهم على الاستعداد للتعامل مع المتغيرات الخطيرة التي ستداهمهم بعد قليل "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان.. وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع.. **النور معكم زماناً قليلاً بعد. فسيروا في النور لئلا يدرككم الظلام.. مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور**" (يو١٢:٢٣، ٣٢، ٣٥، ٣٦).

وما قاله الرب لتلاميذه مرتبطاً بأحداث الصليب يصلح أن ننتبه إليه مرتبطاً بحياتنا نحن في هذا العالم فالزمان الباقي لكل إنسان مهما طال هو قليل وكالبخار يظهر قليلاً ثم يضمحل، والفرص مهما تعددت هي محدودة، ومن الحكمة والتزام الإيمان الإنصات إلى صوت الرب **للحياة في النور**، أي فيه هو **نور هذا العالم**، وأن نتحصن ضد الظلام، وأن ننتبه لئلا يحتوينا كما انخدع غيرنا.

وهذه قراءة متأنية للتفرس في كلمات الرب التي سجلها لنا القديس يوحنا.

(١) " النور معكم زمانا قليلا بعد" (يو١٢: ٣٥):

الرب، فى حديثه إلى تلاميذه، يشير إلى نفسه بأنه "**النور**" الذى سيمضى بعد قليل ويترك العالم. وقد أشار المعمدان من قبل عن المسيح أنه " **النور الحقيقى** الذى ينير كل إنسان" (يو١: ٩). والرب صرح أكثر من مرة أنه " **نور العالم**"(يو٨: ١٢، ٩: ٥)، وكررها فى الحديث الذى نحن بصدده (يو١٢: ٤٦). كما ذَكَرَ عنه معلمنا القديس بطرس أنه " **دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب**"(١بط٣: ٩). وكما هو ينير السموات (رؤ٢٢: ٤، ٥) فهو ينير العالم وكل من يؤمن، الذين سماهم **أبناء النور** (يو١٢: ٣٦).

(٢) " فسيروا فى النور ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام" (يو١٢: ٣٥):

والمعنى الظاهر من سياق الحديث لتلاميذه أن الظلام، الذى سيدهمهم عما قريب، هو غياب المسيح، سواء انفصاله عنهم بدخوله دائرة الآلام والصليب والموت، أو بصعوده إلى السماء بالجسد بعد أسابيع من قيامته. فهو يوصى تلاميذه أن يظلوا ملتصقين به ما بقى من أيامه على الأرض متمتعين بنوره وإرشاده الإلهى ونعمته المغّيرة للحياة قبل أن يغيب عنهم.

وقد يعنى الظلام أيضاً بالنسبة للتلاميذ الاضطهاد والضيقات الآتية عليهم وحصار العالم لهم قبل أن يقتادهم إلى الموت.

وبالنسبة لنا نحن المؤمنين فالظلام الذى يتهددنا قد يكون التجارب والحروب الروحية وميول الجسد والاضطهاد بأنواعه وفى النهاية الموت بكل طريق.

ودوام سيرنا فى النور يكفله **الإيمان الحى، ومحبة الله والقريب**، والالتصاق **بوصية الله** التى هى "**مصباح**" (أم٦: ٢٣) و"**سراج**" (مز١١٩: ١٠٥)، وهى " **مضيئة تنير العينين عن بعد**" (مز١٩: ٨)، وهى "**حياة أبدية**" (يو٧: ٥٠). فمعرفة كلمة الله تطرد الظلمة وتعطى استنارة وإفرازاً وتنبه الضمير وتحفظ من التعثّر. كما إننا فى شركة **الصلاة والعبادة** نلتقى بمصدر النور فيفيض علينا سلاما وتطهيرا لأركان القلب المظلمة. وبالاتحاد **بالجسد والدم** تلتحم النفس التائبة برئيس الحياة الذى يزيل بقع الظلام من ثوب النور. وتظل **الكنيسة** لنا أيضاً **نبعا للنور**، فهى بيت الصلاة والأسرار والتعليم والتعزية وشركة المؤمنين، وسُمى برجها **بالمنارة** لأنها للمؤمنين كالفنار للسفن وسط أمواج البحر المتلاطمة. وهذا كله يحفظ نفوسنا من أن يدركها ظلام الهموم والتجارب وخداع الشهوة ومحبة هذا العالم. وحتى إذا جاءت ساعة ظلمة الموت، فلن تكون للسائرين فى النور مفاجأة صاعقة تزلزل الكيان، كما هو الحال مع الأشرار الذين يستترون فى الظلام طويلا حتى تداهمهم ساعة الموت كلص " **أما أنتم أيها الإخوة فلستم فى ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص**"(١تس٥: ٤)، أما لأبناء النور فإن ساعة الموت لن تكون إلا ساعة الانطلاق إلى النور الأبدى.

والطبيعى أن المؤمن الحقيقى يحيا فى النور ويحبه، ويقبل التأديب الذى ينقذ من الموت، ويسير فى الحياة مفتوح العينين متفاديا كل العثرات والعقبات وظلمة الخطية. وعلى العكس فالخاطئ متستر ويحتمى بالظلام متفاديا النور الذى يكشف عيوبه " **لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله**" (يو٣: ٢٠). ولكن النتيجة المؤسفة أنه يفقد الطريق ويضيع منه الهدف، وكالأعمى دون مرشد يضل ويتعثر لأنه " **لا يعلم إلى أين يذهب**" (يو١٢: ٢٥). وبينما يحسب، وهو يتسلل ملتحفا بالظلام، أنه ينجو من الدينونة، سيقع حتما تحت طائلة

الدينونة ويفقد فرصة الحياة إن لم يستجب لنداء الخلاص وينهض من ظلمة الخطية القاتلة للنفس، مقتديا بالابن الضال الذى لما اكتشف بؤس حاله "**قام وجاء إلى أبيه**" (لو١٥: ٢٠) تائبا فوجد الأحضان المفتوحة وعاد إلى النور. ومعلمنا بطرس يصف من ينسى تطهير خطاياه السالفة أنه " **أعمى قصير البصر**"، ومن ثم فهو يحثنا أن نجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين " **لأنكم إن فعلتم ذلك لن تزلّوا أبدا لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى**" (٢بط١: ٩-١١).

(**٣**) "**مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور**" (يو١٢: ٣٦)

الذين يؤمنون بالنور، أى بالنور الحقيقى ملك الدهور، وبالحياة فى النور، يصيرون " **أبناء النور**"، فيضيئون مثله هنا وهناك (فى الأبدية)، وإنما بفارق ما. فالمؤمنون على الأرض هم "**نور العالم**"، يعكسون نور السيد للناس كما يعكس القمر نور الشمس فنستضئ به " **فليضئ نوركم هكذا قدام الناس**" (مت٥: ١٦).. ونور المسيح الذى يعكسونه هو الحياة الجديدة التى يفصح عنها المحبة الشاملة والإيمان الحى والسلوك بحسب الإنجيل " لكى يروا أعمالكم الحسنة" (مت٥: ١٦). أمَّا فى الأبدية فإننا " **نصير مثله**"(١يو٣: ٢) أى ننير نحن أيضاً كالشمس بنوره الذى فينا "**حينئذ يضئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم**" (مت١٣: ٤٣) كما سطع نور الرب يوم التجلى (مت١٧: ٢).

(**٤**) " **أنا قد جئت نورا للعالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة**" (يو١٢: ٤٦):

يحفل الكتاب بالآيات التى تربط النور بالحياة الجديدة والظلمة بالخطية:

" كنتم قبلا **ظلمة** أما الآن **فنور فى الرب**" (أف٥: ٨)؛ " فلنخلع أعمال الظلمة **ونلبس أسلحة النور**" (رو١٣: ١٢)؛ "جميعكم **أبناء نور وأبناء نهار**. لسنا **من ليل ولا ظلمة**" (١تس٥: ٥).

ولأن طبيعة النور أنه لا يمكن أن يجتمع والظلمة " **لا شركة للنور مع**

الظلمة"، وبالتالى فالحياة المسيحية ليس فيها ظلمة البتة. فلا يمكن أن يجتمع البر والإثم، ولا أن يتفق المسيح مع إبليس، أو أن يتوافق هيكل الله مع الأوثان (٢كو٦: ١٤-١٦) " **إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق**" (١يو١: ٦).

من هنا فالحياة فى النور تتضمن توحد القلب واستقامة السلوك وعدم العرج بين الفرقتين (١مل١٨: ٢١). كما أن البقاء فى النور يستدعى السهر والانتباه والتدقيق والاستعداد الدائم للقاء الرب. وحتى إن تعثّر المؤمن بمؤامرة العدو فسبيله هو النهوض السريع والرجوع بالتوبة إلى رحاب النور.

على أن إبليس لا يعدم وسيلة لتزييف الحياة الروحية بالرياء والادعاء، فقد لا تجد دعوته للانقلاب على الإيمان، والانسحاب الكامل من النور، والسلوك فى الشر، قبولا من كثرة المتدينين، ولكن قد يرتاح البعض إلى حياة الرياء المزدوجة التى يحاولون فيها إرضاء العالم والاستمرار فى تدينهم الشكلى، وهى محاولة محكوم عليها بالفشل **فلن يقدر أحد أن يخدم سيدين** كما قال الرب (مت٦: ٢٤)، وهذه الثنائية هى أكثر الأمراض الروحية انتشاراً (وهى التى تفرز حالات خيانة المسيح التى تصدمنا بين الحين والحينً وتُحزن قلب الرب وكنيسته). وفى الثنائية يصير قلب المتدينين الشكليين نهبا مستباحا لكل التيارات، ويغطون انحرافهم بقشرة من الممارسات الآلية يجتهدون بها إلى إسكات صوت ضمائرهم، أو سعيا لإرضاء من حولهم، دون أن يهمهم إرضاء الله أو يشغلهم مصيرهم وخلاص أنفسهم. هؤلاء مهما قالوا هم ينكرون الإيمان ويخونون سيدهم متعثرين فى الظلمة، ولا نجاة لهم ولا سبيل إلى الحياة الأبدية بغير توقفهم عن ريائهم وتجديد قلوبهم بتوبة حقيقية شاملة تصحح مسار الحياة وتنقلهم من الظلمة إلى النور (أف٥: ٨، ١بط٢: ٩).

(٥) " **إن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم**"(يو١٢: ٤٧):

الرب هنا يؤكد على ما قاله من قبل " **لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم**" (يو٣: ١٧).

هذه هي إذاً فرصتنا للحياة الجديدة، والسير فى النور، والتمتع برفقة المخلص الطيب ونحن هنا على الأرض. نعم. فالنور معنا زمانا قليلا. والحياة لن تدوم وعما قليل ستجتاحنا ظلمة الموت. فحياتنا الحاضرة رغم قصرها وضيقها هى فرصة متسعة للخلاص. **والآن** (أى اللحظة الحاضرة) هو فقط الذى لنا، **أما الماضى** فلا نقدر أن نستعيده بعد أن ولىّ وغاب فى أعماق الزمن، **والمستقبل** ليس فى أيدينا بعد، وهو بدوره يتحول بالتتابع إلى لحظة حاضرة يطويها الزمان ولا تعود. ومن هنا يهتف معلمنا القديس بولس " هوذا **الآن** وقت مقبول. **هوذا الآن** يوم خلاص" (٢كو٦: ٢).

وعلى المؤمن أن يمسك باللحظة الحاضرة لأن "الآن" ساعة الخلاص والغفران والتصحيح والتوبة والرجوع بعد التعثر. فالدينونة مؤجلة إلى اليوم الأخير. وحتى مجيئه الثانى يبقى الرب لنا النور الهادى، قوتنا وتسبحتنا، المحامى والشفيع، والصديق المحب الألزق من الأخ (أم١٨: ٢٤). وفى هذا يكتب معلمنا القديس بولس مؤكدًا على مساندة الرب: " **آمين هو الرب الذى سيثبتكم ويحفظكم من الشرير والرب يهدى قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح**" (٢تس٣: ٣).

❋ ❋ ❋

إن المؤمنين مدينون بحياتهم لمن جاء نورًا للعالم (يو١٢: ٤٦). فهو الذى يفيض عليهم بنوره فيعكسونه على العالم برا وقداسة وحبا وخدمة وبذلا واحتمالا. وهو الذى يسيّج حولهم لئلا تغمرهم ظلمة هذا الدهر. وفى أوقات الضعف يأتى لُينهض ويشدد ويقيم وينتشل من مراغة الحمأة إلى دائرة النور.

ولكن ستظل لأبناء النور التزاماتهم مادام لهم النور:

(١) أن يؤمنوا بالنور (يو١٢: ٣٦):

أى أن يلتصقوا به ويعلنوه للعالم لا أن يخفوه أو يخجلوا منه " **لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل. ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضئ لجميع الذين فى البيت**" (مت٥: ١٤، ١٥).

(٢) أن يعيشوا فى النور (يو١٢:٣٥):

ساهرين صاحين، فالنور يتصل به الصحو والسهر بينما يرتبط الظلام بالليل وهذا يرتبط به النوم (١تس٥: ٧)، والنوم يرمز إلى الإهمال والاستسلام والتراخى والكسل والفتور والضعف " **لسنا من ليل ولا ظلمة فلا ننم إذن كالباقين بل لنسهر ونصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص**" (١تس٥: ٥، ٦، ٧).

(٣) أن يترجوا النور الأبدى:

أى أن يتطلعوا دوما لوطنهم السماوى " **منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح**" (تى٢: ١٣). ويصير بلوغ الحياة الأبدية والحياة فى النور الأبدى هدفا لا يغيب " ولا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس **لأن الرب الإله ينير عليهم**"(رؤ٢٢: ٥).

* * *

ومرة أخرى .. " **النور معكم زمانا قليلا بعد .. فسيروا مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام**".

الأحد الخامس من الخمسين المقدسة

" أنا هو الطريق والحق والحياة "

عشية مز١٣٥: ٦، ٢١ يو١٤: ٢١-٢٥
باكر مز١٣٥: ١٩، ٢٠ يو١٥: ٤-٨
البولس : عب ١٠: ١٩-٣٨
الكاثوليكون : ١بط ٤: ٦-١٤
الإبركسيس : أع ٩: ١-٢٠

مز١٣٦: ١، ٢

الإنجيل : يو١٤: ١- ١١

[1]«لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. [2]فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، [3]وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا، [4]وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ».

[5]قَالَ لَهُ تُومَا:«يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» [6]قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي. [7]لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ». [8]قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ:«يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا». [9]قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟

١٠أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآب وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. ١١صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآب وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا.

عندما نبلغ إلى **الأحد الخامس من الخمسين المقدسة**، نكون على بُعْد أيام من **عيد الصعود** الذي يختم اليوم الأربعين لقيامة الرب.

وسوف نُلاحِظ أن أناجيل قداسات آحاد الخمسين كلها هي من **بشارة معلِّمنا يوحنا الإنجيلي**، حيث نُحلِّق معه على أجنحة النسور في آفاق السماويات، نتأمَّل في بهاء مجد المسيح بعد أن أكمل مهمته الخلاصية، وخرج من محرقة الصليب الدامية وظلمة القبر منتصراً على شوكة الموت وغالباً الهاوية (١كو ١٥: ٥٥،٥٦). ولأربعين يوماً، هي الأخيرة في حياة الرب على الأرض، كان المجد ساطعاً بعد سنوات الخدمة والجهاد والآلام الثلاث التي كلَّلتها طاعته حتى الموت (في ٢: ٨)، قبل أن يمضي إلى المجد الكامل الذي كان له عند الآب قبل كَوْن العالم (يو ١٧: ٥).

والفصول التي اختارتها الكنيسة في آحاد الخمسين، تكثَّف فيها انحصار الرجاء في شخص الرب الذي **"خرج غالباً ولكي يغلب"** (رؤ ٦: ٢): فهو **غاية الإيمان** (الأحد **الأول** - أحد توما - يو ٢٠: ١٩-٣١)؛ وهو **خبز الحياة النازل من السماء** فمَن يُقبل إليه لا يجوع (الأحد **الثاني** - يو ٦: ٣٥-٤٥)؛ وهو **الماء الحي** فمَن يؤمن به لا يعطش أبداً (الأحد **الثالث** - يو ٤: ١-٤٢)؛ وهو **نور العالم والنور الحقيقي** الذي مَن يتبعه فلا يمشي في الظلمة بل يكون له **نور الحياة** (الأحد **الرابع** - يو ١٢: ٣٥-٥٠)؛ وهو في الأحد **الخامس: الطريق والحق والحياة** (يو ١٤: ١-١١)؛ فهو للكل كل شيء.

هو الطريق:

في حديثه الأخير لتلاميذه، قبل دخوله درب الصليب، يُخبرهم الرب أنه سوف يمضي إلى أبيه ليُعدَّ لهم مكاناً، ثم يأتي ليأخذهم ليكونوا معه. ولأنهم لم يفهموا إلى أين يذهب ولا الطريق إليه، قال لهم: **"أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي"** (يو ١٤: ٦).

والمسيح هو الأول والوحيد الذي قال إنه هو **الطريق**. لم يَقُلها آباؤنا إبراهيم أو موسى أو داود أوأي أحد غيرهم. وهو لم يَقُل إن نهجه أو كلماته هي الطريق، مع أنها بعضٌ منه، ولكنه قال إنه **هو الطريق**.

فما معنى أنَّ المسيح هو الطريق؟

+ قبل كل شيء وبعده، فإنَّ المسيح، وقد استَعلَن لنا الآب السماوي **"الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر"** (يو ١: ١٨)، قد صار **الطريق الوحيد إلى الآب**، أي للإيمان الحقيقي بالإله الحق:

"ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي" (يو ١٤: ٦)، **"لأن به** (بالمسيح) **لنا كلينا** (اليهود والأُمم) **قُدُوماً في روح واحد إلى الآب"** (أف ٢: ١٨). كما أن قبول أي إنسان لخلاص المسيح هو برهان على انفتاح الآب عليه: **"لا يقدر أحد أن يُقبل إليَّ إنْ لم يجتذبه الآب الذي أرسلني... لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ إنْ لم يُعطَ من أبي"** (يو ٦: ٤٤،٦٥).

+ ويترتب عليه أن **المسيح هو الطريق الوحيد المؤدِّي إلى الخلاص**. وهكذا نادَى القديس بطرس في بدء الكرازة بالمسيح للعالم: **"وليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطِيَ بين الناس به ينبغي أن نخلُص"** (أع ٤: ١٢). **فالإيمان به وحده هو الذي يهب الخلاص والحياة الجديدة والحياة الأبدية** (يو ٣: ١٦،٣٦؛ ٥: ٢٤؛ ٦: ٤٠):

"هذا هو الوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبدية" (١يو ٢: ٢٥)؛ **"وهذه هي الشهادة أنَّ الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. مَن له الابن فله الحياة، ومَن ليس له ابن الله فليست له الحياة"** (١يو ٥: ١١،١٢)؛

وبدمه وحده تُغفر الخطايا: **"دم يسوع ابنه** (ابن الله) **يُطهِّرنا من كل خطية... إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثم"** (١يو ١: ٧،٩).

وبغير المسيح لا يمكن **طاعة وصاياه وتفعيلها** مهما حسنت النوايا، وبغير المسيح وعمل روحه تستحيل **التوبة**.

+ **والمسيح هو الطريق المؤدِّي إلى الحياة**، لأنه هو **الحياة** ذاتها ومصدرها وواهب الحياة الأبدية (يو ١: ٤؛ ١١: ٢٥؛ ١٤: ١٦):

"إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون" (يو ١٤: ١٩)؛ **"كُنْ أميناً إلى الموت فسأُعطيك إكليل الحياة"** (رؤ ٢: ١٠)؛ **"لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع"** (١كو ١٥: ٤٥)؛ وأيضاً لأنه **الحق** الوحيد (يو ١٤: ٦)، والذي يُحرِّرنا من العبودية (يو ٨: ٣٢)؛ كما أنَّ **كلماته هي روح وحياة** (يو ٦: ٦٣) **وحياة أبدية** (يو ٦: ٦٨)؛ وهي **الحق** بعينه (يو ١٧: ١٧؛ ١يو ٥: ٢٠).

+ **والمسيح هو الطريق**، لأنه وحده **رأس الكنيسة** (أف ٥: ٢٣) التي هي **جسده** (أف ١: ٢٣؛ كو ١: ١٨)، والمؤمنون هم **"أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه"** (أف ٥: ٣٠)، وكل النِّعَم التي ينالونها تفيض عليهم من الرأس المسيح في الروح القدس، فنحن به **"نحيا ونتحرَّك ونوجد"** (أع ١٧: ٢٨).

+ **والمسيح هو الطريق** لأنه هو **"الألف والياء. البداية والنهاية... الأول والآخِر"** (رؤ ١: ٨،١٨؛ ٢٢: ١٣)، وهو **"ملك الملوك ورب الأرباب"** (١تي ٦: ١٥؛ رؤ ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٦)، فهو فوق الكل، وهو **"الكل وفي الكل"** (كو ٣: ١١)، و**"هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"** (عب ١٣: ٨)، **وهو معنا كل الأيام إلى انقضاء الدهر** (مت ٢٨: ٢٠).

+ **والمسيح هو الطريق** لأنه وحده **الديَّان**، ويوماً سنقف مع كل الشعوب أمامه كي نُقدِّم حساباً عن كل أعمالنا:

"لأن الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو ٥: ٢٢)؛ **"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب"** (مت ٢٥: ٣١،٣٢)؛ **"إني أنا هو الفاحص الكُلَى والقلوب، وسأُعطي كل واحد منكم بحسب أعماله"** (رؤ ٢: ٢٣)؛ **"وها أنا آتي سريعاً وأُجرتي معي، لأُجازي كل واحد كما يكون عمله"** (رؤ ٢٢: ١٢).

كيف صار المسيح الطريق؟

المسيح صار **الطريق الوحيد إلى الآب** بالفداء أي **بدم نفسه، دم العهد الأبدي** (عب ١٣: ٢٠) **"طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده"** (عب ١٠: ٢٠). **وعلى اعتبار أنه كاهن عظيم على بيت الله** (عب ١٠: ٢١)، بل **ورئيس كهنة للخيرات العتيدة "دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً"** (عب ٩: ١١،١٢). وهو دخل إلى مجده **سابقاً لأجلنا** (عب ٦: ٢٠)، **وضامناً لخلاصنا** (٢تي ١: ١٢)، **وشفيعاً دائماً** لا يماثل قدر شفاعته وفرادتها أحد، ومِن شفاعته يستمدُّ القديسون فِعْل شفاعتهم التوسُّلية، فهو **شفيع الشفعاء، "وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يُطيعونه سبب خلاص أبدي"** (عب ٥: ٩)، وبه **"ينالون وعد الميراث**

الأبدي" (عب ٩: ١٥). ولأنه **رئيس كهنة إلى الأبد** (عب ٦: ٢٠) بكهنوت لا يزول **"فمِنْ ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم"** (عب ٧: ٢٤،٢٥). ولأنه جاز في الآلام وجُرِّب مثل البشر في كل شيء (ما خلا الخطية)، فهو قادر أن **يرثي لضعفاتهم**، ويأخذ بأيديهم للسير في جدَّة الحياة (عب ٤: ١٥).

المسيح هو الطريق، لأنه بشفاعته الكفَّارية صار **الوسيط الوحيد بين الله والناس:**

" لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح (الابن المتجسِّد)" (١تي ٢: ٥)؛ **"وسيط العهد الجديد: يسوع..."** (عب ١٢: ٢٤)؛ **"وإنْ أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الله الآب، يسوع المسيح البار. وهو كفَّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً"** (١يو ٢: ١،٢).

المسيح هو طريقنا:

+ كمؤمنين، فإنَّ **المسيح هو طريقنا** منذ بداية الحياة. فنحن لَمَّا **اعتمدنا**، جُزنا موتاً وقيامة مع المسيح في حياة جديدة من الماء والروح، أولاداً لله قد انفصلوا عن العالم، والمسيح التحم بنا كأننا نلبسه كما يحمل المقاتل سلاحه، رافضين الشر الذي في العالم:

"فدُفنَّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة" (رو ٦: ٤)؛ **"مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات"** (كو ٢: ١٢)؛ **"أما أنا فحاشا لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به صُلب العالم لي وأنا للعالم"** (غل ٦: ١٤)؛ **"مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ"** (غل ٢: ٢٠)؛

"إن كُنَّا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه" (٢تي ٢: ١١)؛ **"فإن كنتم قد قُمتُم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله"** (كو ٣: ١-٣)؛ **"لأن كلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح"** (غل ٣: ٢٧)؛ **"البسوا الرب يسوع ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات"** (رو ١٣: ١٤).

+ والمسيح هو **طعامنا السماوي** الذي يغفر لنا خطايانا ويهبنا الحياة الأبدية:

"أنا هو خبز الحياة... فمَن يأكلني فهو يحيا بي" (يو ٦: ٤٨،٥٧)؛ **"إنْ لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليست لكم حياة فيكم. مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير... مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه"** (يو ٦: ٥٣،٥٤،٥٦).

+ والمسيح مصدر **سلامنا وفرحنا** عندما صالحنا مع الآب بصليبه وموته:

"لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة... صانعاً سلاماً" (أف ٢: ١٤،١٥)؛

"عاملاً الصُّلح بدم صليبه" (كو ١: ٢٠)؛

"وليملك في قلوبكم سلام الله الذي إليه دُعيتم في جسد واحد" (كو ٣: ١٥)؛

"فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رو ٥: ١)؛

"افرحوا في الرب كل حين" (في ٣: ١؛ ٤: ٤).

+ وهو سرُّ **قوتنا ونصرتنا** في تجارب الحياة، والمُلهِم المؤتَمَن في المواقف المختلفة، **وكلمته هي نور الحياة:**

"أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقوِّيني" (في ٤: ١٣)، **"تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل"** (٢كو ١٢: ٩)؛ **"شكراً لله الذي يُعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح"** (١كو١٥: ٥٧)؛ **"وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا"** (١يو ٥: ٤)؛ **"كلام الحياة الأبدية عندك"** (يو ٦: ٦٨)، **"سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي"** (مز ١١٩: ١٠٥)؛ **"وأما نحن فلنا فكر المسيح"** (١كو ٢: ١٦)؛ **"الذي فيه** (في المسيح) **أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح"** (أف ٢: ٢٢).

+ ونحن إذ **نحتمل الآلام**، صابرين، في المسيح ومعه ومن أجله، فنحن نتطلَّع إلى اليوم الأخير عندما **نتمجَّد أيضاً معه** ونرث الملكوت:

"فإنْ كُنَّا أولاداً فإننا ورثةٌ أيضاً، ورثةُ الله ووارثون مع المسيح. إنْ كُنَّا نتألم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه" (رو ٨: ١٧)؛ **"إنْ كُنَّا نصبر فسنملك أيضاً معه"** (٢تي ٢: ١٢)؛ **"متى أُظْهِرَ المسيحُ حياتُنا، فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد"** (كو ٣: ٤).

❊ ❊ ❊

المسيح هو لنا الطريق والحق والحياة،
وهو الطريق إلى الحق والحياة،
وهو الطريق لأنه أيضاً الحق والحياة،
ففيه الحق ومنه الحياة.

الأحد السادس من الخمسين المقدسة

"ثقوا. أنا قد غلبت العالم"(*)

عشية مز ١٤٦: ١، ٢، ١٠ مر١٢: ٢٨-٣٧
باكر مز١٤٧: ١، ٢ يو١٤: ٨-١٤
البـــولـــس : ١كو ١٥: ٥٧-١٦: ٨
الكاثوليكون : ١بط ١: ٢-١٢
الإبركسيس : أع ٢٠: ١-١٦

مز ١٤٧: ١٢، ١٨

الإنجيـل : يو ١٦: ٢٣- ٣٣

٢٣ وَفِي ذلِكَ الْيَوْمِ لاَ تَسْأَلُونَنِي شَيْئًا. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ
مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآب بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ. ٢٤ إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئًا بِاسْمِي.
اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً.
٢٥ «قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا بِأَمْثَال، وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ لاَ أُكَلِّمُكُمْ أَيْضًا
بِأَمْثَال، بَلْ أُخْبِرُكُمْ عَنِ الآب عَلاَنِيَةً. ٢٦ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَطْلُبُونَ بِاسْمِي.
وَلَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا أَسْأَلُ الآبَ مِنْ أَجْلِكُمْ، ٢٧ لأَنَّ الآبَ نَفْسَهُ
يُحِبُّكُمْ، لأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي، وَآمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ.
٢٨ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَيْضًا أَتْرُكُ الْعَالَمَ
وَأَذْهَبُ إِلَى الآب».
٢٩ قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ:«هُوَذَا الآنَ تَتَكَلَّمُ عَلاَنِيَةً وَلَسْتَ تَقُولُ مَثَلاً

(*) انظر أيضاً مقال "**قضية الاضطهاد**" في **الكتاب الخامس** – قضايا إيمانية من "**نور الحياة**".

وَاحِدًا. [30]الآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ. لِهذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ». [31]أَجَابَهُمْ يَسُوعُ:«أَلآنَ تُؤْمِنُونَ؟ [32]هُوَذَا تَأْتِي سَاعَةٌ، وَقَدْ أَتَتِ الآنَ، تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَاصَّتِهِ، وَتَتْرُكُونَنِي وَحْدِي. وَأَنَا لَسْتُ وَحْدِي لأَنَّ الآبَ مَعِي. [33]قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ».

الأحد السادس من الخماسين المقدسة، هو الأحد **التالي** مباشرة **لعيد الصعود** (الذي كان قبل ثلاثة أيام)، وهو الأحد **السابق** مباشرة **لأحد العنصرة وعيد الخمسين**. والقراءات ما بين عيدي الصعود والعنصرة هي رسالة عزاء للكنيسة بعد صعود الرب، وصلاة لتحقيق الوعد بحلول الروح القدس، الذي يؤسس الكنيسة ويدافع عنها، ويعزي المؤمنين ويقودهم للتوبة وحياة القداسة، ويشهد دوماً للحق.

وإنجيل هذا **الأحد السادس** هو القسم الأخير من حديث المسيح، الذي سجّله القديس يوحنا على امتداد الأصحاحات من الرابع عشر إلى السادس عشر من بشارته. وهو الحديث الذي خاطب به الرب لتلاميذه بعد أن غسل أرجلهم وقدم لهم جسده ودمه، والصليب والآلام والموت على المشارف (في اليوم التالي)، والتلاميذ تنتظرهم محنة عظيمة بعد أن انتهت سنوات المجد الثلاث برفقة السيد والمعلم، والحافلة بألوان الفرح والقوة ومحبة الله للبشر، ليحكم العالم حصاره، فيقبض على السيد، ويتشتت تلاميذه كما تهيم غنم الرعية وقد غاب الراعي.

وها هو المعلم يستبق الأحداث: يطمئنهم ويحثهم أن يتمسكوا بإيمانهم، وألا ينهاروا تحت وطأة الضيقات، ويعدهم بالروح القدس الذي يتكلم فيهم وهم يكرزون للعالم بالخلاص، ويحثّهم أن يظلوا على ثقتهم في الملك المسيح، ويعطيهم سلامه كل الأيام فلا تضطرب قلوبهم.

■ **"في العالم سيكون لكم ضيْق":**

ليس غريباً أن نقول أنه في صميم طبيعة الحياة في العالم الحاضر القصور والنقص. فالأفراح لا تدوم ويعقبها الكدر والحزن والدموع؛ والمكاسب تليها الخسائر؛ والصحة بعدها المرض؛ وهناء العيش عمره قصير وتلحقه الآلام والضيقات.. وهذه السمات هي ميراث الخطية التي اقتحمت حياة الإنسان وأسقطته في فجر تاريخه فذاق المعاناة، التي لم تكن قاصرة على جماعة دون غيرها ولكنها عمت الجميع إذ **"الجميع زاغوا وفسدوا معاً (أخطأوا وأعوزهم مجد الله)، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد"** (رو٣: ١٢، ٢٣).

+ ولكن هناك، فوق كل ما سبق، الآلام والضيقات التي تصيب المؤمنين من أجل إيمانهم وتبعيتهم للمسيح والتزامهم بالإنجيل، لأنه كما يرفض العالم، الموضوع في الشرير، شخص المسيح المخلّص، فهكذا أيضاً يضيق بإتباعه ولا يحتملهم: يبغضهم ويضطهدهم ويعيّرهم ويهينهم ويسلبهم حقوقهم، لأنهم باستقامتهم وبرهم يكشفون سقوطه وشره وزيفه.

وبحسب قول المسيح لمؤمنيه: **"إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم... لأنكم لستم من العالم... لذلك يبغضكم العالم.. ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم"** (يو١٥: ١٨-٢٠)؛

و**"لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس؟!"** (لو٢٣: ٣١).

فالطبيعي إذاً ألا يقبلنا العالم، واضطهاده لنا هو شهادة لنا أن المسيح ظاهر فينا. بل علينا أن نتوجس إذا كان العالم يقبلنا لئلا نكون قد تراجعنا عن ثوابت إيماننا وقدمنا تنازلات حتى يرضى العالم عنا، أو أننا سئمنا المقاومة ونسعى للتصالح مع العدو.

+ ومنذ بداية خدمته، بيّن لنا الرب مشقة السير معه، وأننا سنكون موضع بغضة العالم وعدم رضاه عنا: سيضطهدنا وإن أمكن يقتلنا:

"ادخلوا من الباب الضيق... ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة" (مت٧: ١٣، ١٤، لو١٣: ٢٤)؛

"طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات" (مت٥: ١١، ١٢)؛

"ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب" (مت١٠: ١٦)؛

"وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي" (مت١٠: ٢٢)؛

وهو مع هذا نبهنا ألا يرهبنا الموت **"لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد"** (مت١٠: ٢٨)، فصمودنا وإيماننا وثقتنا في إلهنا هو الرد المباشر على المضطهِد، الذي يكشف هشاشته وزيفه.

ومن حديثه الأخير:

"تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يو١٦: ٢)؛

وختم كلامه بالقول: **"في العالم سيكون لكم ضيق"** (يو١٦: ٢٣).

+ وهكذا قال أيضاً **القديس بولس** مشدداً أنفس المؤمنين:

"أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أع١٤: ٢٢).

"لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله" (في١: ٢٩)؛

"وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهَدون" (٢تي ٣: ١٢)؛

+ ويخاطب **القديس بطرس** في رسالته الأولى المؤمنين في الشتات مشجعاً:

"ولكن إن تألمتم من أجل البر فطوباكم، وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا... إن عُيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم" (١بط ٣: ١٤، ٤: ١٤).

■ **"ثقوا . أنا قد غلبت العالم":**

+ ولكن الله وعد بمساندة مؤمنيه وتعزيتهم، وكشف عن النصيب الصالح الذي يناله الذين يحتملون الضيقات فيصبرون من أجل اسمه، وأنه سيغلب كل أعدائه، وسيأتي يوماً على السحاب لكي يمجد قديسيه ويختم على آلامهم ويُدخلهم إلى ملكوته بحسب كلماته:

"الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (مت١٠: ٢٢، ٢٤: ١٣)؛

"لا تضطرب قلوبكم" (يو١٤: ١، ٢٧)؛

"ثقوا. أنا هو. لا تخافوا" (مر٦: ٥٠)؛

"سلامي أترك لكم. سلامي أعطيكم" (يو١٤: ٢٧)؛

"اثبتوا في وأنا فيكم.. أنا الكرمة وأنتم الأغصان.. بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو١٥: ٣، ٥)؛

"أنتم ستُحزنون.. ولكن حزنكم يتحول إلى فرح" (يو ١٦: ٢٠)؛

"كلمتكم بهذا ليكن لكم فيّ سلام... ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو١٦: ٣٣)؛

"وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠).

+ وهكذا كتب الرسل لتثبيت المؤمنين:

"إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه. فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو٨: ١٧، ١٨)؛

"لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً" (٢كو٤: ١٧)؛

"مضطهدين لكن غير متروكين" (٢كو٤: ٩)؛

"لكني لست أخجل لأني عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم" (٢تي ١: ١٢)؛

"كما أشتركتم في آلام المسيح افرحوا كي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين" (١بط ٤: ١٣).

فليس ميراث الإيمان فقط آلاماً واضطهادات وضيقات يلاحق بعضها بعضاً، ولكنه أيضاً حضور لله في حياتنا ومعه السلام واليقين والثبات فيه الذي يزلزل العدو، وصدق وعوده، وتعزيات روح قدسه، مع قوة كلمته وفاعليتها ومضائها، وحفظه لنا من الدنس وحثنا على التوبة، كما أن معاناتنا هذه كلها ليست منسية قدام الله.

والمسيح الذي قبِل الصليب من الأشرار ليخلص من يؤمنون به من الهلاك، قد صعد إلى مجده **"فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً"** (أف١: ٢١)، وهو بصعوده لم يغب عن مؤمنيه وإنما هو حاضر معهم كل الأيام. وعندما يحل يوم الحساب والمجازاة، سيأتي في كل مجده دون أن يبطئ، غالباً ولكي يغلب (رؤ٦: ٢)، فيضمد جراح مختاريه، ويورثهم الملكوت المعد لهم منذ تأسيس العالم: **"من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله"** (١يو٥: ٥)، كما ينفُذ أيضاً عدله في كل

الذين اضطهدوا خاصته: **"أما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة"** (كو٣: ٢٥).

هكذا عزى معلمنا القديس بولس أهل تسالونيكي الذين قبلوا آلاماً كثيرة من أجل إيمانهم بالمسيح (وهو ما يعزينا نحن أيضاً):

"من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها، بينة على قضاء الله العادل أنكم تؤهّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً. إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا، عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته.. معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته. متى جاء ليتمجد في قديسيه ويُتعجب منه في جميع المؤمنين" (٢تي ١: ٤-١٠).

* * *

هذه رسالة تأتي دائماً في وقتها.. فالآلام لم تغادر منطقتنا منذ آلاف السنين.. قد تهدأ بعض الوقت ولكنها تعود بقوة.. والتعيير والتمييز والإهانة صارت أخف الأضرار.. فأينما توجهنا حولنا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، هناك الطرد والتهجير والنهب والخطف وتغيير الدين قسراً، وحرق الكنائس والبيوت، وتفجير الانتحاريين أنفسهم بين المصلين، والذبح والقتل على الهوية بدم بارد(+).. على أنه وسط كل هذا الظلام يأتينا صوت المسيح مانح السلام: **"ثقوا أنا قد غلبت العالم"** (يو١٦: ٣٣)، وهو الذي **"يقودنا في موكب نصرته كل حين"** (٢كو٢: ١٤) و**"يعظم انتصارنا بالذي أحبنا"** (رو٨: ٣٧).

(+) بعض الإحصائيات العالمية تُقدّر عدد الشهداء المسيحيين في القرن العشرين بـ ١١٩ مليون شهيد، وهو يفوق عدد ضحايا الحروب، كما يفوق مجمل عدد الشهداء المسيحيين منذ نشأت الكنيسة.

الأحد السابع من الخمسين المقدسة

"قوة من الأعالي"

عيد حلول الروح القدس

عشية	مز ٥١: ١٢، ١٤ يو٧: ٣٧-٤٤
باكر	مز١٠٤: ٣٠، ٣١ يو١٤: ٢٦- ١٥: ٤
البولس	١كو ١٢: ١-٣
الكاثوليكون	١يو ٢: ٢٠- ٣: ١
الإبركسيس	أع ٣: ١-٢١

مز ٤٧: ٥، ٧

الإنجيل : يو١٥: ٢٦- ١٦: ١٥

٢٦«وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآب، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. ٢٧وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ.

١«قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ لاَ تَعْثُرُوا. ٢سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لله. ٣وَسَيَفْعَلُونَ هذَا بِكُمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الآبَ وَلاَ عَرَفُونِي. ٤لكِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا حَتَّى إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ تَذْكُرُونَ أَنِّي أَنَا قُلْتُهُ لَكُمْ. وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ الْبِدَايَةِ لأَنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ.

٥«وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: أَيْنَ تَمْضِي؟ ٦لكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ. ٧لكِنِّي

أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. [٨]وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: [٩]أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. [١٠]وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا. [١١]وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ.

[١٢]«إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. [١٣]وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. [١٤]ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. [١٥]كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.

لأربعين يوما بعد قيامته، ظل الرب يظهر لتلاميذه يساندهم ويشددهم ويعّدهم لإرساليتهم العظمى **ببشارة الخلاص** للعالم "**اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها**" (مر١٦: ١٥) "**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به**" (مت٢٨: ١٩، ٢٠)، ويتكلم معهم "**عن الأمور المختصة بملكوت الله**"(أع١: ٣).

وفى لقائه الأخير بتلاميذه، أكد الرب على كل ما سبق أن أوصاهم به وعلمهم إياه، وكيف تحققت فيه نبوات الأنبياء فاتحا ذهنهم لكى يفهموا الكتب قائلا: "**هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير.. وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدئا من أورشليم وأنتم شهود لذلك**" (لو٢٤: ٤٤-٤٨)، ثم أعلن لهم وعده "ها أنا أرسل إليكم

موعد أبى فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا **قوة من الأعالى"** (لو٢٤: ٤٩).

ويورد **القديس لوقا** فى مقدمة سفر أعمال الرسل أن الرب "أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا **موعد الآب**... لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير... لكنكم **ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهودا فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض"**(أع١: ٤، ٥، ٨).

ويذكر الكتاب أن **الرب** بعد ذلك خرج مع **تلاميذه** إلى **بيت عنيا**، ورفع يده وباركهم. وفيما هو يباركهم انفرد عنهم **وأُصعد إلى السماء**، وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم. **فسجدوا له** ورجعوا إلى أورشليم **بفرح عظيم** (لو٢٤: ٥٠-٥٢، أع١: ٩، ١٢).

وفى **يوم الخمسين** وكان الجميع معا بنفس واحدة، **تحقق الوعد الإلهى وحل الروح القدس** على التلاميذ "**وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت.. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا**"(أع٢: ٢-٤).

إذاً فقد جاءت **القوة** التى وعدهم الرب بها، وهى **قوة من الأعالى.**

ضرورة نوال القوة من فوق :

نحن جميعا، خداما كنا أم مؤمنين عاديين، نحتاج إلى **قوة من فوق** لكى نمارس مسيحيتنا فى المقام الأول. إن حياتنا الجديدة ليست منا وإنما هى ثمر الخلاص، الذى وهبه الرب لنا بموته وقيامته، وعمل الروح القدس.

وكلمات الرب واضحة: "**بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**" (يو١٥: ٥). والوحى الإلهى يؤكد **أننا خلصنا بالنعمة** (أف٢: ٥، ٨)، أى

أن خلاصنا كان إنعاماً إلهياً مجانياً، وأن كل أعمالنا لا تنتسب إلينا بقدر ما تنتسب إلى نعمة الله "**لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح لأعمال صالحة قد سبق الله فأعّدها لكى نسلك فيها**" (اف٢: ١٠) وبولس المتوشح بالنعمة يقول "**أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى**"(فى٤: ١٣).

فوصايا الرب مستحيلة بدون شركة المسيح وعمل الروح، وبالمسيح وفي الروح تصير "**وصاياه ليست ثقيلة**"(١يو٥: ٣).

وسلوكنا بالروح، **وانفصالنا** عن روح العالم ونصرتنا على رئيسه، وقدرتنا على احتمال الآلام، ويقيننا بأبديتنا، **هذا كله عطاء إلهى**. ودورنا هو الإيمان ["**آمن فقط**" (مر٥: ٣٦، لو٨: ٥٠)]، **وطاعة حق الإنجيل** (يو٢: ٥، ٢تس١: ٨، ١بط١: ٢، ٢٢، ٤: ١٧)، **وتسليم الحياة** ["**سلّمنا فصرنا نُحمل**" (اع٢٧: ١٥)]، **وأداء الواجب** ["**احملوا نيرى عليكم**" (مت١١: ٢٩)، "**عملنا ما كان يجب علينا**"(لو١٧: ١٠)، "**امألأوا الأجران**"(يو٢: ٧)، "**ارفعوا الحجر... حلّوه ودعوه يذهب**" (يو١١: ٣٩، ٤٤)]. فنحن نقدم القليل الذى عندنا: الخمس خبزات والسمكتين (مت١٤، ١٧، مر٦: ٣٨، لو٩: ١٣، يو٦: ٩) وهو يمنح البركة الفائضة، بل ويقيم من الموت: موت الخطية وموت الجسد.

وبالنسبة **للتلاميذ** – ولكل **الخدام** من بعدهم – **فوصية المسيح** لهم بألا يشرعوا فى خدمتهم إلا بعد أن يتوشحوا **بقوة الروح**، الذى سيرسله إليهم سريعاً، هى **الأمر الإلهى** واجب الطاعة والنصيحة الذهبية التى تضمن نجاح الخدمة.

وكلمات الرب **للتلاميذ** وسائر **الخدام** خلال أيام خدمته على الأرض، وخاصة فى خطابه الوداعى ليلة الآلام، تكشف عن هذه الضرورة ، وهو يشير إلى دور الروح فى الكرازة والتعليم، ومؤازرة عمل الابن الخلاصى، ومساندة الكارزين بالقوة والتعزية إلى النهاية:

فهو "**روح الحق**" (يو١٤: ١٧، ١٥: ٢٦) "**المعزى**" (يو١٤: ١٦، ٢٦، ١٥: ٢٦، ١٦: ٧)، الذى "**يمكث معكم إلى الأبد**"(يو١٤: ١٦)، والذى "**يشهد لى**"(يو١٥: ٢٦)، وهو "**يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم**" (يو١٦: ١٤، ١٥)، وهو "**يعلمكم** كل شئ **ويذكركم** بكل ما قلته لكم"(يو١٤: ٢٦) "لأن لستم أنتم المتكلمين **بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم**" (مت١٠: ٢٠، مر١٣: ١١)، كما أنه "ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس" (١كو١٢: ٣)، وهو "يبكت العالم على **خطية** وعلى **بر** وعلى **دينونة**"(يو١٦: ١٠).

وفى حياتنا اليومية فالروح القدس هو **كنز الصالحات ومعطى الحياة، وروح الإيمان** (٢كو٤: ١٣) **وروح القوة والمحبة والنصح** (٢تى١: ٧)، **وهو واهب القداسة** (مز٥١: ١١، رو١: ٢٤، ١كو٣: ١٦، ١٧، ٦: ١٩، أف١: ١٣، ٢: ٢١، ٤: ٣٠)، **والوداعة** (١كو٤: ٢١، غل٦: ١) **وسائر ثمار الحياة فى المسيح** (غل٥: ٢٢، ٢٣).

ومعلمنا **القديس بولس** يخصص جزءا كبيرا من **رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس عن مواهب الروح القدس** (١كو١٢-١٤) خاصة ما يتعلق بالخدمة: كلام حكمة، كلام علم، إيمان، مواهب شفاء، عمل قوات، نبوة، تمييز الأرواح، أنواع ألسنة، ترجمة ألسنة "**ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء**"(١كو١٢: ١١).

وفى **رسالته إلى أهل غلاطية** يحثّهم على **السلوك بالروح** كى ينالوا ثماره: "**محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف**" (غل٥: ٢٢، ٢٣).

نحن إذاً **لا نستطيع أن نكون مسيحيين بدون المسيح والروح القدس**.. القوة التى أفاضها علينا من فوق. والذين هم فى الجسد "**لا يستطيعون أن يرضوا الله**" (رو٨: ٨) و"**إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك** (أى المسيح) **ليس له**"

(رو٨: ٩) أما "**كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله**" (رو٨: ١٤).

مجالات لعمل قوة الروح :

القوة التى وعد بها الرب تلاميذه من الأعالى لا حدَّ لمجالات عملها. إنها تشمل كل جوانب الحياة المسيحية للمؤمنين كما إنها تهيمن على كل أمور الخدمة بدءاً من تعليم الأطفال وحتى رسامة الأساقفة، مرورا بكل خدمات الكنيسة المتنوعة والكرازة بالمسيح للمتغربين.

وسنختار فيما يلي بعضا من هذه المجالات وهى السلوك بالروح، وخدمة الكرازة، والشهادة للمسيح:

(١) قوة من الأعالى للسلوك بالروح والتوبة المتجددة :

هذا مجال أساسى لعمل الروح القدس **فى حياة كل مؤمن وخادم**، سواء فى جانبها **الإيجابى** من نواحى العبادة والسلوك الروحى، وجانبها **السلبى** من رفض الخطية والانسلاخ من العالم الشرير.

فأى نشاط روحى لابد أن يستند لقوة من فوق كى ينجح ويتواصل، وبدون هذه القوة تتزلق النفس إلى الرياء والتدين الشكلى وإرضاء الناس وتتعرض النفس بالتالى لخطر فقدان المسيح.

والكتاب يوصينا أن "**اسلكوا بالروح** فلا تكملوا شهوة الجسد" (غل٥: ١٦)، وأن الله لم يعطنا روح الفشل "**بل روح القوة والمحبة والنصح**" (٢تى١: ٧). ومعلمنا بولس يصلى إلى الرب من أجل أهل أفسس "كى يعطيكم بحسب غنى مجده **أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم .. ولكى تمتلئوا إلى كل ملء الله**"(اف٣: ١٦-١٩).

ولن يستغنى مؤمن أو خادم عن مؤازرة الروح لممارسة عبادته من صلاة وصوم وتوبة متواصلة واشتراك فى القداس ومحبة الإخوة وحفظ كلمة الله والالتزام بها وطاعتها. فنحن "**لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى**"(رو٨: ٢٦) كما يكتب معلمنا بولس إلى أهل روميه. وقد نصوم عن الطعام فقط ودون توبة وهكذا لا نتغير، وقد نقرأ الكتاب دون طاعة أو التزام ونظل متغربين عن الكلمة، وقد نشترك فى صلاة القداس ونحن لا ندرك حضور المسيح وروحه والذهن شارد فى العالم الخارجى وهموم الحياة ومشاغلها، ونحن قد نكون مسيحيين اسميين ولم نلتفت بعد إلى وصية الرب أن ننكر أنفسنا ونحمل صليبنا ونتبعه (مت١٦: ٢٤، مر٨: ٣٤، لو٩: ٢٣)، ففى هذه كلها **نحن نحتاج إلى عمل المسيح وقوة الروح القدس** القادر وحده على "**ختان القلب**"(رو٢: ٢٩)، والذى به نستطيع أن نميت أعمال الجسد فنحيا (رو٨: ٣٣).

ولا شك أن للخدام الملتزمين دورا فى جذب الشاردين وتوجيههم لنوال هذه القوة كى يفلحوا مثلهم فى **رفض الخطية** ومقاومتها، **والانسحاب من محبة العالم** والمال وتعظم المعيشة، **والترفع عن الانحراف السلوكى** كألوان الغش (فى الامتحانات أو فى الإنتاج الزراعى أو الصناعى أو الأعمال الحرفية)، أو استخدام الرشوة أو قبولها، أو الانخراط فى علاقات جسدية غير سوية تغذيها الشهوة، وغيرها.

(٢) قوة من الأعالى لخدمة باذلة للكرازة والتعليم:

فى مجال **الخدمة** تكون القيادة بلا منازع للروح فى الكرازة "لأن لستم أنتم المتكلمين **بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم**"(مت١٠: ٢٠)؛ "وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل **ببرهان الروح والقوة**، لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس **بل بقوة الله**"(١كو٢: ٤، ٥)؛ "لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما **يعلمه الروح القدس**، قارنين الروحيات

بالروحيات"(اكو٢: ١٣)؛ "أنا غرست وأبلوس سقى **لكن الله كان ينمى**. إذاً ليس الغارس شيئا ولا الساقى **بل الله الذى ينمى**"(١كو٣: ٦، ٧).

كلمات خادم الله التى يرسلها الروح، مقولةً كانت أم مكتوبة، لا ترد فارغة بل تنخس القلوب وتغير الحياة وتهب الإيمان. وعظة قصيرة للقديس بطرس حولت ثلاثة آلاف دفعة واحدة "**قبلوا كلامه بفرح واعتمدوا**" (أع٢: ٤١)؛ "**وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون**" (أع٢: ٤٧).

وفى الكنيسة الأولى كان الروح هو كاتب الأناجيل والرسائل (٢بط١: ٢١)، وهو الذى كان يسمح بالخدمة (أع٨: ٢٦، ١٣: ٢، ١٦: ٩) أو يمنع عنها (أع١٦: ٦)، وهو الذى كان يرأس المجامع (أع١٥: ٢٨)، وهو الذى شدد الكنيسة وسط المحن والضيقات (اع٤: ٣٢، ٩: ٣١، ١٢: ٥)، وهو الذى وحَّد جماعة المؤمنين وجعلهم "**معا بنفس واحدة**" (اع٢: ٤٦).

وعلى مدى الزمان فالروح هو الذى يدعو ويرسل ويتكلم ويمنح قوة الكلمة المغّيرة والمعزية، وهو الذى يهيئ القلوب للإيمان والتوبة، وهو الذى يساند كل خدمة صغرت أم كبرت.

وإلى اليوم وغدٍ، **فالروح قادر ومستعد لمؤازرة الخادم، وكل مؤمن يدرك مسئوليته كشاهد للمسيح وخادم لكل البشر، فيتوارى وراء الصليب تاركا للروح قيادة دفة الحياة والخدمة، وقابلا الكلمة على أنها مرسلة له قبل أن ترسل للآخرين، ممارسا للتوبة كأنه أول الخطاة** (١تى١: ١٥)، **متضّعاً سائلا الروح قبل كل خدمة وخلالها أن يتفضل ويحل ويعمل ويرسل ويتكلم ويخدم. وبغير ذلك يظهر الإنسان ويتوارى الروح وتتبدد الخراف.**

(٣) قوة من الأعالى للشهادة للمسيح وقبول الآلام من أجله بفرح:

عندما دعا الرب تلاميذه أن يكونوا شهودا له بدءاً من أورشليم وحتى أقاصى المسكونة، أى أن يعلنوا للعالم شهادتهم عن المسيح المصلوب والذى غلب الموت وقام فى اليوم الثالث، والذى "**ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص**"(أع٤: ١٢)، كان يعرف أنه يرسلهم مثل **حملان وسط ذئاب** (مت١٠: ١٦، لو٧: ٣)، وأنهم يقتحمون مملكة رئيس هذا العالم لكى ينقذوا أتباعه من موت الخطية مختطفين إياهم من النار لينضموا إلى خراف المسيح التى لن تهلك، وهى مهمة محفوفة بالمخاطر لن يستطيعوا القيام بها إلا **بقوة خاصة تأتيهم من الأعالى**. وهكذا استطاعوا بها أن يعلنوا شهادتهم للعالم بكل مجاهرة:

"**وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة يسوع**" (أع٤: ٣٣)، "**وفى الليلة الثالثة وقف به الرب وقال ثق يا بولس لأنك كما شهدت بما لى فى أورشليم هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً** "(أع٢٣: ١١)؛ "**فقال الرب لبولس برؤيا فى الليل لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأن لى شعبا كثيرا فى هذه المدينة** (كورنثوس) **فأقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم كلمة الله**" (أع١٨: ٤-١١)؛ "**ولكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال إذهبوا قفوا وكلموا الشعب فى الهيكل بجميع كلام هذه الحياة**"(أع٥: ١٩، ٢٠).

أما محور الكرازة كلها فهو المسيح المصلوب المنتصر على الموت "**لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً** " (١كو٢: ٢)، وهو الذى يدين له التلاميذ والرسل بخلاصهم من الموت، وهو إذ أحبهم حتى المنتهى ومات عنهم فهم يبادلونه حبا بحب ومستعدون لاحتمال الآلام بل وقبول الموت من أجله بفرح "**أما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسِبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه**"(أع٥: ٤١).

وفى حديثه لقسوس كنيسة أفسس يتكلم معلمنا بولس عن الآلام التى تنتظره قائلاً "**لست أحتسب لشئ ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله**" (أع٢٠: ٢٤).

ولما جاء القديس بولس إلى قيصرية وحثه المجتمعون ألا يصعد إلى أورشليم خوفا على حياته أجابهم قائلا "**تبكون وتكسرون قلبى، لأنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضاً فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع**" (أع٢١: ١٣).

نعم... فى ساعات الحصار وضغوط الاضطهاد والتعصب، وخيانة الإخوة والأصدقاء، وسطوة الآلام الجسدية والنفسية من أجل الإيمان والخدمة، ينكشف ضعف الإنسان وقلة حيلته، **ولكن حضور المسيح وروحه القدوس** فى هذه المواقف هو الذى يشدد ويؤازر ويعزى ويخرج من الحبس إلى النور وينقذ الخادم والخدمة.

وبالنسبة للمؤمن المضطهَد فإن الروح يعينه إما بانتهاء المحنة، أو برفع درجة الإيمان بمقدار يتجاوز التجربة ويعبر به الأمر الواقع إلى ما لا يرى، ويرفع عينيه من الحاضر المر إلى مجد الأبدية، وهكذا يأتى الفرح ممتزجا بالألم.

❋ ❋ ❋

فلنطلب قوة من الأعالى:

+ للسلوك بالروح والتوبة الشاملة المتجددة؛

+ ولخدمة باذلة للكرازة والتعليم ومحبة الإخوة؛

+ وللشهادة للمسيح أمام العالم المضاد وقبول الاضطهاد من أجله بفرحٍ. فنحن فى حاجة إلى هذه القوة وبدونها لن نقدر أن نفعل شيئاً.

ملاحـــــق

+ خط سير رحلة العائلة المقدسة إلى مصر والعودة منها

+ مصر في الكتاب المقدس

+ عن السامرة والسامريين – خلفية تاريخية

ملحق رقم (١) [١]

خط سير رحلة العائلة المقدسة إلى مصر والعودة منها

سجّل الوحي الإلهي رحلة الرب إلى مصر قبل ثلاثة قرون من بدئها في نبوة **إشعياء** "**وحي من جهة مصر. هوذا الرب راكب على سحابة سريعة** (تحمله أمه العذراء مريم) **وقادم إلى مصر** " (إش١٩: ١)، وها نحن نتابع سير العائلة المقدسة في رحلتها الشاقة من بيت لحم إلى مصر وحتى عودتها إلى الناصرة[٢]:

(١) من بيت لحم إلى مصر القديمة

+ بعد ظهور الملاك **ليوسف** (قائد الرحلة) في حلم قائلاً له "**قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه**" (مت٢: ١٣)، قام وأخذ يسوع (وعمره سنتان) وأمه (حوالي ١٥ سنة) ليلاً لاجئاً إلى أرض مصر الطيبة. ويقال أنه كان ضمن أفراد الرحلة **سالومة** (مر١٥: ٤٠، ١٦: ١) (أخت العذراء أم ابني زبدي - مت٢٠: ٢٠، ٢٧: ٥٦) وربما أيضاً **يوسى** (أخو يعقوب الصغير ابنا مريم الأخرى - مت٢٧: ٥٦، مر١٥: ٤٠).

+ بدأت العائلة رحلتها إذاً من **بيت لحم إلى أشقلون** (عسقلان) على ساحل البحر المتوسط ثم شرقاً إلى **حبرون** (**الخليل**) ثم عادت إلى البحر عند **غزة** (وهي من أقدم عشر مدن باقية في العالم إلى اليوم) إلى **نيسس** (**خان يونس**) **فالعريش، وبيلوزيوم** (**الفرما**) [٣] (شمال سيناء)، وعبرت المضيق بين **القنطرة** وبحيرة المنزلة ومنها إلى **أرض جاسان** (محافظة الشرقية الحالية) حيث مرت بالمدن التالية:

---

(١) إنجيل الأحد الأول من شهر طوبة.

(٢) يُذكر أن **العذراء** ظهرت فى رؤيا **للبابا ثيئوفيلوس** (الثالث والعشرين فى عداد البطاركة) (٣٨٤ – ٤١٢م) ومنها عرف الطريق الذى سلكته العائلة المقدسة وسجّله فى ميمر استند إليه السنكسار القبطى (٢٤بشنس). وأيضاً اعتماداً على مخطوطات في مكتبة مورجان بنيويورك، ومكتبة الفاتيكان، ودراسة العالم الهولندي **الأب يعقوب موزر** (١٨٩٦- ١٩٥٦م) وعالم القبطيات المصري **يسى عبد المسيح** (١٨٩٨- ١٩٥٩م).

(٣) ورد ذكرها في (حز٣٠: ١٥، ١٦) بإسم "**سين**" أي **حصن مصر**، وتقع الآن بين العريش وبورسعيد، وكانت فيها كنيسة بإسم العذراء في المكان الذي زارته العائلة المقدسة، وتهدمت في عهد الفرس ثم أثناء الحروب المسماة بالصليبية حوالي ١١١٧م.

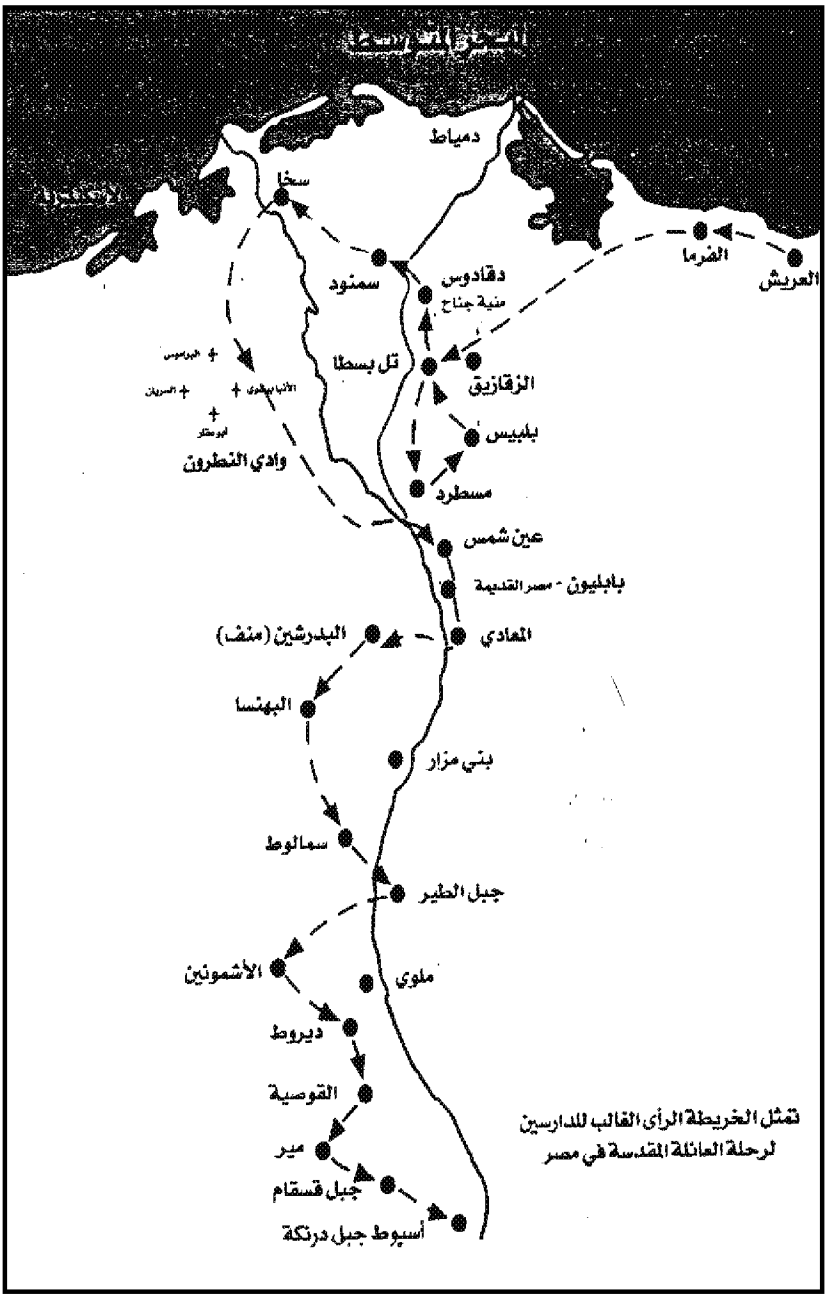

تمثل الخريطة الرأى الغالب للدارسين
لرحلة العائلة المقدسة في مصر

بسطة أو فيبستة (حز٣٠: ١٧) (**تل بسطا**)[٤] القريبة من الزقازيق، واتجهت جنوباً إلى **المحمّة** (مسطرد)[٥] ثم راجعة شمالاً إلى **بلبيس** (وبها شجرة تعرف باسم **شجرة العذراء مريم** استظلت بها العائلة المقدسة)، ومن بلاد الدقهلية مروا في **دقادوس** (وهي تحريف لكلمة **ثيئوطوكوس** أي أم الإله)، مركز ميت غمر، والتي تحتوي كنيستها الأثرية على أيقونة قديمة للعذراء، ثم عبرت فرع النيل إلى **سمنود**[٦] (التي خرج منها ملوك مصريون والكاهن المؤرخ مانيتون في القرن الثالث قبل الميلاد)، ومنها اتجهت العائلة إلى **سخا**[٧] (جنوب كفر الشيخ) وأصل الاسم : **إيسوس خا** أي كعب يسوع وكانت تحوي حجراً (يقال أنه يحمل أثر قدم الطفل يسوع) اختفى منذ القرن السابع وعُثر عليه عند حفر أساس منزل مجاور لكنيسة العذراء (١٩٨٤/٩/٢٧م) ومحفور على الناحية المقابلة "الله الابن". ومن سخا انتقلوا إلى **قرية شجرة التين** وكان أغلب سكانها يهوداً الذين رفضوا استضافة أفراد العائلة فذهبوا إلى قرية **المطلع**.

+ بعد ذلك عبرت العائلة المقدسة فرع رشيد غرباً إلى **وادى النطرون**، الذي بعد أقل من أربعة قرون من الزيارة تأسست فيه أديرة أربعة (على الأقل) يهتف سكانها الرهبان باسم الرب واسم أمه العذراء آناء الليل وأطراف النهار هي أديرة العذراء (السريان) وأنبا بيشوى والبراموس (مكسيموس ودوماديوس) وأنبا مقار.

+ ومن وادي النطرون اتجهت العائلة جنوباً بشرق إلى **أون (عين شمس)**[٨] (إش١٩: ١٨، إر٤٣: ١٣، حز٣٠: ١٧) (والتي نشأت بجوارها أوائل القرن

---

(٤) سقطت أوثان **تل بسطا** (ومدن أخرى كثيرة) عندما مروا بها تحقيقاً لنبوءة إشعياء "هوذا الرب قادم إلى مصر **فترتجف أوثان مصر من وجهه** ويذوب قلب مصر داخلها" (إش١٩:١)، كما انبثق فيها نبع ماء بيد يسوع الطفل، وكانت تدعى في العصر الفرعوني بر-باستت أو بيت الآلهة.

(٥) وفيها نبع ماء شرب منه واغتسل الطفل يسوع والعائلة المقدسة. وقد شيدت فيها سنة ١١٨٥م كنيسة على اسم العذراء، ولا يزال بها بئر ماء. وبها أيقونة نادرة من جلد الغزال عليها رسم للعذراء تمتطي ظهر دابة وتحمل طفلها وخلفهما يوسف وسالومي.

(٦) كنيسة القديس أبانوب الحالية **بسمنود** بُنيت في ١٨٨٠م على آثار كنيسة قديمة باسم العذراء مريم بجوار بئر استخدمتها العائلة المقدسة. وبها ماجور جرانيتي استخدمته العذراء مع نساء البلدة في عجن الدقيق.

(٧) حيث يقع حالياً دير **القديسة دميانة**.

(٨) تتعلق بها نبوة إشعياء "في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود يقال لإحداها **مدينة الشمس**" (أش١٩:١٨) وهي عين شمس التي استقبلت السيد المسيح شمس البر.

العشرين **هليوبوليس** مدينة الشمس العصرية)، **والمطرية** (التي تضم **شجرة مريم** والبئر التي كانت تشرب منها العائلة المقدسة وكان حولها سبعة أفدنة مزروعة من البلسم (البلسان) [٩]، وكان يحج إليها شعوب العالم إلى أن منع إبراهيم باشا - ابن محمد على - الزيارة، ولكن في العقود الأخيرة تم تجديد المكان وأصبح مزاراً للمؤمنين والسائحين. ويقال إن العائلة المقدسة مرت بهذه المنطقة مجدداً فى طريق عودتها إلى الناصرة.

+ وفي اقتراب العائلة المقدسة من وسط مصر مرت أو أقامت في مناطق مختلفة منها **حي الزيتون وحارة زويلة (بالغورية) والدرب الواسع** (من شارع كلوت بك) (وفيه **الكنيسة المرقسية** والدار البطريركية حتى نياحة البابا كيرلس السادس) ومنطقة **أبو الريش** (حيث **كنائس مارمينا ومارجرجس والقديس بشنونة**) ومنها إلى **مصر القديمة (الفسطاط) وبابلون (بابليون)** Babylon (وفيها كنيسة للعذراء)، وسكنت في مغارة تضمها حالياً **كنيسة القديس سرجيوس** الشهير **بأبي سرجة** (إحدى أقدم الكنائس في مصر والعالم، وقد شُيدت في القرن الأول ثم تهدمت وأعيد ترميمها في ٧٨٩ش، وقد وُضع مذبحها الخشبى العريق بالمتحف القبطى). وترجّح بعض المصادر أن إقامة العائلة المقدسة فى هذه المنطقة كانت عند عودتها إلى الناصرة وليس عند دخولها إلى مصر.

(ب) من مصر القديمة إلى مصر العليا

+ من حي **مصر القديمة** سارت العائلة المقدسة في اتجاه **المعادي** (وربما كان تحركها الكثير وعدم استقرارها طويلاً في منطقة بعينها محاولة للهرب من المطاردة وإخفاء آثارها) وعبرت النيل في مركب عند النقطة التي أقيمت عندها فيما بعد كنيسة العذراء الحالية على كورنيش النيل. وقبل سنين جاء طافياً على صفحة النيل حتى جدار الكنيسة الكتاب المقدس مفتوحاً على الأصحاح التاسع عشر من سفر إشعياء الذي يضم النبوات الخاصة فيما نحن بصدده. وعلى الضفة المقابلة من النيل مرت العائلة المقدسة في منطقة **منف** القديمة **(ممفيس)** (إش١٩: ٣، إر٢: ١٦، ٤٤: ١، ٤٦: ١٤، حز ٣٠: ١٣، ١٦) والتي تشمل

---

(٩) ظلت قائمة حتى ١٦١٥م (وزُرعت مكانها شجرة جميز في ١٦٧٢م) وكان البطاركة يأخذون منها دهن البلسم ويضيفون إليه زيت الزيتون لعمل الميرون.

حالياً **البدرشين والحوامدية وأم خنان وطمّوه** (التي ضّمت ديراً فيما بعد وصارت إيبارشية قبل شهور) **وميت رهينة** وما حولها.

+ بعدها استقلت العائلة مركباً أبحر في النيل جنوباً إلى **هيراكليوبوليس (أهناسيا** في بني سويف) **فالبهنسا** (التابعة حالياً لمركز **بنى مزار** بمحافظة المنيا، وكانت من أشهر الأسقفيات في العصر القبطي) ثم إلى قرية **دير الجرنوس** (غرب مغاغة)، ثم عبرت النيل شرقاً إلى منطقة **جبل الطير**[١٠] (شرق سمالوط، وبها حالياً دير منحوت في مغارة أعلى الجبل بأمر الملكة هيلانة (٣٢٨م) باسم السيدة العذراء) ثم جنوباً إلى منطقة **هرموبوليس (الأشمونين**، القريبة من ملوي، وكان أسقفها المؤرخ ابن المقفع في القرن العاشر، وأول كاتب مسيحي باللغة العربية، ويقع فيها دير أبي فانا ودير القديس أبوللو) ثم أنصنا[١١] (أمام مدينة ملوى وبها الآن **دير أبي فانا والبرشا)**، ثم جنوباً إلى **فيليس** (ديروط الشريف حالياً) وحاجر **أنصنا** وبه دير **أبي حنس** (القديس يحنس القصير) **وبئر السحابة** (أي العذراء)، بين دير أبي حنس والشيخ عبادة، ثم **قرية قسقام** (وكانت تسمى القوصية – قوصت – وهي غير القوصية الحالية) وقرية **ميره** (مير) ثم **جبل قسقام** (حيث دير العذراء الشهير **بالدير المحرق** الذي أسسه رهبان القديس باخوميوس).

والنبوة القديمة : "في ذلك اليوم يكون **مذبح للرب في وسط أرض مصر** (الدير المحرق) **وعمود للرب عند تخمها** (القديس مرقس) " (إش١٩:١٩) تحققت في كنيسة العذراء الأثرية بالجانب الغربى من **الدير المحرق** حيث أقامت العائلة المقدسة ستة أشهر وعشرة أيام، والتي يقصدها المؤمنون والسائحون من مختلف أنحاء العالم باعتبارها الكنيسة التي دشّنها الرب بنفسه. وفي الكنيسة مذبح حجري بُني على حَجَر نام عليه الطفل يسوع حوالي مائتي يوم ويُصلَّى عليه قداس يومي باللغة القبطية.

---

(١٠) سُميّ بهذا الاسم لأن طيوراً مهاجرة من أوربا كانت تجتمع عليه بأعداد كبيرة.

(١١) كان **إريانوس** والى انصنا فيما بعد متفرداً في قسوته وشراسته في مقاومة الإيمان المسيحي واستشهد على يديه الآلاف من الذين قبلوا الإيمان ولكنه تبع الرب في النهاية ونال هو أيضاً إكليل الشهادة.

+ ثم انتقلت العائلة جنوباً (ربما عندما بدأت العودة إلى الوطن) إلى جبل **درنكة**[١٢] (غرب أسيوط الحالية) – أقصى نقطة بلغتها العائلة المقدسة في جنوب مصر – حيث تأسس في مغارة شاسعة داخل الجبل دير للعذراء، يحوي العديد من الكنائس وبيوت الخلوة، حيث يأتي الآلاف لنيل البركة في صوم العذراء وعيدها.

+ وربما يقال كيف استطاعت العائلة المقدسة تغطية نفقاتها خلال الرحلة والإقامة. والإجابة التي تُذكر هنا أن مصدر الإنفاق كان الذهب الذي قدمه المجوس للطفل الإله. كما أنه من المقبول أن يوسف استمر في عمله نجاراً كلما استقر في أحد المواقع.

(جـ) العودة إلى الناصرة

+ ارتبط توقيت عودة العائلة المقدسة إلى أرض إسرائيل بموت هيرودس، حيث ظهر ملاك الرب من جديد في حلم ليوسف في مصر قائلاً : "**قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل**" (مت٢: ١٩-٢١).

+ كان يسوع قد بلغ حوالي الخامسة من عمره بعد أن جاء مصر رضيعاً محمولاً على ذراعي أمه العذراء، فبعد أكثر من ثلاث سنوات ابتعدوا فيها عن وطنهم، عاد أفراد العائلة المقدسة في مركب في النيل (أو براً مستخدمين الدواب) من أسيوط إلى منف (المعادي)، ومنها إلى بابلون، المطرية، مسطرد، لينتوبوليس، بلبيس، يوباستيس، فاقوس، الفرما، العريش. ولاشك أن الأمر استغرق شهوراً إلى أن دخلوا فلسطين واستقروا في الناصرة.

+ على أن يوسف توجّس الشر عندما سمع أن **أرخيلاوس** (أي رئيس الشعب) صار ملكاً على اليهودية بعد هيرودس أبيه، فلم يستقر في اليهودية التي بدأ منها رحلته الطويلة للنجاة. وبإرشاد الملاك الذي ظهر له في حلم جديد اتجه

---

(١٢) مشتقة من كلمة "دير الأديرة" حيث عاش في الجبل آلاف الرهبان أيام الاضطهاد الروماني، وتحولت درنكة إلى دير في نهاية القرن الثالث.

شمالاً إلى نواحي الجليل "**وأتي وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً**"[١٣] (مت ٢: ٢٢، ٢٣).

+ وبالرجوع إلى النبوات نجد أن عودة المسيح إلى أرض إسرائيل من مصر بعد سنوات من اللجوء إليها تسجلها نبوة **هوشع**، وهو أحد أنبياء السبي، والتي تقول "**لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني**" (هو١١: ١، مت ٢: ١٥) فالمسيح هو إسرائيل الجديد الذي يخرج من مصر (وهي ملجأ السلام هذه المرة) إلى أرض الآباء ويكون "الموعد" هذه المرة هو صليب الجلجثة الذي تمم بقيامة الرب الخلاص.

(د) العذراء تعود لزيارة مصر

الكنائس والأديرة التي تحمل اسم **العذراء مريم** في مصر أكثر من أن تحصى. وموقعها الأثير في الطقس الكنسي والتشفع باسمها عند ابنها، ومدائحها في أفواه المرتلين والمؤمنين جوانب أصيلة في حياة الكنيسة. فالعائلة المقدسة وإن غادرت مصر بعد بعض الوقت ظلت في عقول وقلوب الكنيسة والمؤمنين.

على أن **العذراء** عادت من جديد لزيارة مصر عندما ظهرت ببهاء فوق قباب كنيستها بالزيتون بدءاً من ١٩٦٨/٤/٢ وكان ظهورها عامًّا للآلاف ولشهور طويلة تجاوزت العام. وصاحب ظهورها معجزات الشفاء الكثيرة، وأثارت موجات من التوبة والنهضة الروحية، كما عزّت قلوب المصريين الذين كان قد أرهقتهم نكسة حرب ١٩٦٧ وساندت آمالهم في تجاوز آثارها وهو ما تحقق بعد سنوات قليلة. كما توالى الظهور في فترات تالية كان آخرها في ٢٠٠٩ فوق كنيستها بمنطقة الوراق.

---

(١٣) لا توجد نبوة في هذا الصدد تشير بصورة مباشرة إلى **الناصرة**، لكن هناك نبوة عن أرض الجليل "**أرض زبولون ونفتالي**" (إش٩: ١). ولكن ربما يتجه الأمر إلى معنى كلمة **الناصرة** وهو فرع الشجرة أو **الغصن** وهناك عدة نبوات تشير إلى المسيح كغصن مثمر (إر٢٣: ٥، ٣٣: ١٥، حز١٧: ٢٢، زك٣: ٨، ٦: ١٢).

ملحق رقم (٢) [١]

مصر في الكتاب المقدس

+ **مصر** (**كيمى** أو **كمت** بالقبطية، ومعناها "**الأرض السوداء**" بسبب الطمى أو "**التوأم**" إشارة إلى الوجهين البحرى والقبلى) يشتق اسمها من **مصرايم** أحد أبناء حام الأربعة (**كوش** - الحبشة، و**مصرايم** – مصر، و**فوط** و**كنعان**) (تك١٠:٦). والمزمور (١٠٥: ٢٣، ٢٧، ٣٨) يشير إلى أن مصر أرض حام "فجاء إسرائيل إلى **مصر** ويعقوب تغرب في **أرض حام**.. أرسل موسى عبده وهرون الذي اختاره أقاما بينهم كلام آياته وعجائب في **أرض حام**.. فرحت **مصر** بخروجهم".

+ وفي بدايات سفر التكوين، يذكر الوحى أن جوعاً حدث في الأرض (حاران وشكيم) "**فانحدر ابرام** (وساراى ولوط) إلى **مصر** ليتغرب هناك" (تك١٢:١٠)[٢]. وكان هذا أول ذكْر **لمصر** في الكتاب المقدس، وتبع ذلك ذكر مصر ٥٦٠ مرة في العهد القديم[٣] و٢٤ مرة في العهد الجديد. كما تكرر ذكر "مصري"و "مصرية" و"مصريين" ١٢٠ مرة معظمها في العهد القديم. وذُكرت **سيناء** ٤١ مرة كما أن **جيحون** أحد أنهار الجنة الأربعة هو **نهر النيل**. ومن مدن مصر المذكورة **أون** و**أسوان** (حز٢٩: ١٠، ٣٠: ٦، ١٧).

+ لم يتوقف مجيء الآباء إلى **مصر** بعد إبراهيم، وكان أولهم **يوسف** الذي باعه إخوته حسداً إلى قافلة من الإسماعيليين (أبناء إسماعيل) متجهة إلى مصر حيث اشتراه فوطيفار رئيس جند فرعون وانتهى به المطاف إلى السجن ظلماً ولكن الله تمجد به حتى صار أميناً على خزائن مصر ومنقذاً للعالم القديم من

---

(١) إنجيل الأحد الأول من شهر طوبة.

(٢) من المرجح أن هذا تم فى عهد الملك سنوسرت الثالث (١٩٩١-١٧٧٨ق.م).

(٣) أكثرها فى سفر الخروج (١١١ مرة) يليه سفر التكوين (٧٠ مرة).

المجاعة، وأعطاه فرعون اسماً مصرياً : **صفنات فعنيح** (تك٤١:٣٨-٤٥). وهكذا جاء أيضاً **أخوته ويعقوب أبوه** (وكانت سنّه ١٣٠ سنة) وسكنوا فى أرض جاسان (شرق الدلتا) (تك٤٧: ٦). وبقى **يعقوب** في مصر ١٧ سنة حتى مات، وحنطوه كسائر المصريين وناحوا عليه ٧٠ يوماً منها ٤٠ يوماً استغرقها التحنيط (تك٤٩:٣٣، ٥٠:٢، ٣) وصعد يوسف به ومعه مركبات وفرسان وجيشاً كبيراً إلى عبر الأردن "وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً. وصنع (يوسف) لأبيه مناحة سبعة أيام، فلما رأى أهل البلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا هذه مناحة ثقيلة للمصريين لذلك دُعى اسمه **آبِل مِصرايم** الذي في عبر الأردن " (تك٥٠:٧-١١). كما حنط الأطباء المصريون **يوسف** بعد موته (١١٠ سنة) "**ووضع في تابوت في مصر**" (تك٥٠:٢٦). وعند الخروج "أخذ **موسى** عظام **يوسف** معه لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً أن الله سيفتقدكم **فتصعدون عظامي من هنا معكم**" (تك٥٠:٢٥، خر ١٣:١٩).

+ وفي **مصر** ولد **موسى** (وأخوه **هارون** وأخته **مريم**) وعاش ابناً لابنة فرعون، وفيها تم أول فصح للرب الذى كان رمزاً مبكراً للخلاص، وقاد موسى مع **هرون** بني إسرائيل عبر البحر الأحمر وتسلم لوحي الشريعة على جبل سيناء (حوريب) ومات (١٢٠ سنة) في أرض موآب (تث ٣٤:٥، ٦) ومات قبله أخوه الأكبر هرون (١٢٣ سنة) دون أن يدخلا كنعان (عد٢٠:٢٨، ٢٩، ٣٣: ٣٨، ٣٩).

+ كما عاش في **مصر يشوع بن نون** الذي قاد الشعب الإسرائيلي عند دخوله كنعان بعد وفاة موسى، و**يربعام ابن نباط**، وأيضاً النبي **دانيال**. وفي الإسكندرية تمت الترجمة السبعينية للعهد القديم. ويقال أنه دفن في مصر الأنبياء

أليشع وإرميا وحزقيال ويوحنا المعمدان (وربما **دانيال** أيضاً)، ويتردد أنه جاءها القديسان **بطرس** (١بط ٥:١٣) **ولوقا** ، وكان مبشرها الأول **القديس مرقس** (وربما كتب فيها إنجيله) واستشهد على أرض الإسكندرية (٦٨م). وبشر التلميذان **سمعان القانوي وبرثولماوس (نثنائيل)** جنوب مصر وحملا معهما إنجيل معلمنا متى.

+ يذكر الكتاب مصريين كثيرين لعبوا أدواراً هامة في التاريخ الإنسانى، منهم أكثر من **فرعون** (٤) وأكثر من **ملكة** مصرية، **وإسماعيل** ابن **هاجر** المصرية (تك١٦:١٥) **وفوطيفار** رئيس شرط فرعون (تك٣٩:١)، **وثاؤفيلُس** (الذي كتب له القديس لوقا إنجيله وسفر الأعمال)، وشهود العنصرة (أع٢:٣)، **وأبلُّوس السكندري** (أع ١٨:٢٤). فضلاً عن **زوجات مصريات** لعدد من رجال الله: **هاجر زوجة إبراهيم** (تك١٦:٣، ٤)، **وزوجة إسماعيل** (تك٢١:٢١) **وأسنات** بنت فوطى فارع كاهن أون (عين شمس) **زوجة يوسف** (تك ٤١:٤٥) التي أنجبت له **مَنسّى وأفرايم** (تك٤١:٥٠-٥٢) [**مَنسّى** - ذو الأم المصرية - صار سبطاً بديلاً عن دان (رؤ٧:٦)]، **وصفورة** بنت كاهن مديان **زوجة موسى** (خر٢:٢١)، **وزوجة سليمان** الحكيم ابنة فرعون (القرن ١١ق.م.) (١مل٣:١، ٩:٢٤، ٢أخ ٨:١١).

+ مصر - وباختيار الهي - هي البلد الوحيد الذي زاره الرب مع أمه ويوسف النجار. وسار في صحرائه ومدنه، وعاش فيه ما يزيد عن ثلاث سنوات، وشرب من ماء نيله وأكل من خبزه وثماره، واختلط بشعب مصر وتكلم معهم **بالقبطية** (وهي اللغة الأخرى التي تكلم بها غير الأرامية التي تكلم بها مع اليهود الذين التقى بهم).

مصر هي إذاً أورشليم الثانية ، حتى أن الحجّاج الأحباش كانوا يزورون **الدير المحرق** في طريق عودتهم من زيارة القدس.

---

(٤) مثل الملك **شيشق** (شيشنق)- أول ملوك الأسرة ٢٢- الذى استولى على القدس وأخذ خزائن وذهب الهيكل (٩٣٠ق.م) (١مل١٤: ٢٥، ٢٦).

ملحق رقم (٣) [١]

عن السامرة والسامريين – خلفية تاريخية

تقع **السامرة** شمال اليهودية ويليها الجليل. وإذا عُدنا بالتاريخ إلى الوراء فقد انقسمت المملكة بعد سليمان إلى قسمين: مملكة **"إسرائيل"** في الشمال (وملكها **يربعام**)، وتضم عشرة أسباط، وعاصمتها **السامرة** (القريبة من شكيم التي عاش فيها الآباء: إبراهيم وإسحق ويعقوب، والتي أُقيمت على أطلالها مدينة **نابلس** الحالية)؛ ومملكة **"يهوذا"** في الجنوب (وملكها **رحبعام** ابن سليمان)، وتضم سبطين (يهوذا وبنيامين)، وعاصمتها **أورشليم.**

وفي سنة ٧٢٠ ق.م، سبى الآشوريون الوثنيون السامريين (٢مل ١٧: ٦) إلى العراق، كما انتقل من الآشوريين مَن عاش في أرض إسرائيل واختلطوا معاً وتزاوجوا (٢مل ١٧: ٢٤). فدخلت عبادة السامريين طقوسٌ وأفكارٌ وثنية، مما أدَّى إلى نفور اليهود منهم ومقاطعتهم واستبعادهم من الإسهام في بناء الهيكل (بعد عودة يهوذا من سبي بابل) أو خدمته أو الالتحاق بالسنهدريم، وبادلهم السامريون عداءً بعداء إلى زمان طويل. وقَصَر السامريون اعترافهم بالعهد القديم على توراة موسى، وأخذوا يُعيِّدون الفصح في هيكل أقاموه في القرن الرابع قبل الميلاد على **جبل جرزيم** Gerizim والذي هُدِمَ مع خراب السامرة سنة ١٣٠ ق.م.

لكن المسيح، مُحب كل البشر، فَتَحَ قلبه للسامريين الذين لم يقبلوه يوماً، وانتهر تلميذيه يعقوب ويوحنا اللذَيْن سألا أن تنزل نار من السماء لتفنيهم عقاباً، مُعلناً لهما أنَّ ابن الإنسان لم يأتِ ليُهلك أنفس الناس بل

(١) إنجيل الأحد الرابع من الصوم الكبير والأحد الثالث من الخمسين المقدسة.

لِيُخلِّصهم (لو ٩: ٥٦). واستخدم مثَل **السامري الصالح** (لو ١٠: ٣٧) لتحسين صورة **السامريين** في أعين اليهود. كما أنه بعد شفاء البُرص العشرة، امتدح الذي عاد منهم ليشكر الرب وكان **سامرياً** (لو ١٧: ١٨). وها هو اليوم يتعامل مع امرأة **سامرية** فتتوب، وينتهى الأمر بأن يدعوه **السامريون** فيُقيم عندهم يومين ويؤمن به كثيرون. فكانوا الباكورة التي تكاثرت بكرازة **فيلبُّس الشماس والرسل** بعد يوم الخمسين بحسب أَمْر الرب يسوع (أع ١: ٨)، كما صارت **السامرة** ملجأً لَمن تشتَّتوا من اليهودية تحت وطأة الاضطهاد بعد استشهاد استفانوس (أع ٨: ١،٥).

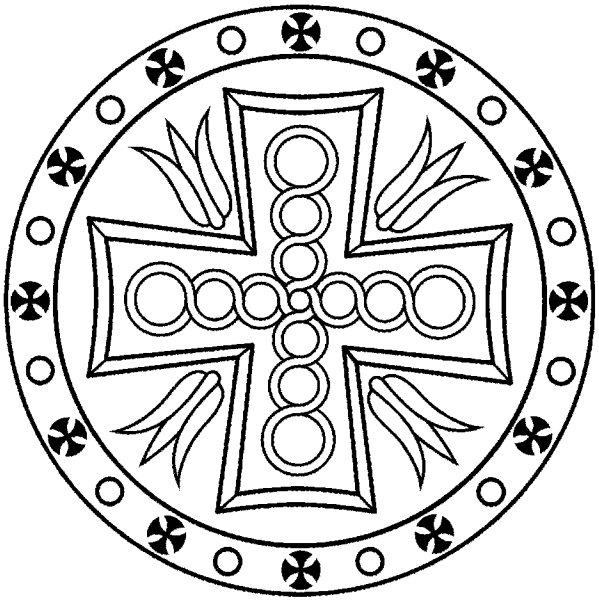

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : **في السلوك المسيحي**
التدين المضاد... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثاني : **عن المسيح**
يسوع المسيح الشفيع الكامل... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثالث : **المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**
عثرة الصليب ... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الرابع : **شخصيات كتابية**
١- القديس بطرس .. أول التلاميذ
٢- القديس بولس .. آخر الرسل (طبعتان)

الكتاب الخامس : **قضايا إيمانية**
المسيح يعرفنا عن ذاته ... ومقالات أخري

الكتاب السادس : **في السلوك المسيحي (٢)**
نحن والصليب والخلاص ...ومقالات أخري

الكتاب السابع : **قضايا إيمانية (٢)**
قضية الشفاعة ...ومقالات أخري

الكتاب الثامن : **في السلوك المسيحي (٣)**
ضبط النفس ...ومقالات أخري

الكتاب التاسع : **في السلوك المسيحي (٤)**
رفاق الإيمان وخصومه

الكتاب العاشر : **قضايا إيمانية (٣)**
الخطية التي لا تغفر .. وقضايا أخرى

الكتاب الحادي عشر : **دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداس الآحاد**
(١) الشهور من توت إلى كيهك

الكتاب الثاني عشر : (٢) شهرا طوبة وأمشير - الصوم الكبير - الخمسين المقدسة

الكتاب الثالث عشر : (٣) من شهر بشنس إلى نهاية العام القبطي

الكتاب الرابع عشر : دراسات وتأملات في الأعياد الكنسية (١) من توت إلى أمشير

الكتاب الخامس عشر : دراسات وتأملات في الأعياد الكنسية (٢) من برمهات إلى مسرى

الكتاب السادس عشر : عن المسيح (٢) "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"

سطور من هذا الكتاب

مِن هنا، فالحياة فى النور تتضمن توحد القلب واستقامة السلوك وعدم العرج بين الفرقتين (١مل١٨: ٢١). كما أن البقاء فى النور يستدعى السهر والانتباه والتدقيق والاستعداد الدائم للقاء الرب. وحتى إن تعثر المؤمن بمؤامرة العدو فسبيله هو النهوض السريع والرجوع بالتوبة إلى رحاب النور.

على أن إبليس لا يعدم وسيلة لتزييف الحياة الروحية بالرياء والادعاء، فقد لا تجد دعوته للانقلاب على الإيمان، والانسحاب الكامل من النور، والسلوك فى الشر، قبولا من كثرة المتدينين، ولكن قد يرتاح البعض إلى حياة الرياء المزدوجة التى يحاولون فيها ارضاء العالم والاستمرار فى تدينهم الشكلى، وهى محاولة محكوم عليها بالفشل فلن يقدر أحد أن يخدم سيدين كما قال الرب (مت٦: ٢٤).

وهذه الثنائية هى أكثر الأمراض الروحية انتشاراً، وفيها يصير قلب المتدينين الشكليين نهباً مستباحاً لكل التيارات، ويغطون انحرافهم بقشرة من الممارسات الآلية يجتهدون بها الى إسكات صوت ضمائرهم، أو سعيا لإرضاء من حولهم، دون ان يهمهم إرضاء الله أو يشغلهم مصيرهم وخلاص أنفسهم . هؤلاء ،مهما قالوا، هم ينكرون الإيمان ويخونون سيدهم متعثرين فى الظلمة، ولا نجاة لهم ولا سبيل إلى الحياة الأبدية بغير توقفهم عن رياءهم، وتجديد قلوبهم بتوبة حقيقية شاملة تصحح مسار الحياة ، وتنقلهم من الظلمة إلى النور (أف٥: ٨، ١ بط٢: ٩).

نور الحياة